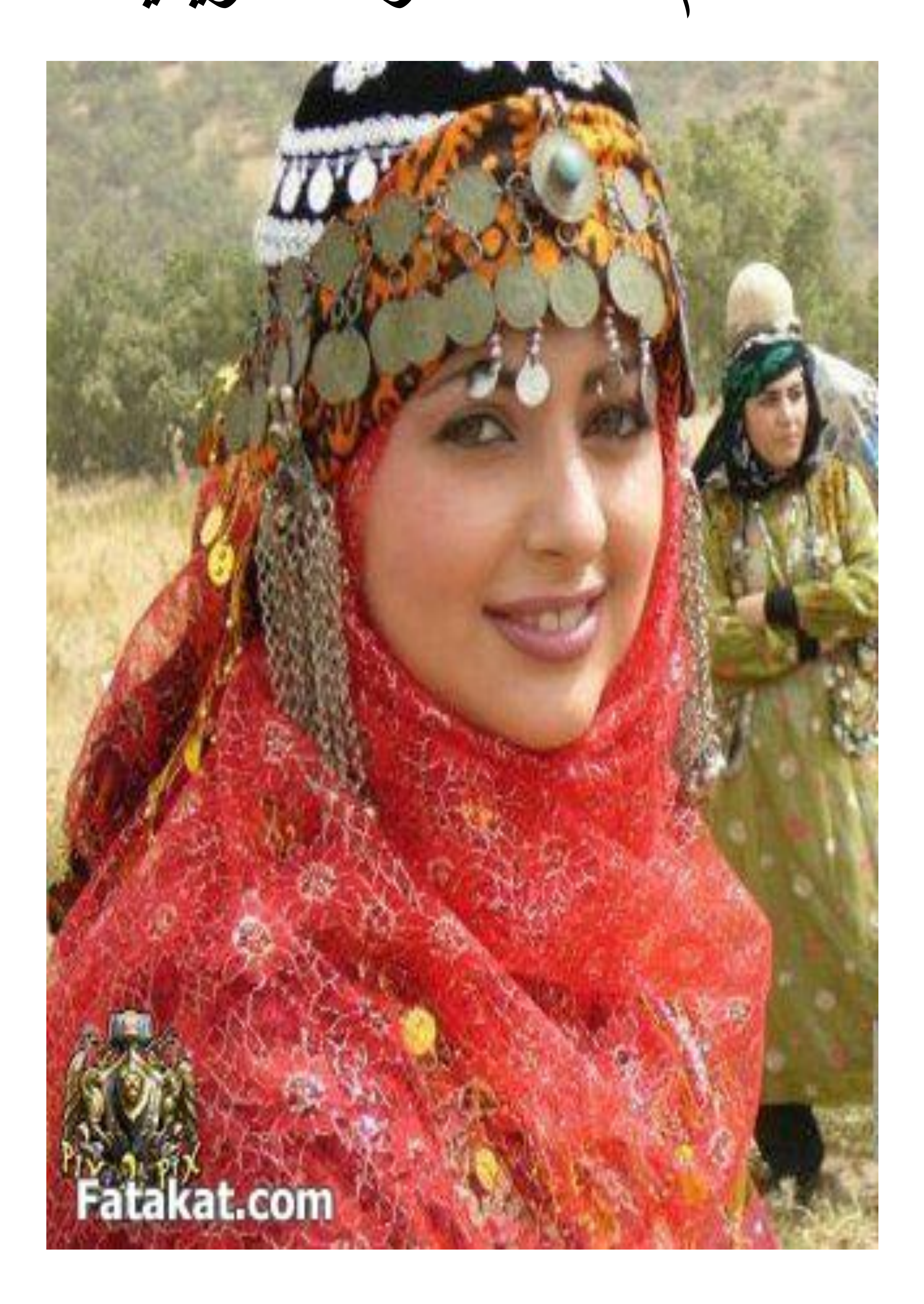
جميـــل حمـــداوي

مـــعالـــم الحـــضـــارة الأمازيغيـــــة



المؤلف: جميل حمداوي

العنوان: معالم الحضارة الأمازيغية

الطبعة الثانية:2016م

الإهـــــداء

أهدي هذا الكتاب المتواضع إلى أستاذي العزيز الدكتور محمد الشامي الذي درسني، في ثمانينيات القرن الماضي، مادة اللغة الأمازيغية في مختلف مجالاتـها اللسانية، والأدبية، والفنية، والثقافية...



الأستاذ القدير الدكتورمحمد الشامي

الفهـــرس

المقدمـــــــة

يقدم هذا الكتاب مجموعة من الدراسات والمحاضرات والدروس والأبحاث حول حضارة الأمازيغيين وثقافتهم المتنوعة على جميع الأصعدة والمستويات. وقد تناولنا، في هذا الكتاب، مجموعة من المحاور التي تتعلق بالإنسان الأمازيغي أصلا، ونشأة، واستقرارا، وتاريخا. كما استكشفنا أصوله الجينيالوجية والوراثية. واستجلينا مكونات حضارته ماديا ومعنويا، بالتوقف عند حياته السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والدينية، والعلمية، والأدبية، والفنية . بالإضافة إلى رصد عاداته، وتقاليده، ولغته، وكتابته، وعمرانه...

ومن ثم، يتبين لنا ، بكل صراحة وحقيقة ، أن الحضارة الأمازيغية غنية بالدوال المادية واللغوية والسيميائية، تحتاج إلى من يفككها استقراء واستقصاء واستكشافا، ويركبها بناء، وفهما، وتفسيرا، وتأويلا. علاوة على ذلك، فكثير من الناس يجهلون هذه الحضارة جملة وتفصيلا، ويحكمون عليها عن عمى، وجهل، وتقصير. في حين، ساهمت الحضارة الأمازيغية في إثراء الحضارة الإنسانية بالشيء الكثير محليا، وجهويا، ووطنيا،وكونيا.

ويضاف إلى هذا أن الإنسان الأمازيغي أول من كتب الرواية (الحمار الذهبي لأفولاي- مثلا-)، وألف السيرة الذاتية (كتاب (الاعترافات) لأوغستان- مثلا-). وكان أيضا سباقا إلى إبداع الكتابة الأبجدية (تيفيناغ)، واستعمال العربة والجمل في معاركه وحروبه وتنقلاته، وكتابة الموسوعات العلمية والمعرفية. وقد ساهم أيضا في بناء الأهرام المصرية، واعتناقا(أريوس، وأوغستان، وأرنوبي، وتارتولي...)

وقد كان هذا الإنسان - كذلك- أكثر اهتماما بالآداب، والعلوم، والفنون (المسرح، والعمارة، والتشكيل، والرقص، والغناء، والموسيقا، والشعر، والخطابة، والبلاغة...)، إلى جانب عنايته بالفلاحة، والصناعة، والتجارة، والملاحة البحرية، والعمل العسكري، والاستكشاف الطبيعي (يوبا الثاني مثلا)...

وفي الأخير، أسأل الله عز وجل أن يلقى هذا الكتاب المتواضع استحسانا لدى المتلقي. وأشكر الله وأحمده على علمه ونعمه وفضائله الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى.

لخدملا:

حضـــارات البحـــر الأبيــض المتوســـط

من يتأمل الحضارات الإنسانية ، ويحاول دراستها واستقراءها بطريقة موضوعية ، فسيلاحظ أن معظم هذه الحضارات المتعاقبة قد نشأت على شواطئ حوض البحر الأبيض المتوسط. لذلك، يعد البحر المتوسط منبع الحضارات الإنسانية، وملتقى الثقافات المتنوعة، وموطن الشعوب والأعراق المختلفة ، ومنطلق الحضارة الغربية والتكنولوجيا الحديثة، وموطن تلاقح النظريات والأفكار والأديان والفنون والآداب. وقد عرف هذا البحر، منذ تاريخه، ازدهار بعض الدول، وامتداد دول قوية ، واضمحلال دول أخرى. ومن ثم، فلقد كان هذا البحر بمثابة شاهد على العصور السالفة والحالية، وراو يسرد كل الوقائع والأحداث التي شهدتها المنطقة المتوسطية في حالتي السلم والحرب ، أو في حالتي الحوار والصدام، أو في حالتي الانفتاح والانغلاق .

المبحث الأول: دلالـــــة المصطلح

يتخذ البحر الأبيض المتوسط (Méditerranée) عدة دلالات لغوية وتاريخية. فقد كان يسمى بالأخضر الكبير عند المصريين القدامى،و(البحر الداخلي) أو (بحرنا) عند الرومان، و(بحر الغرب)، أو (البحر المقدس)، أو(بحر فلسطين)، أو(البحر) فحسب كما لدى العبرانيين في العهد القديم، أو (البحر الأبيض) في اللغة التركية. أما عند العرب، فقد كان يسمى المحيط الأطلسي عندهم ببحر الظلمات مقابل البحر المجاور على امتداد الشريط الساحلي لشمال إفريقية الذي يسمى (البحر المتوسط) . ويسمى هذا البحر بالمتوسط ؛ لأن البحر المتوسط فضاء جغرافي مغلق ، يقع في الوسط بين ثلاث قارات متداخلة هي: إفريقيا، وأوربا ، وآسيا.

ويذهب ريس(Rice) إلى أن الرومان كانوا "يستغلون أعالي البحار على نحو أكثر دقة، ولم يشعروا بأن هناك حاجة إلى إطلاق أسماء جديدة تماما للمناطق البحرية الساحلية، فقد أخذوا الأسماء عن الماضي الإغريقي، وعندما كانوا يودون الحديث عن البحر ككل كانوا يشيرون إليه بالاسم بحرنا mar nostrum ،أو البحر الأعظم mar magnum ، وماكان أكثر الأسماء لفتا للنظر هو: البحر الداخلي mar internum ،

ذلك أن البحر كان يوفر في المقام الأول الطرق الداخلية للمواصلات داخل الإمبراطورية. ولم يظهر اسم البحر المتوسط mar mediterraneum إلى أن استخدمه سولينوس Solinus في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي [1]."
ويعني هذا أن للبحر الأبيض المتوسط موقعا إستراتيجيا بسبب تواجده في الوسط بين القارات الثلاث: أفريقيا، وأوروبا، وآسيا.

المبحث الثاني: البعـــد الجغرافـــي

يقع البحر الأبيض المتوسط بين قارات ثلاث: القارة الأوربية، والقارة الإفريقية، والقارة الأسيوية. وينفتح على المحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق، وعلى المحيط الهندي عبر قناة السويس. ويطل على البحر الأسود وبحر مرمرة معا عبر الدردانيل والبوسفور. ومن البحار الموجودة في منطقة المتوسط بحر إيجه، والبحر الأدرياتيكي، وبحر المرمرة... كما يصب في البحر الأبيض المتوسط تسعة وستون نهرا...
وتبلغ مساحة البحر الأبيض المتوسط 2.5 مليون كلم2. ويطل على المحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق الذي يفصل أفريقيا عن أوربا بـأربعة عشرة كيلمومترات. أما عمقه الأقصى، فهو 5150 م، وعمق المتوسط هو 1500م.
وينقسم المتوسط إلى حوضين كبيرين مفصولين بالأعماق العالية بين صقلية وتونس، هما: الحوض الغربي، بمساحة إجمالية تقدر ب0.85مليون كلم2 ، والحوض الشرقي الذي تبلغ مساحته 1.65 مليون كلم2 .
وهناك من يقسمه إلى ثلاثة أحواض هي: الحوض الغربي، والحوض الشرقي، والحوض المتوسط. وهناك دليل" يشير إلى أن القدماء كانوا ينظرون إلى البحر المتوسط في البداية على أنه سلسلة من البحار الصغرى . وقد أوضح العالم الفرنسي جان روجيه أن نحو 21 منطقة

---

[1] - إ.إ.رايس: **البحر والتاريخ**، ترجمة: دكتور عاطف أحمد، العدد314، السنة2005م،ص:21.

بحرية تحمل أسماء خاصة... والأمر اللافت للنظر أن هذه الأسماء من أصل أفريقي، ومعظمها مشتق من جزر أو سواحل، مثل: بحر تيرونم والبحر الباليري. ويرجع ذلك، في رأي روجيه، إلى عهد كانت فيه التجارة بين الشواطئ هي العادة المتبعة. وكلما قسمت منطقة بحرية إلى مثل هذه المناطق ذات الأسماء كان بإمكاننا أن نستدل على الانتعاش البكر للإبحار".[2]

وتنقسم دول البحر الأبيض المتوسط إلى خمس مجموعات حسب موقعها الجغرافي؛ حيث نجد في الشمال: فرنسا، وموناكو، وإيطاليا ،وسلوفينيا، وكرواتيا، والبوسنة - الهيرسيك، وصربيا ،ومونتينيجرو، وألبانيا، واليونان، وتركيا. ونجد في الشرق لبنان، وسوريا، وإسرائيل، وفلسطين. ونجد في الجنوب مصر، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب. أما في الغرب، فهناك إسبانيا . في حين، توجد مالطا وقبرص في الوسط.

وبما أن القشرة الأرضية حديثة ومعقدة تاكتونيا وجيولوجيا في هذه المنطقة البحرية بسبب التقارب بين القارتين: الإفريقية والأوربية، فإن كثيرا من الدول المحاذية للشاطئ المتوسطي تتعرض للبراكين والضربات الزلزالية،ولاسيما إيطاليا ، واليونان، وتركيا، والجزائر، والمغرب... ومن أهم البراكين المعروفة في البحر الأبيض المتوسط بركان إيتنا، وفيزوف، وسترومبولي، وكلها براكين موجودة في إيطاليا.

ويتميز مناخ المنطقة بكونه مناخا متوسطيا معتدلا ،يتميز بشتاء رطب دافئ، وصيف حار وجاف. ويتخلل هذا النطاق المناخي ما يسمى بتداخل الفصول الذي يسبب كثيرا في مجموعة من الكوارث والظواهر الطبيعية.

ومن أهم جزر البحر المتوسط جزيرة صقلية، وجزيرة سردينيا قرب إيطاليا، وجزيرة البليار جنوب إسبانيا.

المبحث الثالث: الجانب الديني والثقافي

عرفت ضفاف البحر الأبيض المتوسط عدة حضارات متعاقبة من بينها:الحضارة السامية، والحضارة الأمازيغية، والحضارة الفرعونية ،

---

[2] - إ.إ.رايس: نفسه، ص:20-21.

والحضارة الفارسية ، والحضارة الإغريقية،والحضارة الفينيقية ، وحضارة الرومان، وحضارة القرطاجيين، وحضارة الإسلام، والحضارة الغربية، والحضارة العثمانية.... وخضعت هذه الحضارات والثقافات لجدلية التواصل والصراع، وجدلية الانفتاح والانغلاق.أي: إن البحر الأبيض المتوسط قد ساهم ملاحيا في نقل شعلة الحضارة، وتوزيعها على شعوب المنطقة عبر الاحتكاك الثقافي والتواصل الحضاري. كما هو شأن الإسلام الذي دخل إلى أوربا عن طريق التجارة مع الإيطاليين، وأيضا مع فتح الأندلس، بتشييد مراكز العلم فيها، وبالضبط في طليطلة وإشبيلية. وفي المقابل، انتقلت الحضارة الغربية إلى العالم العربي ، وخاصة إلى مصر ولبنان مع حملة نابليون بونابرت، أو عبر الصراع الجدلي بين الأنا والآخر الذي كان يتجلى، بوضوح ، في الحروب الصليبية، والاستعمار الغربي، وتوسعه الإمبريالي .

وينقسم البحر المتوسط - حضاريا وثقافيا- إلى ثلاث جماعات، أو ثلاث حضارات ضخمة راسخة هي " الغرب أولا، وقد يكون من الأحسن أن نقول :المسيحية أو الرومانية ...الذي يمتد إلى المحيط الأطلسي وبحر الشمال، إلى الراين والدانوب... وإلى حدود ما وراء المحيط الأطلسي. أما الكون الثاني فهو الإسلام، وهو شساعة أخرى تبدأ من المغرب، وتذهب إلى ماوراء المحيط الهندي إلى أرخبيل جنوب شرق آسيا... إلى البحر المتوسط الآخر الذي يجد امتداده في الصحراء... أما الشخصية الثالثة... فإنها الكون الإغريقي ....إنها الكون الأرثوذوكسي، ويضم على الأقل مجمل شبه جزيرة البلقان ورومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا، علاوة على روسيا الأرثوذكسية"[3].

علاوة على ذلك، لقد عرفت منطقة المتوسط حضارة ثقافية مزدهرة متنوعة في موادها، وأدواتها، ومضامينها ،وأشكالها ؛ حيث نشأت فيها الفلسفة، والرياضة، والمسرح. وتطورت العلوم النظرية والتجريبية. وتطور فيها التشكيل والعمارة والنحت . كما تشكلت المدارس الأدبية

---

[3] -F.Braudel: **la Méditerranée: l’espace et l’histoire**, Flammarion, Paris, 1985 ;

ترجمة محمد بلعيش، بيت الحكمة، العدد5، السنة 2، أبريل1987 ،صص:87-88.

بمختلف منازعها، وظهرت أجناس وأنواع أدبية جديدة، كالرواية، والقصة القصيرة، والملحمة.
وفي العصر الحديث، ظهرت السينما الصامتة والسوداء والملونة، وتطورت التكنولوجيا والصناعات الآلية والتقنية والرقمية، بتطور الفضاء الإعلامي والبصري، وغزو الفضاء قصد استكشاف العوالم الخارجية ، وبناء القواعد العسكرية ، وإرساء منظومة الأقمار الصناعية.

المبحث الرابع: الجانـــب السياســـي

ظهرت عدة تجارب سياسية وأنظمة حكومية ودستورية ومؤسساتية ونظريات في الحكم ، في منطقة البحر الأبيض المتوسط، مثل: النظام الوراثي الملكي، ونظام التفويض الإلهي، والحكم الأليغارشي، والحكم التيوقراطي، والنظام الديمقراطي كما في اليونان في فترة بريكليس، والنظام العسكري كما في عهد الإمبراطورية الرومانية، والنظام القبلي كما في المجتمع الأمازيغي، ونظام الشورى في الدولة الإسلامية، وخاصة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وحكومة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم.
كما انتشرت - حديثا- أفكار نقابية وفلسفية، وتصورات حزبية وسياسية مختلفة، ساهمت في بلورة الأحزاب السياسية، وبالضبط في القرن التاسع عشر. وترتب عن ذلك نشأة ما يسمى بالمعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي؛ مما سبب في صراعات متطاحنة إيديولوجيا وعسكريا. وانقسمت دول المنطقة، حسب هذين المعيارين، إلى دول رأسمالية تتجمع في الغرب، ودول اشتراكية في الشرق، ومركزها موسكو. وأصبحت دول الجنوب تابعة لهذا المعسكر أو ذاك حسب الاقتناعات والأهواء التي يكون عليها الزعماء والرؤساء والملوك . واعتمدت دول الغرب على نظام الانتخاب، والتمثيل النيابي والبرلماني، وإرساء النظام الجهوي والكونفدرالي في تعزيز مكتسبات الديمقراطية، منذ إعلان مبادئ الثورتين الفرنسية والأمريكية.

المبحث الخامس: الجـــانــب الاقتصـــادي

يعرف البحر الأبيض المتوسط بأنه ملتقى الحضارات ، ومرتع المدنيات المتقدمة، ومأوى الشعوب المتنورة، وملاذ المهاجرين والمتعطشين إلى الشغل والعلم والثقافة . كما تعد المنطقة الأكثر ازدهارا في العالم، والأكثر انتعاشا على جميع الأصعدة والمستويات؛ بفضل نمو الملاحة البحرية، وتطور تقنيات الصيد البحري، وانتعاش الفلاحة، وازدهار الصناعة والتعدين، واهتمام الدول بالتجارة والسياحة والخدمات.

ولم تزدهر حضارة أثينا - مثلا - إلا بفضل احتكاكها مع الشعوب المجاورة ، ولاسيما الحضارة المصرية وحضارات آسيا. و كذلك بفضل بناء أسطولها التجاري، وهيمنتها على البحر الأبيض المتوسط، بعد انتصارها عسكريا على فارس وحضارتها بسبب تحالفها مع إسبرطة. وقد اكتشفت أثينا التعدين؛ مما أهلها لخلق صناعات متطورة ، و اهتمت أيضا بالفلاحة والزراعة. وقد شكل العبيد والأجانب والغرباء أداة للإنتاج في الاقتصاد الإغريقي ، وآلية فعالة لتحريك دواليب الشغل والعمل اليدوي.

وقد اتخذ هذا البحر - كذلك- مسلكا تجاريا ومعبرا ملاحيا عند الفينيقيين الذين شيدوا عدة مدن على ضفاف البحر المتوسط ، مثل: قرطاجنة، وروماديةِ(مليلية)، وطنجيس، وليكسوس(العرائش)، وسيريني(الصويرة). ولم يكن هذا البحر عند الرومان إلا معبرا ملاحيا لنقل ثروات الشعوب الضعيفة التي هيمنت عليها ظلما وتعسفا، وخاصة الشعوب الأمازيغية في شمال إفريقيا.

وإذا كان الأمازيغيون والإغريق والرومان قد سيطروا على البحر الأبيض المتوسط في بداية الأمر، فإن الإسلام قد هيمن على هذا البحر في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين بكامل عنفوان حضارته. إلا أن الوضع قد تغير ابتداء مع القرن الحادي عشر الميلادي لتكون الهيمنة لصالح أوربا، مع اندلاع الحروب الصليبية التي استهدفت غزو المشرق لتحرير القدس.

وقد عرف هذا البحر ركودا اقتصاديا وملاحيا باكتشاف أمريكا سنة 1492م، ورأس الرجاء الصالح سنة 1497-1498م. ولم يسترجع هذا

البحر أهميته الاقتصادية إلا بعد حفر قناة السويس في مصر لتسهيل الملاحة التجارية الدولية بين القارات .
ويعد البحر المتوسط - اليوم- أكثر منطقة جذابة للسياح في العالم بسبب مناخه المعتدل. علاوة على ما يمتاز به من تنوع طبيعي، وجغرافي، وحضاري، وثقافي، وعرقي. ولا ننسى ما يتسم به من نمو ديمغرافي، وإقبال شديد على حداثة التعمير، وتطوير الاقتصاد، والبحث عن أموال المستثمرين لخلق التنمية، وتوفير فرص الشغل.
وعليه، يمكن الحديث عن ثلاث مناطق متباينة اقتصاديا: مجموعة الشمال، ومجموعة الشرق، ومجوعة الجنوب. وتبقى مجموعة الشمال متقدمة مقارنة بالمنطقتين المتقابلتين اللتين تعرفان مشاكل اقتصادية ومالية واجتماعية وإيديولوجية عدة من الصعب حلها. ويترجم لنا هذا الوضع اللامتكافىء أن دول الجنوب تابعة لدول المركز؛ حيث تعيش في الهامش على إيقاع التخلف، في وضع متروبولي سلبي، يقوم على التبعية الاقتصادية الناتجة عن الاستعمار، والعولمة ، واتفاقيات الگات (الغات)، وقسوة الإرهاب، والانسياق وراء حروب السراب بين الإخوة الأعداء.
ومن جهة أخرى، يخضع التعامل الاقتصادي والتبادل التجاري بين دول البحر الأبيض المتوسط فيما بينها وبين دول العالم إلى اتفاقيات ثنائية، أو اتفاقيات إقليمية، أو جهوية، أو دولية.
علاوة على ذلك، فلقد ساهم الاستعمار الغربي في خلق منظومات اقتصادية وعلمية وتربوية تابعة لفرنسا، أو إنجلترا، أو إيطاليا ، أو الولايات المتحدة الأمريكية (إسرائيل مثلا)، كان لها انعكاسات سلبية على الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية والثقافية لهذه الدول.

المبحث السادس: الجـــانــب العسكــري

عاش البحر الأبيض المتوسط فترات سلم، كان يتم فيها تبادل السلع والبضائع والأفكار والثقافات والنظريات والتصورات الحرفية والمهنية بين شعوب المنطقة. إذ يشهد التاريخ للدولة الفينيقية بما كانت تقوم به من تبادل تجاري مع الدول المجاورة على الخط الساحلي للبحر. فقد " ارتبط

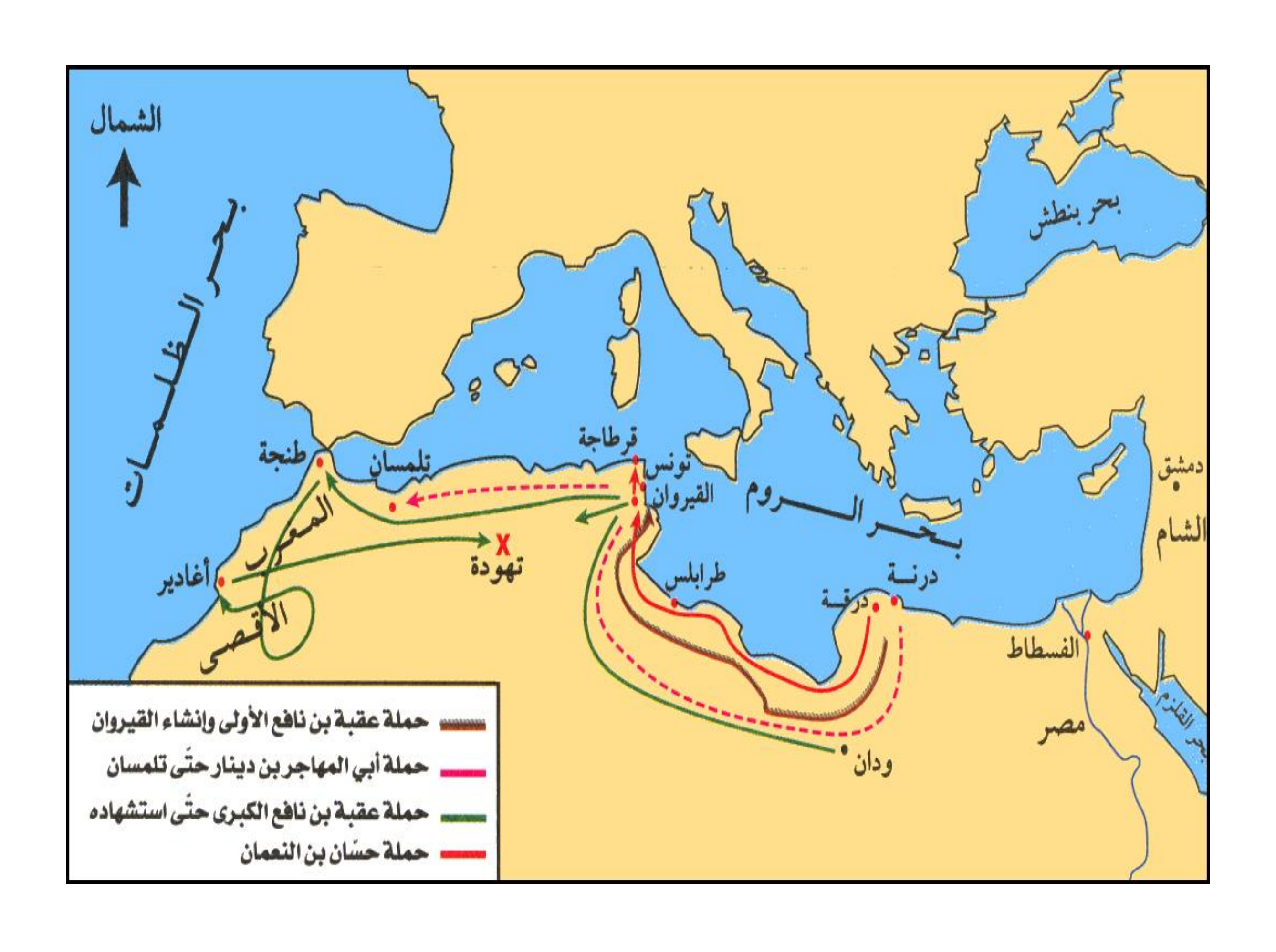
دخول المغرب إلى التاريخ القديم لحوض البحر الأبيض المتوسط بمجيء الفينيقيين؛ وكان هؤلاء التجار الجريئون- الذين اخترعوا الكتابة الأبجدية- هم الذين أدخلوا إلى المغرب السلع والمؤثرات الثقافية المتوسطية... وقد ساروا بمحاذاة الساحل الأطلسي الإفريقي بحثا عن العاج والذهب، فترددوا على الموانئ الموجودة على السواحل المغربية".[4]
كما ترك القرطاجيون آثارهم الاقتصادية والثقافية الإيجابية في المناطق التي كان يحكمها الأمازيغ،" ومهما يكن – يقول الباحث المغربي محمد بوكبوط -فإن الحضارة القرطاجية تركت بصماتها على واقع الأمازيغ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي...
غير أن الآثار المادية تدل على أن الأمازيغ عرفوا الزراعة وغرس أشجار الزيتون والتين والكروم قبل مجيء الفينيقيين أو القرطاجيين [5]".
أما الرومان ، فقد كانت معاملتهم سيئة مع دول الجوار، ولاسيما مع الشعب الأمازيغي الذين كان يسكن موريطانيا الإفريقية. فقد استهدفت الإمبراطورية الرومانية إذلال هذا الشعب، واستنزاف خيراته، والاستيلاء على ثرواته . بيد أن الشعب الأمازيغي لم يرض بهذا المحتل الجشع، وقام بثورات مضادة، كثورة إيدمون ، وثورة موريطانيا الطنجية، وثورة إفريقيا الرومانية، وثورة دوناتوس، وثورة تاكفاريناس.... وفي هذا الصدد، يقول محمد بوكبوط:" وطبقت روما سياسة اقتصادية جشعة طوال احتلالها، تلخصت في جعل ولاياتها تخدم اقتصادياتها، وتلبي حاجياتها من الغذاء والتسلية لفقرائها... والتجارة المربحة لتجارها والضرائب لدولتها... والإبقاء على النزر اليسير لسد متطلبات عيش الامازيغ الخاضعين.[6]"...
أما الإسلام، فلقد عمل على نشر الدين الجديد على أساس العدالة الاجتماعية الفضلى، والتسامح النير، والمعاملة الإنسانية، والجدال الحسن، وتطبيق سياسة لا إكراه في الدين . وقد تمرد الأمازيغ عن الإسلام في البداية - كما يقول ابن خلدون- أكثر من اثنتي عشرة مرة، لكنهم لما اكتشفوا سماحة هذا الدين، وحلاوة تعاليمه الربانية، وإنسانيته في التعامل،

---

[4] - نعيمة الخطيب بوجيبار: **ميموريال المغرب**، الجزء الأول، ص:129.
[5] - محمد بوكبوط: **الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات**، مركز طارق بن زياد ، الرباط، طبعة 2002م، ص:29.
[6] - محمد بوكبوط: **الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات**، ص:60.

اعتنقوا الدين الجديد، وتقبلوا رجاله ومبادءه، واستسلموا لسلطته الدينية والسياسية بطواعية وإخلاص.
وفي الوقت نفسه، عرف البحر الأبيض المتوسط فترات حالكة بسبب الحروب والحقد وسوء التفاهم، والرغبة في التوسع والهيمنة، والسيطرة على الشعوب المجاورة الضعيفة بغية استغلالها، والاستيلاء على ثرواتها وممتلكاتها. ومن الحروب التي شهدها البحر المتوسط الحرب الإغريقية - الفارسية، والحروب البونيقية بين الرومان وقرطاجة، والحروب الرومانية ضد الأمازيغ، والحروب الصليبية ضد المسلمين، وحروب الجهاد ضد النصارى، وحروب القرصنة، ومعركة القسطنطينية، ومعارك الدولة العثمانية في صراعها مع دول البلقان، وحروب التوسع الإمبريالي التي أدت إلى الحربين العالميتين: الأولى والثانية.
ويتأكد لنا، من هذا كله، أن البحر الأبيض المتوسط هو منبع الحضارات المتقدمة اليانعة التي ساهمت في تنوير العالم من جهة، وتغييره إيجابيا من جهة أخرى، قصد تحريره من عالم الظلمة والجهل والتخلف، وإخراجه إلى عالم النور والازدهار والتقدم.

وخلاصة القول: إن البحر الأبيض المتوسط هو الذي رفع الإنسان المتوسطي بصفة عامة، والإنسان الأمازيغي بصفة خاصة، وسما به ذهنيا وأخلاقيا وماديا وروحيا بصفة أخص. ويتميز هذا البحر بتعدد الأديان، واختلاف الشعوب، وكثرة الأعراق، وتنوع الثقافات، وازدهار الفنون، وانتعاش الآداب. ولقد انطلق، من هذا البحر الواسع الشاسع، التفكير الفلسفي، والتفكير العلمي. ومن ثم، فلقد تجاوز هذا التفكير الوضعي الوعي الأسطوري والتفكير اللاهوتي نحو بناء الحضارة الغربية المعاصرة المتمدنة، في ضوء التكنولوجيا المعاصرة، سواء أكانت تقنية أم رقمية.
بيد أن هذا البحر الهادئ الدافئ المسالم سرعان ما تحول إلى ساحة للمعارك الملاحية والجوية والبحرية بسبب الأحقاد والأطماع والنزاعات الواهمة الزائفة. وكذلك بسبب الرغبة في السيطرة الاستعمارية، وطمعا في الهيمنة الإمبريالية، وبحثا عن التوسع الاستيطاني .



الشمال
بحر الظلمات
بحر بنطش
بحر الروم
طنجة
تلمسان
قرطاجة
تونس
القيروان
تهودة
أغادير
المغرب الأقصى
طرابلس
برقة
درنة
ودان
دمشق
الشام
الفسطاط
مصر
بحر القلزم
حملة عقبة بن نافع الأولى وانشاء القيروان
حملة أبي المهاجر بن دينار حتّى تلمسان
حملة عقبة بن نافع الكبرى حتّى استشهاده
حملة حسّان بن النعمان

الفصــل الأول:

أصــول الإنســان الأمازيغــي

لقد أسالت قضية أصول الأمازيغيين كثيرا من الحبر والمداد بين العلماء والمثقفين والباحثين، سواء أكانوا غربيين أم أمازيغ أم عربا، فتعددت الدراسات والأبحاث والكتب التي تناولت التنقيب في جذور البربر أو الأمازيغ. فاتخذت بعض الدراسات منحى علميا موضوعيا في الاستقراء والاستبيان والاستكشاف، معتمدة في ذلك على الحجج والأدلة المنطقية، والتاريخية، والحفرية، والسلالية، والإثنوغرافية. في حين، اتسمت دراسات أخرى بالذاتية والتحيز والادعاء، واتباع الظن والهوى، أو سارت وفق أغراض سياسية أو إيديولوجية محضة، ولاسيما الدراسات الكولونيالية والاستمزاغية منها.
إذاً، ما أصول البربر أو الأمازيغيين؟ وما أهم مواطنهم ؟ وما أهم الهجرات التي قاموا بها ؟ وما أهم النظريات التي اعتمدت في هذا الصدد؟ هذا ما سوف نرصده في هذه المباحث والمطالب التالية.

المبحث الأول: أهم التصورات والنظريات حول أصــول البربــر

يختلف كثير من الدارسين في تحديد جذور الأمازيغ ، فقد جمع محمد خير فارس آراء مجموعة من الأنتروپولوجيين، فحصرها في عدة نماذج بربرية،" أحد هذه النماذج يمت إلى شعوب البحر المتوسط، والثاني يعود إلى أصول مشرقية، والثالث إلى أصول ألبية. وكما يقول ديبوا: هناك أيضا نموذج رابع هو النموذج الأبيض الأشقر، ولايمكن ربطه بالاحتلال الوندالي، فهو موجود منذ القديم."[7]
بمعنى أن هناك مجموعة من التصورات المتنوعة والمختلفة والمتضاربة حول أصول الإنسان الأمازيغي. فهناك التصور السامي، والتصور الحامي، والتصور الهندوأوروبي، والتصور الأفريقي المحلي. فما التصور الأقرب إلى العلم والمنطق والعقل والصواب؟ هذا ما سوف نستجليه عبر العناصر التالية:

---

[7] - محمد خير فارس:**تنظيم الحماية الفرنسية(1921-1939) في المغرب**،دمشق، سورية، صص:192-456.

يختلف كثير من الدارسين في تحديد جذور الأمازيغ . فقد جمع محمد خير فارس آراء مجموعة من الأنتروپولوجيين، فحصرها في عدة نماذج بربرية،" أحد هذه النماذج يمت إلى شعوب البحر المتوسط، والثاني يعود إلى أصول مشرقية، والثالث إلى أصول ألبية. وكما يقول ديبوا: هناك أيضا نموذج رابع هو النموذج الأبيض الأشقر، ولايمكن ربطه بالاحتلال الوندالي، فهو موجود منذ القديم."[8]

بمعنى أن هناك مجموعة من التصورات المتنوعة والمختلفة والمتضاربة حول أصول الإنسان الأمازيغي. فهناك التصور السامي، والتصور الحامي، والتصور الهندوأوروبي، والتصور الأفريقي المحلي. فما التصور الأقرب إلى العلم والمنطق والعقل والصواب؟ هذا ما سوف نستجليه عبر العناصر التالية:

المطلب الأول: الأصـــل السامــــي

هناك مجموعة من الباحثين يذهبون إلى أن الأمازيغ من أصول مشرقية عربية حميرية، هاجروا بسبب الجفاف، وتغير المناخ، وكثرة الحروب إلى شمال أفريقيا، من اليمن والشام، عبر الحبشة ومصر، فاستقروا في شمال أفريقيا، وبالضبط في غرب مصر، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وشمال السودان ، ومالي، والنيجر ، وبوركينا فاصو، وجزر الكناريا، والأندلس، وجزر صقلية بإيطاليا. وفي هذا الصدد، يقول عثمان الكعاك، في كتابه (**البربر**)، " ومعظم الباحثين يذهبون إلى أن البربر من أصل سامي أولي.أي: من أبناء سام بن نوح لا يافت بن نوح، فقد كانت الجزيرة العربية، موطن الساميين، مغشاة بالثلوج في شمالها، فكانت اليمن بلاد اليمن والخير، وهي مهد أبناء سام الأولين، مختلطين مع أولاد أعمامهم أبناء حام. فلما انحسرت الثلوج، اشتدت الحرارة، وقحلت البلاد، وتفرق سكانها ، فانتقل الفرع السامي من البربر والنوبة والحبشة وقدماء المصريين إلى أفريقيا ، واستوطنوها، فانفرد البربر بشمال أفريقيا، والحبشة بإفريقيا الشرقية، والسودان بأفريقيا الشرقية والوسطى.وهذا ما

---

[8] - محمد خير فارس:**تنظيم الحماية الفرنسية(1921-1939) في المغرب**،دمشق، سورية، صص:192-456.

ذهب إليه العرب، وهو مشهور المذهب عند الأوروبيين اليوم، لاسيما علماء الألمان الذين هم نزهاء في بحوثهم، ويتبعهم في ذلك الإيطاليون."[9]
 ويرى ابن خلدون أن البربر من نسل مازيغ بن كنعان.بمعنى أن أصول البربر كنعانية مشرقية. وفي هذا الصدد، يقول ابن خلدون:"إن أفريقش بن قيس بن صيفي، من ملوك التبابعة، لما غزا المغرب وإفريقية، وقتل الملك جرجيس، وبنى المدن والأمصار، وباسمه زعموا سميت إفريقية لما رأى هذا الجيل من الأعاجم، وسمع رطانتهم، ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك، وقال ما أكثر بربرتكم، فسموا بالبربر، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة. ومنه يقال بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة. وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم، فان علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان، وهما برنس ومادغيس ، ويلقب مادغيس بالأبتر. فلذلك، يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس، وهما معا ابنا بر، وبين النسابين خلاف هل هما لأب واحد، فذكر ابن حزم عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار أنهما لأب واحد على ما حدثه عنه يوسف الوراق، وقال سالم بن سليم المطماطي وصابى بن مسرور الكومي وكهلان بن أبي لووهم نسابة البربر أن البرانس بتر، وهم من نسل مازيغ بن كنعان، والبتر بنو بر بن قيس بن غيلان ، وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبي يزيد، إلا أن رواية ابن حزم أصح؛ لأنه أوثق. (وأما) شعوب البرانس، فعند النسابين أنهم يجمعهم سبعة أجذام ، وهي أزداجة، ومصمودة، وأوربة، وعجيسة، وكتامة ، وصنهاجة، وأوريغة، وزاد سابق بن سليم وأصحابه لمطة، وهسكورة، وجزولة..."[10]
ويعني هذا - حسب ابن خلدون- أن الأمازيغ كنعانيون قد تبربروا. أي: إن البربر هم أحفاد مازيغ بن كنعان[11]. وفي هذا المقام، يقول ابن خلدون أيضا:" والحق الذي لاينبغي التعويل على غيره في شأنهم؛ إنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح؛ كما تقدم في أنساب الخليقة. وأن اسم أبيهم مازيغ،

---

[9] - عثمان الكعاك: **البربر**، ص:59.
[10] - ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، الجزء السادس، دار الفكر، د.ت، ص:90-91.
[11] - عز الدين المناصرة: **المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب**، دار الشروق، الأردن، الطبعة الأولى 1999م، ص:77.

وإخوتهم أركيش ، وفلسطين إخوانهم بنو كسلوحيم بن مصرايم بن حام". [12]
و قديما، قد قال القديس الجزائري الأمازيغي أوغسطين قولة مأثورة ، وهي أن الأمازيغ كنعانيو الأصل:" إذا سألتم فلاحينا عن أصلهم؛ سيجيبون : نحن كنعانيون"[13]
ويؤيد هذا الطرح الباحث الفلسطيني عزالدين المناصرة الذي أرجع الأمازيغيين وكتابتهم إلى أصول كنعانية إما فلسطينية، وإما فينيقية لبنانية: " لقد أخذت الأمازيغية نظام تربيع الحروف من هذه اللغات (يقصد اللغات السامية)، كما أخذت نظام الحركات (الإشارات والتنقيط) من النظام الفلسطيني والنظام الطبراني. لكن أقرب مصدر للأمازيغية (حروف التيفيناغ التواركية) هواللغة الكنعانية الفينيقية القرطاجية. فالمصدر الأساسي للأمازيغية - إذاً- هو الألفبائية الكنعانية التي تفرعت منها كل لغات العالم.
وقد أثرت الكنعانية مباشرة في اليونانية، ومن اليونانية، ولدت اللاتينية والسلاڤية. فالأمازيغية لغة سامية حامية. والكنعانية هي اللغة الأولى في العالم التي مكنت الإنسان من تصوير كل صوت من أصوات اللغة برمز(المبدأ الأكروفوني). وصارت مجموعة الرموز تعكس كلمات بألفاظها وأصواتها. واحتفظ اليونانيون بأسماء الحروف الكنعانية. ولا خلاف على جغرافية بلاد كنعان، فهي(فلسطين ولبنان وسوريا والأردن)، لكن فلسطين كانت هي المركز...." [14]
ويرى أحمد هبو أن " الكتابة البربرية القديمة (تيفيناغ) استوحت مبادئها من الكنعانية الفينيقية. ولا علاقة للأمازيغية باللاتينية من قريب أو بعيد."[15]

---

[12] - ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،دار الكتاب اللبناني، بيروت،طبعة 1968م، المجلد السادس، ص:191.

[13] - E.F.Gautier: **Le passé de l'Afrique du Nord**,(les siècles obscures), Payot,Paris,1952, p:139.

[14] - عز الدين المناصرة: **المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب**، ص:76.

[15] - أحمد هبو: **الأبجدية: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب**، منشورات دار الحوار، اللاذيقية، سوريا، الطبعة الأولى، سنة 1984م.

ويتبين لنا، مما سبق ذكره، أن البربر عرب حميريون من بني قحطان، موطنهم الشرق العربي، بما فيهم اليمن والشام. وقد نزلوا بشمال أفريقيا عن طريق الحبشة ومصر. لكن الاختلاف يكمن في شجرة النسب. فثمة روايات مختلفة في ذلك تتمثل في أن البربر ولد إبراهيم من ابنه نقشان، أو يمنيون هاجروا إلى شمال أفريقية، أو من قبائل لخم وجذام سكان فلسطين الذين طردهم الفرس، أو من ولد النعمان بن حمير بن سبإ،أو من قوم جالوت، أو من كنعان والعماليق أنزلهم أفريقيش بلاد أفريقية، أو من قبائل شتى: حمير، والأقباط، والعماليق، وكنعان، وقريش[16].

المطلب الثاني: الأصـــل الحامـــي

هناك من الباحثين من يقول بالأصل الحامي للبربر. بمعنى أن البربر من أبناء حام بن نوح، هاجروا الجزيرة العربية، فاستقروا في السودان وبلدان شمال أفريقيا. وتنتمي لغتهم البربرية إلى الفصيلة الحامية التي تلتقي فيها مع بعض اللغات الأفريقية ، مثل: الكوشيتية، والمصرية. ويهدف هذا التصور إلى عزل البربر عن العرب. وقد نشأ هذا التصور في ألمانيا سنة 1912م مع صاحبه س.ماينهوف. وقد تبنى أحمد بوكوس هذا التصور؛ حيث اعتبر البربرية " لغة مستقلة من حيث العلاقة الوراثية التاريخية بالنسبة للعربية الفصحى، إذ تنتمي الأمازيغية إلى ما يسمى بفصيلة اللغات الحامية، بينما تدخل العربية ضمن فصيلة اللغات السامية، وإن كانت هاتان الفصيلتان تشتركان على مستوى أعلى في إطار فصيلة الحامية-السامية، وفي الفصيلة الأفريقية – الآسيوية.[17]"
بيد أن هذه النظرية" لم تعمر طويلا؛ لعدم وجود وحدة لغوية داخلية حقيقية بين لغات المجموعات الثلاث(البربرية، والمصرية، والكوشيتية).لذا، أخرجت منها المصرية ، وألحقت بالسامية في وقت مبكر، وكذلك البربرية التي وصفها عالم البربريات روسلر بأنها سامية جدا.

[16] - محمد حقي: **البربر في الأندلس**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2001م، ص:17.
[17] - أحمد بوكوس: **الأمازيغية والسياسة اللغوية والثقافية بالمغرب**، ص:15.

وبما أن علم اللغة المقارن أثبت وجود أواصر لغوية بين الحامية وما يسمى بالسامية، وبدل أن يدمجا في مجموعة واحدة، فقد وقع الجمع بينهما مع المحافظة على فكرة الفصل، واستعملت لهما هذه التسمية (الحامية – السامية)أو (السامية-الحامية)."[18]

والدليل كذلك على التصور الحامي ما ذهب إليه محمد الشطيبي الأندلسي، في كتابه التاريخي (**الجمان في مختصر أخبار الزمان**)، إلى أن أصول البربر حامية، تعود إلى حام بن نوح الذي هرب مع بنيه إلى أفريقيا الشمالية، بعد هزيمته أمام بني سام. وأكثر من هذا، فإن جالوت البربري قد هرب مع بنيه إلى أفريقيا، بعد أن طرده داود عليه السلام من بلاد فلسطين، بعد هزيمته النكراء أمامه. وفي هذا السياق، يقول الشطيبي: " ذكر أهل علم السير أن بني حام تنازعوا مع بني سام، فانهزم بنو حام، وخرج إلى المغرب هو وبنوه، وتناسلوا فيه، فاتصل بنوه من أرض مصر إلى آخر المغرب إلى مجاوره السودان، وكان بسواحل المغرب الأقصى الإفرنج والأفارقة، فكانت ذرية حام في المداشر والخيام والأعاجم الأول في البلدان، وبقيت أكثر أولاد حام في بلاد فلسطين من أرض الشام إلى زمن داود عليه السلام، وهو أول نبي أتاه الله الملك وعلمه مما يشاء.

وكان فيهم ملوك الخلافة، كل ملك يسمونه جالوت، كما سميت الفرس ملوكهم الأكاسرة والروم القياصرة والعرب الأقيال وحمير. فلما قتل داود جالوت، ملك البربر، أمر بخروجهم من بلاد كنعان بفلسطين، وأمر بجلائهم إلى جزيرة المغرب، فساروا نحو إفريقية ونحو الزاب حتى ضاقت بهم تلك البلاد، وامتلأت بهم الجبال والكهوف والرمال، وصاروا يتبعون القطر بالإبل وبيوت الشعر، ولم يقدر الإفرنج على ردهم ولا دفعهم، فانحازت للمدن، وبقيت البربر فيما عدا المدن. وهم مع ذلك على أذكار مختلفة، يعبد كل واحد منهم ما شاء من الأديان الفاسدة، فمنهم من تنصر، ومنهم من تهود، ومنهم من تمجس إلى زمن الإسلام، ومعهم رؤساء وملوك وكهان، ولهم حروب وملاحم عظام مع من قارعهم."[19]

---

[18] - محمد المختار العرباوي: **البربر مشارقة في المغرب**، المطبعة والوراقة الدوديات، مراكش، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2012م، ص:42-43.

[19] - محمد الشطيبي: **الأمازيغ (البربر) عبر التاريخ**، تحقيق: الدكتور عبد الحفيظ الطيبي، رباط نيت، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2014م، ص:19.

وهناك من أرجع نسلهم إلى القبط المصريين، وهم من نسل حام بن نوح.
"وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر، صاحب التمهيد، في كتاب الأنساب: « البربر من القبط ، والقبط هو ولد قبط بن حام بن نوح عليه السلام، أول ما نزل قبط بن حام مصر وأورث بها بنيه، وهم القبط التي كانت ملوكهم الفراعنة ومنهم تَنَسَّلَت البربر». وأما تسميتهم البربر، فذلك لما صار ملك مصر لقيس عيلان، كان له ولد يسمى بر ، فخرج مغاضبا لأبيه وإخوته إلى ناحية المغرب، فقال الناس بربر، أي: توحش في البراري، فسموا بربرا. وقد ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم في بعض أحاديثه فقال : { إن لي أنصارا، فأنصاري الذين أووا ونصروا، وأنصار ذريتي البربر الذين يأوون ذريتي ويكرمونهم}. وقد كان من جدودهم من يوصيهم بإتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم كالنعمان الحميري، فإنه سكن بالمغرب أربعة عشر ولدا من بنيه، وقال : سيبعث نبي كريم اسمه محمد، فآمنوا به واتبعوه.[20] "
وهكذا، يتبين لنا أن التصور الحامي ليس تصورا علميا موضوعيا، بشكل مطلق، نظرا لتداخل البنيات اللغوية السامية مع البنيات اللغوية الحامية داخل النسق اللساني البربري.

المطلب الثالث: الأصـــل الهنـــدي الأوروبـــي

هناك مجموعة من الباحثين من يقول بأن الأمازيغين قد أتوا من الهند، فاستقروا في أوروبا، وهم من أولاد يافت. والدليل على أوروبيتهم شعرهم الأشقر. وفي هذا ، يقول عثمان الكعاك:" يذهب البعض من العلماء إلى أن البربر من أصل هندي أوروپي .أي: من الأصل اليافتي المنسوب إلى يافت بن نوح عليه السلام، خرجوا في عصور متقادمة من الهند، ومروا بفارس ثم بالقوقاز، واجتازوا شمال أوروپا من فينلاندا إلى إسكنديناڤيا، ثم بريطانيا الفرنسية، ثم إسپانيا، ويستدلون على ذلك بالمعالم الميغاليتية أو معالم الحجارة الكبرى من المصاطب(الدولمين)، والمسلات(المنهيد)، والمستديرات(الخروملیکس) التي بثوها على طول هذه الطريق، وهي

---

[20] - محمد الشطيبي: **الأمازيغ (البربر) عبر التاريخ**، ص:20.

توجد بشمال أفريقيا، وتنتهي بالمفيضة. كما يستدلون بأسماء قبائل الكيماريين بفينلاندا والسويد وبني عمارة في المغرب وخميس بتونس، فالأسماء متشابهة جدا؛ أو بالحرف الروني المنقوش على المعالم الميغالينية، فإنه يشبه الخط اللوبي المنقوش على الصخور بشمال أفريقيا، ولبعض الخصائص البشرية، كبياض القوقازي، وزعرة الشعر المتصف بها الشماليون.".[21]

وتذهب الدراسات التاريخية اليونانية والرومانية القديمة إلى أن أصل البربر أوروبي، أو أنهم اختلطوا بالأوروبيين، " فأبو التاريخ هيرودوت (Herodotes) لايتردد في نسبتهم إلى الطرواديين الذين طردوا من طروادة، بعد أن حطمها التحالف الإغريقي ما بين القرنين 11و12 قبل الميلاد.وترد رواية أخرى عن الإغريق تنسب البربر إلى مدينة ميسينا.

ويذهب سالوست(Saluste) إلى أن سكان شمال أفريقيا الأوائل هم الجيتوليون والليبيون . وبعد ذلك، قاد هرقل إلى المنطقة عناصر ميدية وأرمينية وفارسية انطلاقا من إسبانيا، فاختلط الميديون والأرمن مع الليبيين، بينما اندمج الفرس مع الجيتوليين...وورد عن سترابون أنهم هنود، وقادهم إلى المنطقة هيرقليس."[22]

وتعد الدراسات الاستعمارية، أو الكولونيالية السباقة، إلى القول بأوروبية الإنسان البربري، كما نجد ذلك بينا عند لويس رين (Louis Rinn) [23]، وكامبس(Camps)[24] ، وبريموند (Bremond)[25]، وغيرهم... فقد أثبتوا أن هجرة البربر الأوروبيين إلى شمال أفريقيا كانت عن طريق صقلية وجبل طارق. وقد نفى بالو " أن تكون هناك صلة بين القارتين الأفريقية والأوروبية قبل العصر الحجري الحديث."[26]

---

[21] - عثمان الكعاك:نفسه، ص:59-60.

[22] - محمد حقي: **البربر في الأندلس**، ص:16.

[23] -Louis Rinn : **Les origines berbères, études linguistiques et ethnoloqiques**,Alger,1889.

[24] - G.Camps : **Aux origines de la berbèrie, rites et monuments funeraires**, Paris, 1961 : p : 29.

[25] -Gl.E.Bremond : **Berbèrie et arabes**, Payot, Paris, 1938.

[26] - محمد المختار العرباوي: **البربر مشارقة في المغرب**، ص:42.

وهكذا، يتبين لنا، من خلال هذه الفقرة، أن أصول البربر هندوأوروبية، جاؤوا من الهند، واستقروا بأوروبا، ثم انتقلوا إلى شمال أفريقيا.

المطلب الرابع: الأصـــل المحلـــي أو الأفريقـــي

هناك مجموعة من الباحثين والدارسين الأمازيغيين المحليين من يدافع عن الأصول الأفريقية للسكان الأمازيغ (إبراهيم أخياط[27]، ومحمد شفيق مثلا)، ويعتبرونهم وحدهم السكان الأقدمين الذين استوطنوا شمال أفريقيا منذ زمن قديم . وأنه من العبث البحث في جذور الأمازيغيين، كما يتضح ذلك جليا في قولة محمد شفيق:" إن المؤرخين العرب كادوا يجزمون، في العصر الوسيط، أن" البربر" من أصل يماني. أي: من العرب العاربة الذين لم يكن لهم قط عهد بالعجمة؛ وعلى نهجهم سار المنظرون للاستعمار الفرنسي الاستيطاني في القرن الماضي وأوائل هذا القرن، فأخذوا يتمحلون البراهين على أن البربر أوروپيو المنبت، خاصة الشقر والبيض منهم. ومن الواضح أن الحافز في الادعاءين كليهما سياسي، سواء أكان صادرا عن حسن نية أم كان إرادة تبرير للاستيطان.
ومع تراجع الاستعمار الأوروپي عن أفريقية الشمالية، أخذت هذه المسألة العلمية تفرض على الباحثين كل تحفظ لازم، لاسيما تجاه المصادر المكتوبة، مالم تدعمها معطيات أخرى أكثر ضمانا للموضوعية. وقد عمل بجد، خلال الأربعين سنة الأخيرة، على استغلال الإمكانيات الأركيولوجية والأنتروپولوجية واللسنية في البحث عن أصل الأمازيغيين، أو عن أصول المغاربة على الأصح. والنتائج الأولى التي أفضت إليها البحوث أن سكان أفريقية الشمالية الحاليين في جملتهم لهم صلة وثيقة بالإنسان الذي استقر بهذه الديار منذ ماقبل التاريخ، أي منذ ما قدر بـــ9.000 سنة ، من جهة؛ وأن المد البشري في هذه المنطقة، كان دائما يتجه وجهة الغرب انطلاقا من الشرق، من جهة أخرى. وبناء على هذا، **يمكن القول إن من العبث أن يبحث لــ" بربر" عن موطن أصلي، غير الموطن الذي نشأوا فيه منذ مايقرب من مائة قرن.** ومن يتكلف ذلك البحث يستوجب على نفسه أن

---

[27] - محمد أخياط: **لماذا الأمازيغية؟**، سلسلة الدراسات الأمازيغية، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، القنيطرة، طبعة 1981م، ص:21.

يطبقه في التماس موطن أصلي للصينيين مثلا، أو لهنود الهند والسند، أو لقدماء المصريين، أو لليمانيين أنفسهم، وللعرب كافة، ليعلم من أين جاؤوا إلى جزيرة العرب."[28]

وهكذا، يتبين لنا أن أصول الأمازيغ أفريقية محلية، أصلهم من أفريقيا الشمالية، وموطنهم هو تامازغا، أو المغرب الكبير، أو شمال أفريقيا التي تمتد حتى السودان، ومالي، ونيجيريا، وبوركينافاصو، وبلاد الطوارق، وجزر كناريا...

المطلب الخامس: الأصـــل المـــزدوج للأمازيغييـــن

هناك باحثون آخرون يقولون بالأصل المزدوج للبربر ، فهم - حسب هذا الرأي- يجمعون بين السلالتين: السلالة السامية والسلالة الهندو أوربية،" فالسلالة الأولى هي الهندية الأوروپية التي نزحت إلى إفريقيا من آسيا ثم أوروپا على طريق صقلية وجبل طارق، وبالأسلوب الذي ذكرناه في قولة سابقة ؛ والسلالة الثانية سامية أولى كما وصفنا، ثم التقت السلالتان بالمغرب، وهذا مايفسر لنا اختلاف الخصائص البشرية عند البربر في السحنة، ولون الشعر والعيون، وشكل الجمجمة، وحتى اللهجات، وهذا ما يفسر أيضا الخلاف القائم بين مصمودة وصنهاجة مثلا."[29]

ويعني هذا الرأي أن سلالة البربر هندية أوروبية من جهة، وسامية من جهة أخرى.أي: إن مجموعة من البربر جاءت من الهند وأوروبا، وجاءت مجموعة أخرى من اليمن والشام. ونجد لهذا التصور تجسيدا حقيقيا في منطقة الريف من الجهة الشمالية الشرقية من المغرب. فهناك أناس بشعر أشقر يشبهون الأوروبيين كثيرا. في حين، هناك أناس آخرون يميلون إلى السلالة السامية ببشرتهم السمراء تارة، أو ببشرتهم البيضاء تارة أخرى.

المبحث الثاني: مناقشـــة الآراء السابقـــــة

---

[28] - محمد شفيق: نفسه، ص:19-20.

[29] - عثمان الكعاك:نفسه، ص:59-60.

يعد الأمازيغ والعرب - في اعتقادنا - من جذور سلالية وجينيولوجية واحدة، وهي الجذور الكنعانية السامية، ومن موطن واحد هو شبه الجزيرة العربية. وفي هذا السياق، يقول ليون الأفريقي في كتابه (**وصف أفريقيا**):" لم يختلف مؤرخونا كثيرا في أصل الأفارقة، فيرى البعض أنهم ينتمون إلى الفلسطينيين الذين هاجروا إلى أفريقيا حين طردهم الأشوريون، فأقاموا بها لجودتها وخصبها، ويزعم آخرون أن أصلهم راجع إلى السبئيين(أي الحميريين) الذين كانوا يعيشون في اليمن، قبل أن يطردهم الأشوريون أو الإثيوبيون منها، بينما يدعي فريق ثالث أن الأفارقة كانوا يسكنون بعض جهات آسيا، فحاربتهم شعوب معادية لهم، وألجأتهم إلى الفرار إلى بلاد الإغريق الخالية آنذاك من السكان، ثم تبعهم أعداؤهم إليها، فاضطروا إلى عبور بحر المورة واستقروا بإفريقيا، بينما استوطن أعداؤهم بلاد الإغريق . كل هذا خاص بالأفارقة البيض القاطنين في بلاد البربر ونوميديا.
أما الأفارقة السود بمعنى الكلمة فإنهم جميعا من نسل كوش بن حام بن نوح. ومهما اختلفت مظاهر الأفارقة البيض والسود، فإنهم ينتمون تقريبا إلى الأصل نفسه، ذلك أن الأفارقة البيض، إما أتوا من فلسطين – والفلسطينيون ينتسبون إلى مصرائيم بن كوش-، وإما من بلاد سبأ، وسبأ بن هامة بن كوش-."[30]
يتضح لنا ، مما سبق ذكره، أن موطن البربر قد يكون فلسطين، أو شبه جزيرة العرب، أو اليمن، أو الشام، أو فارس، أو بعض بلدان آسيا، أو مصر، أو اليونان، أو أوروبا، أو أفريقيا، أو يكون موطنهم هو تامازغا، بل يمكن القول بأنهم هم الذين هاجروا إلى هذه المناطق في فترات مختلفة، فاختلطوا مع هذه السلالات العرقية...
وعلى العموم ، يشترك الأمازيغ مع العرب في الأصل السامي الكنعاني، وفي موطن الانحدار والانطلاق الذي يتمثل في الجزيرة العربية. وهذا الرأي هو أقرب إلى الصواب. وبعد ذلك، تفرق سكان الجزيرة العربية شذر مذر لأسباب مناخية، واجتماعية، ودينية ، وأيضا بسبب الحروب والنزاعات الفردية والجماعية، وبسبب الفتوحات والهجرات شرقا،

[30] - ليون الأفريقي: **وصف أفريقيا**، ترجمة عن الفرنسية:محمد الأخضر ومحمد حجي الجزء الأول،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،1983م، ص:35.

وغربا، وشمالا، وجنوبا. ودليلنا المقنع ، في ذلك، هو أن آدم وحواء قد نزلا، في بداية نزولهما فوق الأرض، في الشرق، ثم خلفا ذرية تكاثرت وتوسعت وتصارعت، فافترق الأبناء والأحفاد في مناطق شتى بحثا عن مصدر عيشهم، وبحثا عن الأمن والاستقرار. فلا يعقل أن يكون الإنسان الأمازيغي قد وجد في شمال أفريقيا قبل تواجد آدم وحواء؛ لأن ذلك يتنافى مع أدلة النصوص الدينية ومعطياتها التاريخية والإخبارية.

ويمكن الاستعانة - كذلك - بالدليل اللغوي على الأصول الكنعانية المشرقية للبربر، مادمت اللغة البربرية تنتمي إلى الفصيلة السامية- الحامية.ويعني هذا أن هذه الفصيلة اللغوية تؤشر على وحدة الموطن المشرقي للغة البربرية. وفي هذا النطاق، يقول عباس الجراري: " وإذا كانت الدراسات السلالية لم تقنع مثل هؤلاء الدارسين بالأصل الحقيقي للبربر، فإن البحث اللغوي كان أقدر على الاقتناع، حيث انتهى إلى أن اللغة البربرية تنتسب للمجموعة الحامية السامية.فهي ، بما يتفرع عنها من لهجات منتشرة في أماكن متفرقة داخل البلاد التي استقر بها البربر منذ فترة ماقبل التاريخ.أي: من غرب مصر عند واحدة سيوة شرقا حتى ساحل المحيط الأطلسي غربا، ومن شواطئ المتوسط شمالا حتى جنوب نهر نيجيريا جنوبا."[31]

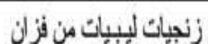
علاوة على هذا، يمكن القول بأن أصول الأمازيغ عربية من جهة، وأوروبية من جهة ثانية، وأفريقية من جهة ثالثة. والدليل على ذلك أن ثمة ملامح يتصف بها الإنسان الأمازيغي تقربه من السلالة الأوروبية، كالشعر الأشقر، وبيض الوجوه، والعيون الزرقاء. وهناك ملامح أفريقية تتجلى في البشرة السوداء، والطابع الزنجي، والعادات الأفريقية المشتركة خاصة في مجال الغناء، والموسيقا، والفنون. وهناك ملامح عربية مشرقية على صعيد اللغة، والعادات والتقاليد والأعراف، والبنية الجسدية.

وخلاصة القول، يمكن التأكيد أن قضية أصول الإنسان الأمازيغي أو البربري مسألة سلالية وإثنوغرافية شائكة ومعقدة ومركبة. يصعب حلها بشكل علمي دقيق نظرا لاختلاط الذاتي بالموضوعي، وتداخل الديني مع

---

[31] - عباس الجراري: **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه،** مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الثانية، سنة 1982م ، صص:17-18م.

الأيديولوجي، ونقص في الوثائق والأدلة العلمية المقنعة والراجحة. وتبقى جميع هذه التصورات والنظريات مجرد احتمالات وافتراضات، ليس لها أي أساس علمي، أو مستند موضوعي مقنع أو راجح.
ومن ثم، يمكن القول بأن ثمة مجموعة من التصورات المختلفة حول الأصل الأمازيغي. فهناك التصور السامي، والتصور الحامي، والتصور الهندوأوروبي، والتصور الأفريقي والمحلي. لكن يبقى التصور السامي أقرب إلى الحقيقة والصواب لوجود أدلة مختلفة ومتنوعة، تميل إلى رجحان هذا الموقف بشكل من الأشكال.



زنجيات ليبيات من فزان


الإنسان الأمازيغي بثلاث بشرات: أوروبية، ومشرقية، وزنجية أفريقية.

الفصل الثاني:

تسمــيات الأمازيغيـــن

عرف سكان شمال أفريقيا بتسميات عدة، واختلف حولها الباحثون والدارسون، وخاصة سبب تلك التسميات، ومن أطلقها على تلك الساكنة. ويعني هذا كله أن أهل تامازغا هم أكثر الأقوام الذين أثاروا الكثير من الأسئلة الإثنوغرافية، والتاريخية، والجغرافية، والثقافية، والدينية. فألفت فيهم كثير من الكتب والدراسات والمؤلفات والمقالات التي تتناول مختلف تجليات الحضارة التي عرفتها تامازغا قديما وحديثا، في مختلف مجالات الحياة، وعلى جميع الأصعدة والمستويات.
إذاً، ما أهم التسميات التي أطقت على سكان شمال أفريقيا؟ و من هم الذين أطلقوها؟ و ما سبب تلك التسميات؟ وما دلالاتها اللغوية والتاريخية والإثنية؟

المبحث الأول: تسميـــات الأمازيغييـن

أطلقت تسميات عدة على سكان شمال أفريقيا . فهناك من سموهم بالبربر، أو الأمازيغ، أو الموريين، أو الأفارقة، أو الليبيين، أو الجلوتيين، أو النوميديين... ويمكن تتبع هذه التسميات على النحو التالي:

المطلب الأول: البـــربـــر

يعد اسم البربر أكثر اقترانا بساكنة شمال أفريقيا، واختلف الدارسون في هذا المصطلح بين العلماء العرب والغربيين. وقد قيل بأن مصطلح البربر، أو بارباروس (BARBAROS)، أطلقه اليونان على الأجانب، بما فيهم اللاتين وساكنة تامازغا. ثم أخذه الرومان ، فأطلقوه على ساكنة شمال أفريقيا الذين هم خارج نطاق الروم. ومن ثم، لاتقتصر دلالة البربر على الأجنبي فقط، بل تحمل أيضا دلالة قدحية. فهي تدل على الهمجي والمتوحش والعنيف من جهة، وعلى الذي يتكلم كلاما غريبا مبهما وغير واضح من جهة أخرى.

و" يعتقد بوسكي[32] (Bosquet) أن الكلمة من أصل لاتيني وتعني (Barbarus) .أي: الشخص الذي لا ثقافة له، والذي ينتمي إلى مجموعة مختلفة من الشعوب المتخلفة التي كانت تعيش خارج نطاق روما.على أن البربر إنما يسمون أنفسهم بالأمازيغ .أي: الأحرار."[33]

ويقول شارل أندري جوليان(Julien)، في كتابه(**تاريخ شمال أفريقيا**)، "لم يطلق البربر على أنفسهم هذا الاسم، بل أخذوه من دون أن يروموا استعماله عن الرومان الذين كانوا يعتبرونهم أجانب عن حضارتهم، وينعتونهم بالهمج ((Barbari))، ومنه استعمال العرب كلمة برابر وبرابرة (مفرد بربري)"[34].

وقد حافظ العرب على هذا الاسم، كما استعمله الروم ، في أثناء فتوحاتهم لبلدان شمال أفريقيا. وبعد ذلك، تبناه الدارسون الأوروبيون في أبحاثهم ودراستهم، وأخص الكولونياليين والمستمزغين منهم، فكانت دراساتهم تحمل اسم (Berbère). ثم، جاء الدارسون العرب المحدثون والمعاصرون، فاستعملوا المصطلح نفسه بالدلالات نفسها، أو بدلالات بحثية محضة.

ومن جهة أخرى، يرى ابن خلدون أن أول من أطلق اسم البربر هو أفريقش بن قيس بن صيفي حينما غزا شمال أفريقيا، فوصف به جماعة من القوم تتكلم كلاما أعجميا مبهما غير واضح؛ حيث تختلط فيه الأصوات، ولا تكاد تبين . وفي هذا الصدد، يقول ابن خلدون:"إن أفريقش بن قيس بن صيفي، من ملوك التبابعة، لما غزا المغرب وإفريقية، وقتل الملك جرجيس، وبنى المدن والأمصار، وباسمه زعموا سميت إفريقية لما رأى هذا الجيل من الأعاجم، وسمع رطانتهم، ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك، وقال ما أكثر بربرتكم، فسموا بالبربر، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة. ومنه يقال بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة. وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم، فان علماء

---

[32] -Bousquet **: <u>Les Berbères</u>**, Collection Que sais-je, P.U.F.Paris, 1957.

[33] - إبراهيم **<u>حركات:المغرب عبر التاريخ</u>**، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2009م، ص:19.

[34] - شارل أندري جوليان: **<u>تاريخ شمال أفريقيا</u>**، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، دار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، سنة 1969م، ص:7.

النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان، وهما برنس ومادغيس ، ويلقب مادغيس بالأبتر. فلذلك، يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس، وهما معا ابنا بر، وبين النسابين خلاف هل هما لأب واحد، فذكر ابن حزم عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار أنهما لأب واحد على ما حدثه عنه يوسف الوراق، وقال سالم بن سليم المطماطي وصابى بن مسرور الكومي وكهلان بن أبي لووهم نسابة البربر أن البرانس بتر، وهم من نسل مازيغ بن كنعان، والبتر بنو بر بن قيس بن غيلان ، وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبي يزيد، إلا أن رواية ابن حزم أصح؛ لأنه أوثق. (وأما) شعوب البرانس، فعند النسابين أنهم يجمعهم سبعة أجذام ، وهي أزداجة، ومصمودة، وأوربة، وعجيسة، وكتامة ، وصنهاجة، وأوريغة، وزاد سابق بن سليم وأصحابه لمطة، وهسكورة، وجزولة..."[35]

وقد أورد محمد الشطيبي، في كتابه (**الجمان في مختصر أخبار الزمان**)، أن أفريقش الحميري هو الذي أطلق اسم البربر على سكان أفريقيا، ويدل هذا الاسم على التوحش في البراري، علما أن البر يدل على اليابسة. وقد يطلق هذا الاسم على بر بن قيس غيلان. وقد قال الطبري: « لم يشك أحد أنهم من بقايا العماليق، ولما ساقهم أفريقش الحميري بأمر نبي الله داود سموا البلاد التي سكنوا بها باسم الذي ساقهم إليها، فلما رآهم أفريقس تبربروا، صار يقول:

تبربرت كنعان لما سقتها من بـلاد الضنـك للخصب العجيب

إلى أرض سكنوها ولـقـد فازت البربر بالعيش الخصـــــب»

وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر صاحب التمهيد في كتاب الأنساب: «البربر من القبط، والقبط هو ولد قبط بن حام بن نوح عليه السلام، أول ما نزل قبط بن حام مصر، وأورث بها بنيه، وهم القبط التي كانت ملوكهم الفراعنة، ومنهم تَنَسَّلَت البربر». وأما تسميتهم البربر، فذلك لما صار ملك مصر لقيس غيلان، كان له ولد يسمى بر فخرج مغاضبا لأبيه وإخوته إلى ناحية المغرب، فقال الناس بربر. أأي: توحش في البراري، فسموا بربرا. وقد ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم في بعض أحاديثه فقال : { إن لي أنصارا، فأنصاري الذين أووا ونصروا، وأنصار ذريتي

---

[35] - ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ص:90-91.

البربر الذين يأوون ذريتي ويكرمونهم}. وقد كان من جدودهم من يوصيهم بإتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم كالنعمان الحميري، فإنه سكن بالمغرب أربعة عشر ولدا من بنيه وقال : سيبعث نبي كريم اسمه محمد، فآمنوا به ، واتبعوه.

وكذلك قيس غيلان أوصى ولده برا بذلك، ولم تزل الأكابر يتفاخرون بجدهم قيس وببر، ويرون لأنفسهم الفضل بذلك...

ولما كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستفتحت مدينة مصر، وكان عليها عمرو بن العاص، فقدم عليه ستة نفر من البربر، محلقين الرؤوس واللحى، فقال لهم عمرو بن العاص : ما الذي جاء بكم؟ قالوا: رغبة في الإسلام، لأن جدودنا قد أوصونا بذلك. فوجههم عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكتب له عمرو يخبره بما قالوا، فلما وفدوا عليه، وهم لا يعرفون لسان العرب، كلمهم الترجمان على لسان العرب، وقال لهم: من تعرفون؟ فقالوا: نحن بنو مازيغ، فقال عمر لجلسائه: هل سمعتم قط بهؤلاء؟ قال شيخ من قريش: يا أمير المؤمنين، هؤلاء البربر من ذرية قيس غيلان، لما خرج مغاضبا عن أبيه وإخوته، قالوا: بربر .أي: أخذ في البرية؛ فقال لهم عمر: وما علاماتكم في بلادكم؟ قالوا: نكرم الخيل، ونهين النساء، فقال لهم عمر: ألكم أعلام تقتدون بها ؟ قالوا لا، فقال عمر: والله لقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه، فنظرت لقلة الجيش وبكيت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمر، لا تحزن، فإن الله سيعز هذا الدين بقوم من المغرب، ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يقتدون بها في الطرق. ثم قال عمر: فالحمد لله الذي مَنّ علي برؤيتهم. ثم أحسن لهم عمر وأكرمهم وأجزل حوائجهم، وقدمهم على من سواهم من الجيوش القادمة إليهم، ثم كتب إلى عمرو بن العاص أن اجعلهم على مقدمة المسلمين. وكانوا من أفخاذ مختلفة شتى، ولم يزل المغرب للبربر من أول الزمان إلى آخره، وهو من بحر القُلزُم الخارج من بلاد اليمن إلى بحر الخزر إلى براري السودان ."[36]

---

[36] - محمد الشطيبي: نفسه، ص:20-22.

ويلاحظ أن التفسيرات" التي ذهب إليها بعض المؤرخين العرب متكلف، ليس له ما يثبته بالاستدلال والمنطق. إن كل ما روي من الأشعار العربية في موضع نسب البربر وإلحاقهم بقائل العرب، من مضرية وقحطانية، لم يكن مبنيا على معرفة مضبوطة؛ وإنما كان صادرا عن رغبات سياسية كانت تراود نفوس العرب والبربر معا."[37]
وهكذا، تحمل كلمة البربر ، في متخيل ساكنة شمال أفريقيا، دلالات قدحية؛ لأن هذه الكلمة تحيل على الجهل، والتوحش، والتطرف، والتخلف، والهمجية...لذا، يفضل هؤلاء كلمة الأمازيغ، ويستعملونها بدل كلمة البربر.

المطلب الثاني: الأمـــازيـغ

يعتز سكان شمال أفريقيا بهذا الاسم الذي يعني الأحرار. وإذا كانت كلمة البربر قدحية، تدل على المتوحش والهمجي والمتخلف، فإن كلمة الأمازيغي تعني الحر الذي لا يقبل الذل، ولا الضيم، ولا المهانة. ومن ثم، فإن كلمة إيمازيغن جمع لكلمة أمازيغ، ومؤنثه تامازيغت، وتدل هذه الكلمة على الأنثى واللغة معا. ويلاحظ أن الزاي يسكن عند الطوارق، ويقلب إما هاء، وإما شينا، وإما جيما، فيقال: أماهغ عند الطوارق الجزائريين، أو أماجغ عند طوارق النيجيريين، أو أماشيغ عند طوارق مالي. علاوة على هذا، فكلمة (أمازيغ) اسم فاعل، وهي صيغة نادرة، ولم يشتق منها سوى بعض الكلمات القليلة جدا. وهي من فعل (يوزغ) ، بمعنى الغزو والإغارة عند الطوارق." ويرى بعض اللغويين أن (أمازيغ) مشتق من فعل آخر اعتبروه مماتا في اللهجات كلها، قد يكون هو الفعل(إزيغ) ، أو الفعل(يوزاغ)؛ وهو افتراض انبنى على الخلط بين ثلاثة أفعال أخرى، هي (ياغ) بمعنى أصاب أو اعترى؛ و(ياغ) أو (يوغ) بمعنى أخذ، أو نال، أو سقط، أو اشتعل، أو أضاء؛ و(يووغ) بمعنى رعى في معنى انتجع.وعلى أي حال، (أمازيغ) اسم مشرب معنى النبل والشهامة والإباء، سواء في المغرب أم عند الطوارق.قد يكون ذلك ناتجا من مجرد الاعتزاز

---

[37] - محمد شفيق:نفسه، ص:16.

بالنفس، من قبل إمازيغن، لأن الشعوب تتخذ عادة أنسابها عنوانا للعزة والمناعة؛ وهو ما نعتقده."[38]
فضلا عن هذا، فقد ارتبط اسم الأمازيغ بساكنة شمال أفريقيا منذ القديم. فقد كان هذا الاسم يتردد على ألسنة المصريين الفراعنة الذي كانوا يستعملون (ماشوش) بإبدال الزاي شينا، ثم عرفوا عند اليونانيين والرومان بمازيس، وماكسيس، ومازاكس، ومازيكس، ومازاسيس...وفي هذا الإطار، يقول محمد شفيق:"تسمية البربر أنفسهم بإمازيغن ضاربة في القدم، وبها عرفهم أقدم المؤرخين، وعرفهم بها أقرب جيرانهم إليهم، وهم المصريون القدماء، مع تحريف لاسمهم في النطق، ثم في الكتابة ، له مبرراته اللغوية. كان المصريون القدماء، في عهد راعامسيس الثالث، يسمونهم (ماشوش)؛ لأن اللغة المصرية، في ذلك الوقت، كانت تقلب الزاي شينا، والغين شينا أيضا، بعد قلبه خاء، وتفصل في الكتابة بالواو (بواو فارقة) بين الحرفين المتجانسين.وقد ذكر المؤرخ اليوناني هيكاتايوس(HEKATAIOS) إمازيغن في القرن السادس قبل الميلاد باسم (مازييس/MAZYES)، وذكرهم هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد باسم (ماكسيس/MAXYES).أما المؤرخون اللاتينيون، فقد أوردوا الاسم نفسه محرفا إلى (مازاكس/MAZIKES)، وهي أسماء جموع بمعنى واحد، أطلقوها على الشعب النوميدي." [39]
واليوم، قد انتشرت كلمة الأمازيغ بين سكان شمال أفريقيا انتشارا كبيرا. وتقترن لغتهم بهذا الاسم، فتسمى باللغة الأمازيغية. ويرى شارل أندري جوليان (C.A.Julien) أن "اليوم، لا يعرف عامة الناس أن المغرب الأقصى والجزائر وتونس آهلة بالبربر، ويعمدون إلى تسميتهم عرب. أما الأهالي، فكثيرا ما كانوا يسمون أنفسهم أمازيغ (مؤنثه تمازيغت، وجمعه أمازيغن)، ومعناه " الرجال الأحرار"، ثم " النبلاء ". وقد أطلق هذا الاسم على قبائل عديدة قبيل الاحتلال الروماني".[40]
وعلى العموم، فلقد استبدل سكان شمال أفريقيا كلمة (البربر) التي تستفزهم ثقافيا وحضاريا وإنسانيا ووجدانيا بكلمة تنضح فخرا وعزا

---

[38] - محمد شفيق:نفسه، ص:10-11.
[39] - محمد شفيق:نفسه، ص:11.
[40] - شارل أندري جوليان: **تاريخ شمال أفريقيا**، ص:8.

وشهامة، وهي كلمة (الأمازيغ) التي تحيل على الحرية، والشجاعة، والنبل، والتحدي...

المطلب الثالث: الليبيــون

أطلق اسم الليبيين على الأمازيغ، وخاصة من قبل المؤرخ اليوناني هيرودوت، كما يتبين ذلك جليا في كتاب (**أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)**) الذي حققه مصطفى أعشي[41]. ولا يقتصر هذا الاسم على ليبيا فقط، بل يعني منطقة شمال أفريقيا كلها ؛ تلك المنطقة التي تمتد من النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ثم القارة الأفريقية جنوبا. وبالتالي، فقد كانت ليبيا مميزة عن مصر، والفاصل هو نهر النيل. ويقول هيرودوت:" أتعجب من الناس الذين يوزعون الأرض إلى ثلاثة أقسام: ليبيا، وآسيا، وأوروبا، ويدققون حدودها. الاختلافات بين هذه الأقسام الثلاثة ليست صغيرة ، فمن ناحية الطول، فأوروبا تعادل القارتين معا؛ لكن من ناحية العرض، فيبدو لي أنه لايجب أن نقارن بينهما.ومن المؤكد أن ليبيا محاطة بالمياه، باستثناء الجهة التي تلتقي فيها مع آسيا."[42]
وفي مكان آخر، يقول هيرودوت:" لقد استعرضت الليبيين الرحل الذين يسكنون على طول ساحل البحر.أما جنوبا. وفي داخل الأراضي، فتوجد ليبيا الحيوانات البرية، وخلف هذه المنطقة يوجد طوق رملي يمتد من طيبة بمصر إلى أعمدة هرقل، تنتصب على امتداد كل مرحلة من عشرة أيام من المشي، تلال ضخمة من الملح. وعند قمة كل تل، ينبع وسط الملح عين بارد عذب يعيش حوله الناس.وهؤلاء الناس هم الأخيرون الذين نلتقي بهم من جهة الصحراء خلف أرض الحيوانات البرية."[43]
ويبدو لنا أن لفظة (الليبيين) أقدم اسم أطلق على الأمازيغ منذ المرحلة اليونانية، وتضع الليبيين في مقابل المصريين والأوروبيين والآسيويين.

---

[41] - هيرودوت: **أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)**، تحقيق مصطفى أعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2008م.
[42] - هيرودوت: **أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)**، ص:33.
[43]- هيرودوت: نفسه، ص:59.

ولم تقتصر تسمية (الليبيين) على هيرودوت فحسب، بل استعملها هوميروس في الأوديسا، وبوليبوس(Polybe)، وبيلينوس(Pline)، وفيرجيل(Virgile)، وسالوست(Saluste)، وغيرهم ...
ويعني هذا أن الأمازيغ قد عرفوا قديما بالليبيين تارة ، أو بالأمازيغ تارة أخرى. وفي هذا السياق، يقول محمد شفيق:" وقد اختلط الأمر على المؤرخين الأول، ومنهم هيرودوت، فصاروا يسمون إمازيغن تارة باسمهم هذا، محرفا قليلا أو كثيرا، وتارة باسم ليبيا الدال في شعر هوميروس على الأراضي الممتدة من تخوم مصر القديمة، شرقا، إلى المحيط، غربا.ولما أنشئت المستعمرات الفينيقية على شواطئ أفريقيا الشمالية، وازدهرت ولفتت أنظار اليونان والرومان إلى الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، أخذ الكتاب الإغريق واللاتينيون يسمون الأمازيغيين عامة بالأفارقة ، ويصنفونهم إلى ليبيين ونوميديين وموريين، انطلاقا من الشرق، وانتهاء بالمغرب. وكان منهم من يخلط بين هذه الأسماء."[44]
ولايعني أن كلمة (ليبي) يونانية أو رومانية أو مصرية، بل هي كلمة أمازيغية محلية. وفي هذا السياق، يقول ميلود التوري:" وللتعليق على هذه الشواهد تقول بأن تداول تسمية ليبيا ومشتقاتها بين كتاب الشعوب التي تعرفت على سكان شمال أفريقيا منذ القدم لا يرجح أن المصريين أو اليونان - مثلا- هم الذين أطلقوا هذه التسمية عليهم، بل الأرجح هو أن للفظ ليبيا أصولا محلية.إذ إن الدراسات الأنتروبولوجية والسوسيولوجية دلتا على أن كل شعب يختار لنفسه تسمية جماعية، تترجم اعتزازه بالانتماء لعرقه، وافتخاره بأصالته.
في غياب الأدلة القاطعة - إذاً- على برانية اسم ليبيا لايسعنا إلا التسليم بانبثاقه من أرض بلاد المغرب."[45]
وعليه، ستظل كلمة (الليبيون) هي اللفظة الأقدم تداولا بين الباحثين فيما يخص ساكنة شمال أفريقيا. ويمكن أن تكون بمثابة مجاز مرسل أطلق على الجزء (ليبيا)، وأريد به الكل (أمازيغ شمال أفريقيا).

---

[44] - محمد شفيق:نفسه، ص:11.

[45] - ميلود التوري: **الأمازيغية والفينيقية**، رباط نيت، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2009م، ص17.

المطلب الرابع: الجيتــول

يعد الجيتول والليبيون من أقدم سكان أفريقيا الشمالية الذين ينتمون إلى عصر الحجر المنحوت، وأكثرهم سمر البشرة. فالجيتول(Gétules)، أو الجيتوليون (*Gaetuli*) ، قد سكنوا تمازغا في الفترة الزمنية القديمة، قبل القرن الثالث قبل الميلاد، وكانوا يهيمنون على أفريقيا وموريطانيا.ومن ثم، ينتمي الشعب الجيتولي إلى الحضارة القفصية، فقد سكن الصحراء الكبرى من شمال أفريقيا، ثم استقر بالجزائر.بيد أن هذه السلالة كانت غير معروفة بدقة في الكتابات التاريخية القديمة والحديثة والمعاصرة. بل يمكن الحديث عن مجموعة من القبائل الجيتولية ضمن الأسر الفرعونية الحاكمة في مصر. والجيتولويون هم الذين استقبلوا الفينيقيين إلى قرطاج. وينتمي شيشنق إلى هذه القبائل الجيتولية.ومن هنا، فالجيتوليون هم رعاة وجنود ورحل صحراويون، كانوا ينتقلون من واحة إلى أخرى بحثا عن الماء والكلإ والطعام . وقد استعملوا الحصان في ترحالهم وأسفارهم وحروبهم على غرار المصريين. ويمكن الحديث عن جيتوليي أفريكا، وجتوليي نوميديا، وجيتولي موريطانيا. وقد حل الزناتيون محل هؤلاء الجيتول[46]. ويرى سترابون (Strabon) أن الجيتول كانوا جيران الجرمانتيين (Garamantes) بليبيا[47].

المطلب الخامس: النوميديــون

أطلق اسم النوميديين على الأمازيغ بصفة عامة، وساكنة الجزائر بصفة خاصة. ويبدو أن نوميديا لفظة بربرية الأصل إلا أنها امتزجت قديما بكلمة نوماديس اليونانية التي تعني الرعاة الرحل. وتعني الكلمة أيضا تلك المنطقة التي تسمى بالجزائر. وتمتد من ملوية شرقا إلى ضواحي تونس غربا. وتعد سيرتا(قسنطينة) عاصمة نوميديا، وفيها دفن الملك الأمازيغي مسينيسا. وقد حكم هذه الإمارة كثير من ملوك البربر، أمثال: غايا، ويوبا

---

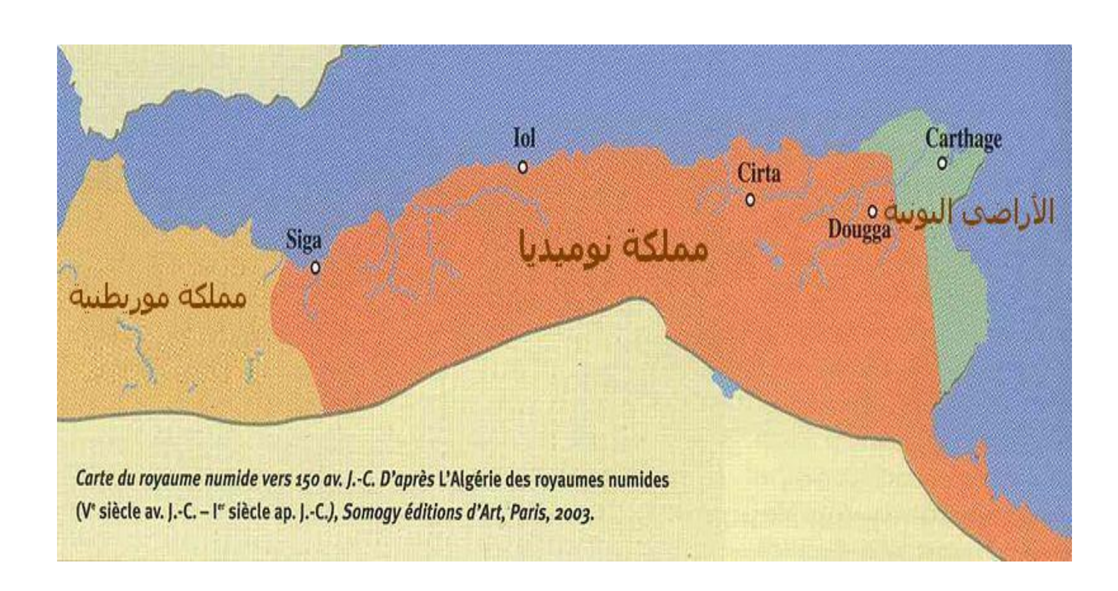
[46]- Gabriel Camps : **Berbères : aux marges de l'histoire**. Publié par Éditions des Hespérides, 1980. Page : 128

[47] - Strabon **: *Géographie*,** XVII, 3, 19 .

الأول، ويوبا الثاني، وماسينيسا، وماسيبسا،ويوغرطة، وبطليموس...وتضم نوميديا قبيلتين كبيرتين هما: الماسيليون أو المازوليون (Massyles) في الشرق، والماساسيليس أو ماسايسولي (Massaesyles) في الغرب.

وهناك من يرى أن الفرس هم الذين تحولوا إلى النوميديين الأمازيغ، حيث سكنوا الجزائر، بعد أن نزلوا من أوروبا إلى شمال أفريقيا، بعد وفاة قائدهم الأسطوري هرقل. " وعظمت قوة الفرس بسرعة، وقامت - بعد ذلك- جالية من الشباب تدعى بالنوميديين، أرغمتهم كثرة السكان على مغادرة بيوت آبائهم، فاحتلوا الأراضي المعروفة باسم نوميديا.وهي القريبة من قرطاج.ثم تعاون الشعبان القديم والجديد، فأخضعا بالقوة أو بالرهب البلدان المجاورة.واكتسبا ذكرا ومجدا، ولاسيما الذين تقدموا في ناحية بحرنا؛ لأن الليبيين كانوا أقل حبا في الحرب من الجيتوليين.وأخيرا، فإن القسم الأسفل من أفريقيا كاد يقع كله في قبضة النوميديين، فاتخذ المغلوبون اسم غالبيتهم، وذابوا فيهم."[48]

وهكذا، فالنوميديون هم ساكنة أمازيغية كانت تقطن مملكة نوميديا التي كانت تمتد من تونس غربا إلى نهر ملوية شرقا. وقد قامت هذه المملكة بدور تاريخي هام إبان الرومان، وكانت معقلا للمقاومة والتحدي والصمود ، ولاسيما في عهد يوغرطة، وتاكفاريناس، ويوبا الأول...



Carte du royaume numide vers 150 av. J.-C. D'après L'Algérie des royaumes numides (Ve siècle av. J.-C. – Ier siècle ap. J.-C.), Somogy éditions d'Art, Paris, 2003.

---

48 - اصطيفان اكصيل: **تاريخ شمال أفريقيا**، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2007م، ص:266.

المطلب السادس: الموريــون

أطلق اسم الموريين على الأمازيغ بصفة عامة، وساكنة المغرب أو موريطانيا، بصفة خاصة، سواء أكنت موريطانيا قيصرية أم موريطانيا طنجية. ويعني هذا أن اسم الموريين كان يطلق على ساكنة المغرب الأقصى، وجزء من الجزائر الأوسط . وفي هذا، يقول محمد شفيق:" من المعلوم أن المغرب الأقصى، مع الجزء الأكبر من المغرب الأوسط، كان يعرف بهذا الاسم لأول مرة، فأخذه عنهم الرومان ، وقالوا موريطانيا (MAURITANIA).وهنا، يجب لفت النظر إلى أن الاسم اليوناني (MAURUSIA) قريب من حيث مادته اللغوية من الفعل الإغريقي ماورسو (MAURSO) الذي معناه أظلم.فهل معنى ذلك أن اليونان كانوا يقصدون بماوروسيا أرض الظلمات، لأن الشمس تغرب فيها بالنسبة إليهم؟ وهل لذلك علاقة بما كان العرب يسمونه بحر الظلمات ؟ هذان سؤالان يستحقان أن يبحث عن جواب لهما.أما الجزء الشرقي من المغرب الأوسط ، وما يليه من غربي تونس الحالية ، فكان يسمى نوميديا (NUMIDIA) .وكانت الأراضي المحاذية للشاطئ المتوسطي شرقا وشمالا تسمى أفريقا (AFRICA) ، والنسبة إليها في اللاتينية هي آفر (AFER) المجموعة على أفري (AFRI)، فيما يهم الأناسي، وأفريقانوس (AFRICANUS) أو أفريقوس(AFRICUS)..."[49]

ويذهب كوتيي(Gautier) إلى أن الأهالي الوطنيين في العصر القرطاجني يطلقون على أنفسهم لقب الموري(Mauri). أي: المغاربة، أو البربر(Barbari). بينما يطلق المؤرخون اللاتين على الأهالي الخاضعين لقرطاجنة اسم الأفريقيين (Afri)[50].

هذا، وقد أطلق اليونان علي جميع أهالي إفريقيا الشمالية أو الليبيين " اسم قوم كانوا بين خليج سيرتا(Syrte) والنيل هم اللوبيون (les Libou) . واستعمل القرطاجيون والعبرانيون التسمية نفسها. وكذلك الرومان، فقد

---

[49] - - محمد شفيق:نفسه، ص:13-14.

[50] -Gautier : **Le passé de l’Afrique du Nord**, ED.Payot, Paris, 1942.

عمموا اسم " الموريون " على جميع سكان بلاد البربر، وكان الأول خاصا بسكان شمال المغرب الأقصى."[51]

ويعني هذا أن الموريين، في المرحلة الرومانية، هم سكان شمال أفريقيا ، وخاصة ساكنة المغرب الأقصى وموريطانيا. وكانت منطقة الموريين تمتد من شمال المغرب إلى الشمال الغربي من الجزائر. وقد يكون أصل هذا المصطلح أمازيغيا أو أجنبيا. و" يقول البعض - حسب رواية سترابون- " إن الموريين من الهنود الذين قدموا إلى ليبيا مع هرقل.وليس لدينا- يقول اصطيفان اكصيل- معلومات أخرى عن هذه الخرافة.ونحن على علم بما يجب أن يكون عليه رأينا في الدور المعزو لهرقل.أما الهنود فلاشيء يسوغ لنا الاعتقاد بأنهم ساهموا في تعمير شمال أفريقيا بالسكان[52]."

ويذهب المؤرخ سالوست(Salluste) إلى أن الموريين هم جزء من جيش هرقل الذي نزل بتامازغا، بعد مروره من إسبانيا. وكان جيش هرقل يتكون من الفرس، والأرمينيين، والميديين. وقد أسسوا لأنفسهم مواطن بتامازغا، بعد وفاة هرقل، واختلطوا بالساكنة المحلية، وشكلوا المجتمع الأمازيغي أو البربري. وفي هذا ، يقول سالوست:" كان سكان إفريقيا الأولون هم الجيتوليين والليبيين، وهم قوم غلاظ متوحشون، يقتاتون بلحوم الحيوانات المتوحشة أو بنبات المراعي كما تفعل القطعان، ولا يقفون إلا حيث يداهمه الليل.لكن بعد أن مات هرقل في إسبانيا- وهذا على الأقل رأي الأفارقة- فإن جيشه المتكون من شعوب متعددة لم يفتأ أن تفكك، لأنه حرم من قائده.فتجاذبه عدة خصوم، كل منهم يريد القيادة لنفسه.ومن بين هؤلاء ركب السفن الميديون والفرس والأرمينيون ، وذهبوا إلى أفريقيا، حيث احتلوا مناطق مجاورة لبحرنا..."[53]

ومن ثم، أطلق الليبيون على الميديين اسم الموريين تحريفا. وفي هذا ، يقول أكصيل:" وقد حرف الليبيون اسم الميديين، فجعلوهم في لغتهم الباربارية على صيغة مور(Maures)"[54] .

---

[51] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:8.

[52] - اصطيفان اكصيل: **تاريخ شمال أفريقيا**، ص:270-271.

[53] - اصطيفان اكصيل: نفسه، ص:265.

[54] - اصطيفان اكصيل: نفسه، ص:266.

واليوم، يطلق الإسبان لفظة (الموري أو الموروس) على الأجانب، أو المغاربة، أو الأمازيغ، بإيحاءات قدحية تصب كلها في: الهمجي، والمتخلف، والمتوحش، والعنيف...

المطلب السابع: الأفارقـــة

أطلق كثير من الدارسين والباحثين الغربيين، ولاسيما الكولونياليين والمستمزغين منهم، اسم الأفارقة على البربر أو الأمازيغ؛ لأنهم كانوا يسكنون شمال أفريقيا، أو منطقة تامازغا. بل يمكن القول بأن الرومان هم الذين أطلقوا مصطلح(الأفارقة) على الأمازيغ الذين يسكنون الشمال الشرقي من تونس، كما يذهب إلى ذلك شارل أندري جوليان، في كتابه **(تاريخ شمال أفريقيا)**[55] .

هذا، وقد وجدنا هذا المصطلح - كذلك- عند المؤرخين العرب، كما عند ابن خلدون الذي يرى أن أفريقش بن قيس بن صيفي الحميري هو الذي سمى بلاد تامازغا بأفريقيا. وفي هذا الصدد، يقول ابن خلدون:"إن أفريقش بن قيس بن صيفي، من ملوك التبابعة، لما غزا المغرب وإفريقية، وقتل الملك جرجيس، وبنى المدن والأمصار، وباسمه زعموا سميت إفريقية.[56]"

ويرى ليون الأفريقي، في كتابه (**وصف أفريقيا**)، في أصل تسمية أفريقيا:"يسمى هذا القطر باللغة العربية إفريقيا، من الفعل فرق بمعنى فصل باللاتينية (Separavit).وهناك رأيان في أصل هذه التسمية، يعتمد الأول على كون هذا الجزء من المعمور مفصولا عن أوروبا وجزء من آسيا بالبحر المتوسط، ويذهب الرأي الثاني إلى أن هذا الاسم مشتق من أفريقش ملك اليمن الذي كان أول من سكن هذه البلاد، فلما لم يستطع الرجوع إلى مملكته، بعد أن غلبه الملوك الآشوريون وطردوه، اجتاز النيل مسرعا، ثم تابع سيره نحو الغرب، ولم يقف حتى وصل إلى

---

[55] - شارل أندري جوليان: نفسه،ص:7.

[56] - ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ص:90.

ضواحي قرطاج. لذلك، نرى العرب لايكادون يعتبرون إفريقيا سوى ضاحية قرطاج نفسها، بينما يطلقون اسم المغرب على سائر أفريقيا."[57]
وعليه، تغيب كلمة (الأفارقة) ، تماما، " في النصوص المصرية واليونانية والبونيقية .فأول من استعملها إبان القرنين الثالث والثاني ق.م كتاب لاتينيون من أمثال: بلوتوس وطيرانس(Terens)، وكأنه يذكر سكان بلاد المغرب بأصولهم الإفريقية. وبذلك، يبدو أن الرومان هم أول من أطلق هذه التسمية عليهم، وأن اسم أفريكا (Africa) نفسه اشتقوه من (Afer) للدلالة على التراب الذي طاله الغزو الروماني ، بعد سقوط قرطاج سنة 146ق.م.."[58]
وعليه، لم تظهر لفظة (الأفارقة)، في بعدها التاريخي، إلا في كتابات الرومان. وكان هذا الاسم يطلق على سكان أفريقيا الشمالية المحاذين لساكنة الرومان، ولا يفصل الشعبين إلا حوض البحر الأبيض المتوسط الذي كان يسميه الرومان(ببحرنا).

وخلاصة القول، يتبين لنا، مما سبق ذكره، أن سكان شمال أفريقيا عرفوا بتسميات عدة. وقد اختلف حولها الباحثون والدارسون، وخاصة معرفة أسباب تلك التسميات، ومن أطلقها على هؤلاء السكان الأصليين، هل هي كلمات أمازيغية محلية أصلية، أم أن الأجانب هم الذين أطلقوا تلك التسميات على ساكنة تامازغا؟
وعلى الرغم من تضارب الروايات والآراء والأقوال بين الباحثين والمؤرخين، واختلاف وجهات نظرهم الشخصية والعلمية، فإن أفضل اسم تشبث به سكان شمال أفريقيا إلى يومنا هذا هو (الأمازيغ) . ويدل هذا الاسم على الرجل الحر أو الشهم أو النبيل الذي يحب الحرية ، ولا يرضى بالذل والعار والهوان . ودائما، يريد أن يعيش إنسانا كريما ، وعزيزا ، وسيدا في أرضه، ومن يعتدي على عرضه وشرفه، فسيلقى منه ما لا يرضاه، ولا يحمد عقباه.

[57] - ليون الأفريقي: **وصف أفريقيا**، ص:27.
[58] - ميلود التوري: نفسه، ص:17.

الفصـــل الثالــــث:

القبائـــل الأمازيغــية

إذا كان الدارسون والباحثون قد اختلفوا في أصول الأمازيغيين بين أصل مشرقي، وغربي، وأفريقي محلي، فإنهم قد اختلفوا - كذلك- في تعداد القبائل الأمازيغية، وتبيان أنواعها، وكيفية تصنيفها. ولم يقتصر هذا على النسابة والمؤرخين العرب فقط، بل تعدى ذلك إلى الباحثين الكولونياليين والمستمزغين(Berbèristes). وقد اتخذ تصنيف القبائل الأمازيغية أبعادا سياسية، ونفسية، وعرقية، واجتماعية ، وإيديولوجية...

وتسعفنا معرفة القبائل في استكشاف مكونات المجتمع المغاربي، وتبيان تركيبة الدولة الأمازيغية من الناحية الديموغرافية، ورصد خصائص قبائلها من النواحي النفسية والمعيشية من جهة، ومن حيث العادات والأعراف والتقاليد من جهة أخرى.

هذا، ويتكون المجتمع الأمازيغي أو البربري في شمال أفريقيا، كباقي الشعوب الأخرى، من جذوع سلالية كبرى، تتفرع عنها قبائل عديدة ومتنوعة، تتجمع وتتحالف فيما بينها على أساس العصبية القبلية القائمة على القوة والغلبة. وقد شكلت بعض القبائل الأمازيغية - حسب قوة عصبيتها، وشدة شكيمتها- دولا وإمارات في دول تامازغا، كانت لها مكانة سياسية واقتصادية كبرى في المنطقة، مثل: المرابطين، والموحدين، والمرينيين، وبني عبد الواد...وما تزال النزاعات القبلية بين أمازيغ شمال أفريقيا تشتعل من لحظة إلى أخرى لأسباب سياسية ، واجتماعية، واقتصادية، وإثنية، وثقافية، ودينية، وحضارية.

وما يهمنا ، في هذا الموضوع، هو التوقف بالتحليل والدراسة عند أهم التشكيلات القبلية للمجتمع الأمازيغي في شمال أفريقيا بغية استجلاء مختلف الدلالات التي يحملها هذا التصنيف القبلي، والعرقي، والمجتمعي، والجينيالوجي.

المبحث الأول: القبائـــــل الأمازيغيــــة القديمــــة

من المحتمل أن تكون العائلات والأسر والعشائر قد تحولت إلى قبائل في شمال أفريقيا، وقد دخلت بعض القبائل الأمازيغية في تحالفات عسكرية مع قبائل أخرى لرد العدوان الداخلي أو الخارجي.وبعد ذلك، تشكلت من هذه القبائل نطاقات سياسية واجتماعية كبرى، مثل: موريطانيا،

ومازيسولة، وماسولة، والكناري، ولواته، وفزاني، والقارمانتي، وماكاي، والجيتول...
وقد أشار المؤرخ اليوناني هيرودوت إلى بعض القبائل التي كانت تسكن تمازغا بقوله:" فهناك في الداخل؛ صحراء ليبيا؛ وعلى أرض هذه القفار؛ تقوم مساحات واسعة من الرمال تمتد من طيبة في مصر إلى أعمدة هرقل...ويعيش **الأمونيون** على بعد عشرة أيام من طيبة، وعلى بعد عشرة أيام أخرى منها إلى الغرب ، تقع أوجيلة؛ وهي واحة يزرع فيها **أهل نسامون** أشجار النخيل...وعلى بعد عشرة أيام أخرى من أوجيلة؛ جبل رملي آخر؛ فوقه ينبوع وواحة من أشجار النخيل كغيرها من الواحات.وفي هذه المنطقة، يعيش شعب قوي وعظيم يدعى **القارمونت.**وهذا الشعب يغطي الأرض بالملح ثم يزرع القمح...؟؟ ! وهنا، تعيش أيضا الثيران التي ترعى الكلأ، وهي تسير إلى الوراء للسبب التالي: فقرونها ملوية إلى الأمام. ولذا، فهي تضطر إلى المسير إلى الخلف عندما ترعى الكلأ...ويطارد هؤلاء القارمونت **الأحباش** الذين يعيشون في الكهوف بعربات تجرها جياد أربع. ويعتبر هؤلاء الأحباش الذين يعيشون في الكهوف أسرع الناس عدوا. لكن ساكني الكهوف يأكلون الأفاعي والسحالي وغيرها من الحيوانات الزاحفة. ولا تشبه اللغة التي يتحدثون بها لغة أي شعب آخر؛ فهم يهذرون مثل الوطواط أو الخفاش."[59]
إذاً، يشير كتاب هيرودوت إلى مجموعة من القبائل التي كانت تعيش في شمال أفريقيا جنبا إلى جنب، أمثال:القورينيين، والناسمونيين، والجيليكام، والأسبيست، والأسخيس، والباكال، والفسيل، والمكاي، والكندان، واللوطوفاجيون، والماكلييس، والأوسيس، والأطلسيين...وفي هذا، يقول هيرودوت:" لقد تمكنت أن استعرض أسماء الأقوام الذين يستوطنون الطوق الرملي حتى الأطلانط، ولكن ليس مابعد ذلك.لكن بإمكاني أن أجزم أن هذا الطوق يمتد إلى غاية أعمدة هرقل[يقصد مضيق جبل طارق]، بل وما بعدها."[60]
ويتبين لنا ، من هذا كله، أن منطقة تمازغا كانت غاصة بالقبائل البربرية التي كانت تعنى بالزراعة والفلاحة وتربية الماشية. وأغلب هذه القبائل

---

[59] - هيرودوت:نفسه، صص:59-62.
[60] - هيرودوت:نفسه، ص:67.

كانت مستقرة بالواحات الصحراوية، تعيش بتمر النخيل، وتستعمل عربات الجياد في طرد الأحباش الذين كانوا يسكنون الكهوف، ويأكلون الزواحف ، وكانوا أكثر الناس عدوا.
ومن باب العلم فقد كان الأمازيغ سباقين إلى صنع العربة التي تجرها الجياد، كما يفهم من شواهد هيرودوت التاريخية. وفي هذا الشأن، يقول الباحث جورج غيرستر:" لكن الدليل قد قام على أن الليبيين الذين كانوا دائمي الإغارة على حدود مصر الغربية كانوا يستخدمون الخيول في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وتذكر أسطورة عن دولة الفراعنة الحديثة أن جنود الفرعون وضعوا أيديهم في معركة دارت عام1229ق.م على أربع عشرة عربة فردية العجلات؛ غنموها من زعيم ليبي وأولاده.ويظهر هذا الدليل؛ أن الحصان والعربة قد وصلا إلى البلاد الواقعة إلى الغرب من مصر لا من وادي النيل؛ بل من الشمال.ففي القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد ، جاءت موجة من الشعوب التي تسمى بالبحرية مقتحمة حوض البحر الأبيض المتوسط؛ وقادمة من البحر الأسود.ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الأقوام قد هبطوا في برقة، وكانوا مسؤولين عن دفع الليبيين شرقا ضد مصر.ومن المحتمل أن يكون القارمونت قد شكلوا جزءا من هذا الغزو.ويوضح هذا الافتراض الملامح البحر- متوسطية في الصخور الصحراوية القارمونتية كملابس الرجال والنساء، وأفخاذ سائقي العربات الضيقة وأكتافهم العريضة، وكذلك الجياد، وهي في حالة غارة."[61]
وهكذا، يتبين لنا أن شمال أفريقيا قد عرف عدة قبائل متجاورة فيما بينها، قبل الفتوحات العربية الإسلامية، وكان أساس اقتصادها هو الفلاحة وتربية المواشي.

المبحث الثاني: القبائل الأمازيغية حسب النسابة والمؤرخين العرب

[61] - بوزياني الدراجي: **القبائل الأمازيغية،** الجزء الأول،دار الكتاب العربي، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 2003م، ص:59-60.

تتبني قوة التواجد الأمازيغي على العصبية القبلية باعتبارها ظاهرة سياسية، واجتماعية، وتاريخية. بمعنى أن الحكم كان يؤخذ بالقوة والغلبة، أو على أساس قوة شخص، أو مجموعة أشخاص، تشحذهم العصبية القبلية بقوة الإصرار والعزيمة والتحدي والصمود. وقد آلت هذه العصبية القبلية، إبان العصر الوسيط، إلى تأسيس مجموعة من الدول في شمال أفريقيا واضمحلالها، بعد أن عضدت هذه العصبية القبلية بثابتين أساسيين هما: الدفاع عن الدين الإسلامي، والحفاظ على اللغة العربية . والدليل على هذا التفسير ما قاله حسين مؤنس، وهو يتحدث عن البربر في الأندلس:" وقد ذكرنا هذه المواضع على سبيل المثال لاعلى سبيل الحصر؛ لنستنتج أن البربر انتشروا- منذ العصر الأول- في نواحي شبه الجزيرة كلها.وقد اكتفينا بذكر المواضع المتطرفة؛ في أقصى الشمال الشرقي، والشمال الغربي؛ وتركنا غير ذلك؛ من مواضع الوسط، والجنوب، والجنوب الشرقي، والجنوب الغربي؛إذ لاتكاد تخلو ناحية من هذه النواحي أو مدينة من مدنها من منازل بربرية...بيد أننا نستطيع القول بأن المواضع التي ولي عليها أمراء بني أمية ، وخلفاؤهم ولاة من البربر؛ كانت منازل بربرية من قديم الزمان؛ لأن الأمراء لا يولون أميرا بربريا على ناحية معظم سكانها عرب، أو من أهل البلاد.ومن غير الممكن كذلك أن تقوم إمارة بربرية في ناحية لايغلب على سكانها العنصر البربري؛ لأن حكم هذه النواحي كان لايقوم إلا على **عزوة، وعصب متأصلين**."[62]

وإن أحسن تقسيم للبرابرة هو تقسيم ابن خلدون، كما ورد في كتاب العبر؛ حيث قسمهم إلى جذعين سلاليين كبيرين هما: البتر والبرانس، وهما من نسل مازيغ بن كنعان. ويرى ابن حزم أن برانس والبتر من أب واحد هو كنعان بن حام. بينما يرى بعض نسابة البربر ، وبينهم سابق المطاطي، أن البرنس جدهم من نسل كنعان. في حين، ينتمي البتر إلى بر بن قيس بن غيلان بن مضر. وفي هذا ، يقول ابن خلدون" وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم، فإن علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان، وهما برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر. فلذلك، يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس، وهما معا ابنا بر، وبين النسابين خلاف هل

---

[62] - د.حسين مؤنس: **فجر الأندلس**، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، طبعة 1985م، ص:382-383.

هما لأب واحد، فذكر ابن حزم عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار أنهما لأب واحد على ما حدثه عنه يوسف الوراق، وقال سالم بن سليم المطماطي وصابى بن مسرور الكومي وكهلان بن أبي لووهم نسابة البربر أن البرانس بتر، وهم من نسل مازيغ بن كنعان، والبتر بنو بر بن قيس بن غيلان ، وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبي يزيد، إلا أن رواية ابن حزم أصح؛ لأنه أوثق. (وأما) شعوب البرانس، فعند النسابين أنهم يجمعهم سبعة أجذام ، وهي أزداجة، ومصمودة، وأوربة، وعجيسة، وكتامة ، وصنهاجة، وأوريغة، وزاد سابق بن سليم وأصحابه لمطة، وهسكورة، وجزولة..."[63]

وما يهمنا، في هذا الصدد، أن البربر ينقسمون - وراثيا- إلى جذعين كبيرين هما: البتر والبرانس. كما ينقسم البرانس إلى سبع أو تسع قبائل هي: أزداجة، ومصمودة، وأوربة، وعجيسة، وكتامة ، وصنهاجة، وأوريغة، ولمطة، وهسكورة، وجزولة. في حين، ينقسم البتر إلى القبائل التالية: زواغة، وزناتة، وزواوة، ونفزة، ولواتة، ومزاتة، ونفوسة، ومغيلة، ومطماطة، ومطغرة، ومديونة، وصدينة.

ويلاحظ أن هذا التقسيم مزدوج، يشبه تقسيم المؤرخين للعرب إلى مضر ويمن، أو عرب الشمال وعرب الجنوب . كما أنه تقسيم عربي، وضعه النسابة والمؤرخون العرب، وليس تقسيما أمازيغيا محضا. ويشير هذا الازدواج النسبي (الجينيالوجي) إلى ثنائية التوازن، أو التناوب السياسي، فإذا رجحت كفة البتر، تراجعت كفة البرانس، والعكس صحيح أيضا.وقد تتعادل الكفتان معا، إذا تعادلت القوتان سياسيا، واقتصاديا، وعسكريا.

ويرى محمد حقي ، في كتابه (البربر في الأندلس)، أن هذا التقسيم المزوج له خلفيات نفسية وسياسية:" يبدو من خلال مبررات النسابين أن أصل التقسيم هو النسب.لكننا نشك أن يكون الدافع الوحيد لظهوره.فهذا التقسيم يتشابه مع تقسيم العرب شمال (مضر) وعرب جنوب(يمن)، وربما كان هذا النموذج هو الذي طبقه العرب على بيئة مغربية لاتعرفه.وعندما يجعلون البتر من أصل عربي أجنبي عن المنطقة، ألا يعني هذا محاولة لكسب جزء مهم من البربر إلى جانب العرب الفاتحين في البداية، ثم الحاكمين فيما بعد؟ فهذا عمل نفساني بالأساس يعمل على ربط البتر

---

[63] - ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون** ، ص:90-91.

بالعرب، وجعلهم جزءا منهم، مادامت مسألة النسب في آخر المطاف مسألة اصطلاحية وإحساسية.ويتأكد لنا الرأي عندما نصعد مع التاريخ لنتوقف عند محطة القرن العشرين، ومع أحد من اهتموا بهذا التقسيم وهو كوتيي(GAUTIER) الفرنسي الذي عاد لينبش في هذا الموضوع ، ويعطيه بعدا آخر، لكنه لايختلف عما سبق.فهو يقر هذا التقسيم، ويرى أنه لايرتبط فقط بنمط العيش[64]، بل هو نتيجة لاختلاف الأصول، فالقسم الكبير من البتر أجانب، أما البرانس فهم سكان المنطقة، فهم أصليون متحضرون تشبعوا وتأثروا بالحضارة الرومانية والمسيحية.فهو -هنا- يحاول اجتذاب البرانس إلى فرنسا، أكثر مما يناقش مسألة الأنساب والتقسيم.

نخلص إلى أن تقسيم البربر إلى بتر وبرانس، على الرغم من الخلفيات التي تحكمت فيه، قد استطاع أن يتحول إلى واقع وعمل على تطور أحداث المنطقة، و كثيرا ما أثير هذا التقسيم في إطار صراعات بربرية داخلية."[65]

ويذهب إبراهيم حركات إلى وجود ثلاث مجموعات بربرية كبرى هي:

"❶ **زناتة**، وينتمي إليها بربر الجزائر ماعدا القبائل. كما ينتمي إليها بربر تونس وليبيا.أما في المغرب، فينتمي إليها بربر الأطلس المتوسط الجنوبي، ومنطقة الريف، وجبل بني يزناسن، وزكار، وشرق الأطلس الكبير جهة بوذنيب، ثم توكورت، ومزاب، ووراغلة في الصحراء.

❷ **مصمودة**، وينتمي إليهم قسم من غمارة غرب الريف، وشلوح الأطلس الكبير الغربي، وأكثر بلاد السوس والأطلس الصغير.

❸**صنهاجة** ، وينتمي إليهم قسم من بربر التخوم المغربية الجزائرية، والقبائل، والأطلس المتوسط، وتافيلالت، وطوارق الصحراء، ووسط الأطلس الكبير، وملوية العليا.[66]"

وعليه، تعد زناتة ومصمودة وصنهاجة من العصبات القبلية الكبرى. فقد كانت تضم زناتة بني مرين، وبني عبد الواد، ومغراوة، وتجين ،

---

[64] - يغلب على البتر نمط عيش الترحال والتنقل وراء القطعان، ويستقرون في المناطق المنخفضة. بينما يستقر البرانس في الجبال، ويعتمدون على حياة الاستقرار والزراعة.

[65] - محمد حقي: **البربر في الأندلس**،ص:23-24.

[66] - إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، الجزء الأول، ص:22.

وزواغة، وبني فتن، ومغيلة، ومطغرة، ومديونة، وكشانة، وملزوزة، ولواتة، ومطماطة، ولهاصة، ومرنيسة، وبني دمر، ونفوسة، وبني يصونة، وبني يجيش، وبطيوة، وكزناية، وبني ورتطغير، ونفزة، وجراوة، ومكناسة، ولماية، وبني مستارة، وأوربة...
وتمتد منطقة زناتة من جبال الأوراس شرق الجزائر إلى المحيط الأطلسي عند مدينة أصيلة، مرورا بالسهول العليا الجزائرية، وممر تازة وسهل سايس. ومعظم هذه القبائل هم من صنف البتر.
أما صنهاجة، فتضم لمتونة، ولمطة، وجزولة، ومسوفة، وكتامة، وجدالة، وهوارة، وزواوة...ويسكنون جبال الأطلس المتوسط والصغير، وبعض الجزر في الأطلس الكبير، وجبال القبائل، ثم الأراضي الصحراوية التي تمتد من جنوب تونس حتى سواحل المحيط الأطلسي.
وتتكون مصمودة من غمارة، وهسكورة، وإيلانة، وغدميوة، وهرغة، وكندافة...ويستقر هؤلاء في الريف الأوسط والغربي، ثم الأطلس الكبير والسهول الأطلسية والحوز وسوس من المغرب الأقصى[67].
ويقدم ابن خلدون، في كتابه التاريخي، تفصيلا دقيقا عن هذه القبائل ومواطنها وأنسابها. بيد أنه يلاحظ أن تصنيف بعض القبائل إلى زناتة أو صنهاجة أو مصمودة فيه تداخل وشك وتضارب بين النسابة والمؤرخين العرب. فقد نرى بعض القبائل الأمازيغية تنتمي إلى زناتة تارة، وعند بعض النسابة تنتمي إلى صنهاجة أو مصمودة تارة أخرى...
أما ليون الأفريقي، في كتابه **(وصف أفريقيا)**، فيصنف البربر إلى خمس مجموعات قبلية كبرى هي: صنهاجة، ومصمودة، وزناتة، وهوارة، وغمارة. فقد بين أن مصمودة تسكن الجزء الغربي للأطلس من حاحا إلى وادي العبيد، وكذلك الجهة المواجهة للجنوب وجميع السهول المجاورة.وتحتل أربعة أقاليم هي: حاحا، وسوس، وجزولة، وناحية مراكش.في حين، تسكن غمارة جبال الريف الأوسط والغربي.[68]
وعلى العموم، يتفرع الأمازيغ كلهم من جدين كبيرين هما: الجد برنس، والجد مادغيس الأبتر. إلا أن الباحث المغربي علي صدقي أزايكو يشكك في هذا التقسيم النسبي الذي اعتمده ابن خلدون وغيره من النسابة

---

[67] - محمد حقي: نفسه، ص:24.
[68] - ليون الأفريقي: نفسه،ص:36.

والمؤرخين العرب في العصر الوسيط، ويعتبره تقسيما عربيا إيديولوجيا مستوردا لاعلاقة له بالإنسان الأمازيغي في شمال أفريقيا.وفي هذا النطاق، يقول أزايكو:" وقد تناول ابن خلدون هذا الموضع في(كتاب العبر) بكثير من التفاصيل ماكان له أن يدرجها في موسوعته لو لم تكن متوفرة لديه. وكونها متوفرة دليل على أن الناس قبله اهتموا كثيرا بمسألة أنساب الأمازيغيين. ونسجوا تاريخهم كله على منوال النظرية النسبية أو الجينيالوجية المعتمدة عند الساميين في الشرق الأوسط.وعلى الرغم من أن الواقع الجغرافي والتاريخي لايزكيان البناء الجينيالوجي المطبق على سكان شمال أفريقيا الأمازيغيين ككل، خصوصا على المستوى العام. أي: على مستوى التقسيمات الكبرى، فإن النظرية النسبية لعبت دورا بينا كإيدولوجية مجمعة على المستوى المتوسط والأدنى، خصوصا عند تجمعات الرحل من زناتة وصنهاجة مثلا."[69]

وأكثر من هذا، فقد فسر علي أزايكو اختلاف البتر والبرانس اختلافا مجتمعيا ومعيشيا ومظهريا. وركز بالذات على عنصر الملبس. فالبتر - انطلاقا من الدلالات المعجمية العربية- كانوا يلبسون لباسا قصيرا.في حين، كان البرانس يلبسون برنسا طويلا. بينما لاتحمل كلمة البتر ، في اشتقاقاتها الأمازيغية- دلالة القصر والقطع، بل تحمل دلالة أمازيغية إيجابية محضة، توحي بالأنفة، و الإباء، والشجاعة ، والتضحية، والعزة ، وعدم الخضوع للعدو.

المبحث الثالث: أدوار البتـــر والبرانس

تنتمي قبائل زناتة إلى البتر، وهي قريبة من العرب، ومن حياتهم الاجتماعية. فقبائل زناتة كثيرة الترحال من مكان إلى آخر بحثا عن الماء والكلإ، يركب أهلها الخيول والإبل، ويتخذون الخيام أمكنة للمأوى، وينتقلون مع مواشيهم من ناحية إلى أخرى، ولا يعرفون الاستقرار في المدن والجبال كباقي القبائل الأمازيغية الأخرى(مصمودة). وفي هذا السياق، يقول إبراهيم حركات:" لاحظ ابن خلدون وجوه الشبه بينهم وبين

---

[69] - علي صدقي أزايكو: **تاريخ المغرب أو التأويلات الممكنة**، مركز طارق بن زياد، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 2002م، ص:137-138.

العرب من الوجهة الاجتماعية، حيث يسكنون الخيام، ويركبون الخيل والإبل، وينتقلون بخيامهم من مكان إلى آخر. فكانوا يقضون الصيف في التل والشتاء في الصحراء، ولا يخضعون لحكم قار، وتعتبر زناتة أكثر قبائل البربر قابلية للتعريب نظرا لاحتكاكهم المستمر بالعرب، ولكن طبيعة التنقل والحياة البدوية التي فطروا عليها؛ مما أبعدهم عن العناصر البربرية الأخرى التي كانت أكثر قابلية للتمدن والاستقرار كالمصامدة مثلا. وهكذا، فإن القرن الرابع الهجري شهد المغرب خلاله صراعا مريرا بين النزعات الزناتية المختلفة، دون أن تتمكن إحداها من إقرار حكومة منظمة تشمل بنفوذها كل مناطق المغرب؛ ومما يؤكد وجود صلة متينة بين العرب وزناتة أن المرينيين قربوا إليهم البدو والمهاجرين أكثر مما قربوا إليهم سائر العناصر القاطنة بالمغرب.

وتتفرع زناتة إلى بطون عديدة، ويبدو أن طلائعهم هاجرت من ليبيا وجنوب تونس منذ الفتح الإسلامي، واستمرت هجراتهم إلى المغرب متصلة بضعة قرون.ويمتاز الزناتيون **بمهارتهم في فن الفروسية** الذي اكتسبوه بفضل حياة الترحال المستمر.

وكانوا في القرن الثاني يشكلون ما لا يقل عن ثلثي المراعي بإفريقيا الشمالية..."[70]

هذا، وتنتمي صنهاجة ، في مجموعها، إلى البرانس. وقد أرجعها نسابة العرب إلى أصل عربي، ويمكن تقسيم الصنهاجيين إلى قسمين: الرعاة الذي يعيشون على التنقل والارتحال ، و المستوطنين الذين استقروا بالجبال والسهول والمدن.أما أهل مصمودة، فهم من البرانس المستوطنين المتحضرين، وقد استقروا في المناطق الجبلية وسهول المحيط الأطلسي، و انشغلوا بالزراعة والفلاحة وتربية المواشي.

أما دور البتر ، في تاريخ شمال أفريقيا - حسب علي أزايكو- فقد " كان دورا نشيطا جدا منذ القدم.فقد قاوموا بعنف واستماتة الوجود القرطاجي والروماني انطلاقا من أوطانهم بليبيا، وجنوب تونس الحالية، وجنوب شرق الجزائر.وتميزوا في معاركهم بتفوق حربي بارز.وساهموا مساهمة فعالة في فتح شمال إفريقيا والأندلس في عهد الإسلام.لأن قسما مهما منهم حالف العرب الفاتحين منذ البداية، وانخرطوا في جيوش الإسلام،

[70] - إبراهيم حركات: نفسه، ص:25-26.

وخاضوا المعارك لإخضاع باقي إخوانهم.كما أنهم تزعموا ثورات ضد الولاة العرب في إطار الحركة الخارجية التي أدت إلى تقويض أركان السلطة الأموية في شمال إفريقيا بصفة نهائية.
كما أسسوا إمارات ودولا معروفة في كل من الجزائر والمغرب بصفة خاصة .كما أنهم لعبوا دورا متميزا في تعريب قسم كبير من الأمازيغيين؛ لأنهم تعربوا قبل باقي إخوانهم، وذلك لأنهم وضعوا أيديهم في أيدي العرب لتشابه الحياة عند الفريقين..."[71]
وإذا كان البتر يعرفون بالملبس القصير، واحتكاكهم الشديد بالعرب، فإن البرانس يعرفون بالبرنوس، أو اللباس الطويل، وكان يعرفون استقرارا وتمدنا وحضارة.وفي هذا يقول أزايكو:" أما عن الدور التاريخي لشعوب التي تنسب إلى البرانس، فإنه كان دورا هاما جدا؛ لأنهم طبعوا تاريخ شمال أفريقيا أكثر من إخوانهم المنسوبين إلى البتر ببصمات خالدة. بل إن آثار أعمالهم تجاوزت حدود المغارب لتتغلغل في أعماق الصحراء وساحل أفريقيا الصحراوي، وفي شبه جزيرة أيبيريا ومصر.
وبذلك، ساهموا في بناء الحضارة المغاربية مساهمة فعالة وعميقة، لا بالمشاركة البارزة في أكبر الأحداث التاريخية فحسب، ولكن كذلك بخدمة التربة الوطنية وإغنائها والحفاظ عليها واستدرار خيراتها في السهول والجبال والصحاري والسواحل.ولم يمنع من اختلاطهم المبكر بمختلف القوى المداهمة لبلادهم الحفاظ على شخصيتهم المتميزة، ومن مقاومة تلك القوى ببسالة وصمود.
وقد تمكنت قبائل البرانس بحكم استقرارها ومجاورتها لرصيف البحر أن تتحضر وتتأثل المال، وتستفيد مما كان المهاجرون والفاتحون الأجانب يأتون به من مدنيات وثقافات، كما نمت فيها للسبب نفسه روح المقاومة، وكثر تعلقها بالأرض التي تقيم فيها، والتي لم تألف أن تبرحها كالبتر الرحل، وهذا ما جعلها تستميت في مقاومة العرب لأول الفتح الإسلامي، بينما وضع البتر أيديهم في أيدي العرب."[72]
وبناء على ما سبق، يتضح لنا أن البتر كانوا أميل إلى العرب لاشتراكهم في الحياة الاجتماعية نفسها، تلك الحياة القائمة على الرعي والترحال

---

[71] - علي صدقي أزايكو: نفسه، ص:142-143.
[72] - علي صدقي أزايكو: نفسه، ص:146.

والتنقل والفروسية.أما البرانس، فكانوا أكثر تمدنا وتحضرا واستقرارا وانفتاحا على الحضارات والمدنيات الأخرى.

المبحث الثالث: المجتمع الأمازيغي واختلاط الأجناس

يمكن الحديث عن ثلاثة أنواع من القبائل : قبائل أمازيغية حافظت على أمازيغيتها وهويتها الأصلية، وقبائل عربية تمزغت، وقبائل أمازيغية تعربت. بمعنى أن القبائل الأمازيغية التي احتكت بالعرب قد تعربت (مثل قبائل البتر)؛ نظرا لاشتراكها في القيم والعادات والتقاليد والأعراف نفسها. وهناك قبائل عربية تمزغت بسبب قربها من القبائل الأمازيغية، واندماجها فيها. لذلك، يصعب -اليوم- معرفة الأمازيغي من العربي والإفريقي والعجمي والآسيوي نظرا لاختلاط الأنساب، وكثرة الهجرات، والتزاوج بين الشعوب والقبائل والعائلات والأسر. وفي هذا ، يقول العربي اكنينح:" كانت القبائل المسماة بالبربرية تضم أفخاذا بأكملها تنحدر من أصل عربي.ففي بني مطير- مثلا- تسمى آيت علي وعلي، والتي أصبحت تحسب على هذه القبيلة ، وفي آيت عطا كانت تعيش فرق برمتها داخل هذه الاتحادية تعود أصولها إلى القبائل العربية، مثل بني محمد، وهي قبيلة عربية من تافيلالت ،وآيت علوان، وآيت شعيب، وآيت شاكر.وهذه الأنساب معترف بها من طرف آيت عطا نفسها.وفي قبيلة شراكة التي تحسب على القبائل العربية، نجد أنها تكونت في الأصل، من أخلاط من القبائل ، منها من ينحدر من أصل عربي، مثل الشجع، وبني عامر، ومنها من ينتمي إلى أصل بربري، مثل مديونة ، وهوارة، وبني سنوس، ويجهل عامة الناس فيها أصولهم؛ لأنهم اندمجوا في بوتقة واحدة، ولا يعرف عربهم من بربرهم.وإلى جانب هذه الشواهد، تؤكد الدراسات العلمية التي أجريت في شمال أفريقيا على أساس علم الوراثة، المعتمد على مقارنة جينات السكان، على أن البربر لايشكلون وحدة بشرية متجانسة، وأنه يصعب وضع حدود وراثية بين الناطقين والمتحدثين بالعربية في بلدان المغرب الكبير."[73]

---

[73] - العربي اكنينح: **في المسألة الأمازيغية: أصول المغاربة**، مطبعة آنفو برانت ، فاس، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2003م، ص:36-37.

وفي مكان آخر، يضيف الباحث حقيقة أخرى تتمثل في أن كثيرا من أهل فاس يعتقدون أنهم عرب، لكن كثيرا منهم له أصول أمازيغية محضة. وكثير من القبائل البربرية تعتقد أن لها أصولا أمازيغية، لكن أصولها الحقيقية عربية . وفي هذا، يقول الباحث اكنينح:" كثير من المغاربة من ذوي النزعة العروبية، ولاسيما العامة من أهل فاس، يعتقدون، عن جهل، أنهم ينحدرون من أصول عربية قحة. في حين، إن شواهد التاريخ تثبت أن جذورهم أمازيغية محضة. وكثير من المغاربة من ذوي النزعة البربرية ، يعتزون بكونهم ينتسبون إلى أصول أمازيغية خالصة. في حين، تؤكد مصادر التاريخ أن العديد من الفرق منهم ترجع في أنسابها إلى القبائل العربية.علاوة على هذا وذاك، يجهل معظم الناس عندنا أن الأمازيغ والعرب ينتمون إلى سلالة واحدة هي السلالة الحامية-السامية.وحتى بالنسبة للشرفاء الأدارسة ، ينسى الكثير منا أيضا أن إدريس بن إدريس ينحدر من أب عربي وأم بربرية هي كنزة النفزوية."[74] وهكذا، يتبين لنا أن المجتمع الأمازيغي ليس مجتمعا متجانسا في منظومته البشرية، فهو مجتمع مختلط على مستوى الأجناس، يتكون من العرب، والبربر، والزنوج، والروم، والفرس، وغيرهم...

وخلاصة القول، يعد موضوع القبائل الأمازيغية من المواضيع المعقدة والشائكة التي تحير الباحثين؛ لأنه يعتمد على البحث الوراثي والجينيالوجي، ثم معرفة الأنساب معرفة علمية دقيقة. ناهيك عما يثيره هذا الموضوع من حزازات سياسية، ونفسية، واجتماعية. علاوة على ذلك، فقد وجدت مجموعة من القبائل الأمازيغية في شمال أفريقيا قبل الفتح الإسلامي ، وقد أشار إليها المؤرخ اليوناني هيرودوت. لكن النسابة والمؤرخين العرب، بما فيهم ابن خلدون، قد فرعوا القبائل الأمازيغية ، إبان العصر الوسيط، إلى جذعين سلاليين كبيرين هما : البتر والبرانس اللذين يعودان إلى أصل كنعاني أمازيغي مشرقي. وقد نشأت، عن هذين الجذعين الوراثيين الكبيرين، مجموعة من القبائل والبطون والعشائر التي

---

[74] - العربي اكنينح: **في المسألة الأمازيغية: أصول المغاربة**،كلمات الغلاف الخارجي الخلفي.

يمكن تجميعها في فروع كبرى هي- حسب ليون الأفريقي-: زناتة، وصنهاجة، ومصمودة، وهوارة، وغمارة.
وإذا كان البتر رعاة ورحلا وفرسانا ينتقلون من مكان إلى آخر، متأثرين في ذلك بحياة عرب الشرق، فإن حياة البرانس، على العكس من ذلك، قائمة على الاستقرار والمدنية والحضارة.
ومن جهة أخرى، يلاحظ أن كثيرا من القبائل الأمازيغية الأصلية قد حافظت - نسبيا- على لغتها البربرية كما هي، دون أن تندمج في كتل لغوية أخرى. بيد أن هناك قبائل أمازيغية قد تعربت بسب احتكاكها بالقبائل العربية المجاورة لها، فتشربت عاداتها وتقاليدها وأعرافها، بشكل من الأشكال. في حين، نجد قبائل عربية أخرى قد تمزغت لاحتكاكها المباشر بالقبائل الأمازيغية المحاذية لها، فتمثلت قيمها المعنوية الشعورية واللاشعورية، ثم تأثرت بمختلف مظاهر حياتها الاجتماعية.

الفصل الرابع:

أنتـــروبولوجيـــة الإنســـان الأمازيـــغي

من المعلوم أن الكتابة هي المعيار الحقيقي للتمييز بين العصور التاريخية وما قبل التاريخ. وبالتالي، يصعب علينا معرفة الإنسان في فترة ما قبل التدوين والتسجيل والكتابة إلا ما تقدمه لنا الحفريات والآثار والمعطيات الأنتروبولوجية والأركيولوجية. وعلى الرغم من ذلك، يمكن تقسيم فترة

ماقبل التاريخ إلى ثلاثة عصور أساسية هي: العصر الحجري، والعصر البرونزي، والعصر الحديدي. في حين، تنقسم مرحلة التاريخ إلى العهد القديم، والعصر الوسيط، والعصر الحديث، والعصر المعاصر.
وما يهمنا في هذه الدراسة هو التوقف عند الفترة الزمنية التي ظهر فيها الإنسان في شمال أفريقيا، مع تبيان طبيعة هذا الإنسان، ورصد خصائصه الأنتروبولوجية والتاريخية والوراثية، واستجلاء مختلف المراحل الحفرية التي مر بها هذا الإنسان، واستكشاف مختلف الأدوات التي استعملها للتكيف مع الطبيعة التي كانت تحيط به، ورصد مختلف الحضارات الإنسانية التي تعاقبت على شمال أفريقيا.

المبحث الأول: مراحـــل نشــأة الإنســـان

من المعلوم أن نشأة الإنسان فوق البسيطة قضية علمية شائكة في مجال الأنتروبولوجيا، أو علم الإنسان نظرا لتضارب الآراء بين الباحثين، واختلاف أقوالهم في ذلك. وقد أثبتت الدراسات الإنسانية والحفرية والأثرية أن المرحلة الأولى لظهور الإنسان كان منذ **ثلاثين مليون سنة،** مع ظهور نوع من الثدييات القردية والبشرية الصغيرة التي لاتتجاوز نصف متر، وكان ظهورها بمصر القديمة. وفي هذا الصدد، يقول عدنان أحمد مسلم:" كانت المرحلة الأولى منذ **ثلاثين مليون سنة** ،وتمثلت بظهور نوع من الثدييات القردية والبشرية التي لم يكن طول قامتها يتجاوز **نصف متر،** ولم يكن في فمها سوى نصف فك، وقد عثر على بقايا هياكل عظمية لهذه النماذج الأولى في **منطقة الفيوم جنوب القاهرة**. مما يعني أن أرض **مصر القديمة** قد تكون المهد الأول للبشرية. وقد عرفت هذه النماذج باسم **(بروبليوباتاك).**"[75]
أما المرحلة الثانية، فهي مرحلة الإنسان **(راماباتاك)** الذي ظهر منذ **خمسة عشر مليون سنة** في إفريقيا، وأوروبا، وآسيا. وقد تميزت هذه النماذج البشرية " بحجم الجمجمة الأكبر بكثير من حجم جمجمة النموذج الفيومي

[75] - عدنان أحمد مسلم: **محاضرات في الأنتروبولوجيا(علم الإنسان)،** مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، سنة 2001م، ص:29.

المصري الأول، لكن مساحة الوجه أضيق، وعدد الأسنان أقل .وقد عاشت هذه السلالة في الغابات إجمالا، وكانت تعتمد في غذائها على العشب والنبات بشكل رئيس.ويبدو أنها كانت تستعمل الحجارة لتحطيم عظام الحيوانات لكي تتغذى بالنخاع العظمي."[76]

أما المرحلة الثالثة ، فتسمى بمرحلة النموذج الأسترالي، وقد ظهر بأفريقيا منذ ستة ملايين عام. ويسمى أيضا بما قبل الإنسان، و" وقد احتفظ بمعظم الملامح العامة **(للراماباتاك)**، وإن كان تميز عنه بارتفاع حجم الجمجمة إلى ست مائة سنتمتر مكعب بدل أربع مئة، لكن مساحة الوجه ظلت ضيقة.ويبدو أن الإنسان الأسترالي قد حقق تطورا خطيرا جدا بالنسبة لمسار النوع البشري؛ ذلك أنه بعد أن كانت نماذج المرحلتين السابقتين تدب على أطرافها الأربعة، مشى الإنسان الأسترالي على قدميه فقط...وهذه المرحلة الأسترالية هي التي يصطلح العلماء على تسميتها بمرحلة ماقبل التاريخ أو فجر التاريخ."[77]

أما المرحلة الرابعة، فهي مرحلة الإنسان العارف أو الحاذق(**هوموهابيلوس)**، وكان ذلك منذ **مليونين ونصف المليون عام،"** وهو نسخة متطورة لنموذج الإنسان الأسترالي يتميز عنه بأنه أطول قامة، وحجم الدماغ صار -هنا- أكبر بكثير(ثمان مائة سنتيمتر مكعب بدل ست مائة)، كما أن قوامه استقام عموديا، بعدما كان قوام الأسترالي مائلا إلى الانحناء.كما تميز الإنسان الحاذق بقدرته على قرض أي شيء، سواء أكان لحميا أم نباتيا، وذلك بفضل أسنانه الأقوى، والأكبر عددا، والأكثر تنوعا، مما جعله قادرا على التأقلم مع أي نوع من البيئة.[78]"

وأكثر من هذا، فقد عرف هذا الإنسان الحاذق العارف الصيد، وسكن الأكواخ، وصنع أدواته الحجرية، وتحول نحو مجتمع أسري. وقد انبثق عن هذا الكائن ما يسمى بالإنسان البناء (**هوموأزيكتوس)** الذي ظهر بأفريقيا ، وانتشر في مختلف مناطق العالم، وخاصة في الصين وفلسطين القديمة، وكان ذلك منذ **مليون وخمسمائة ألف عام**." وقد تميز إنسان هذه المرحلة بتحقيق تقدم مهم في تطوير أدوات الصيد، كما أحرز تقدما مهما

[76] - عدنان أحمد مسلم: **محاضرات في الأنتروبولوجيا(علم الإنسان)**، ص:29.
[77] - عدنان أحمد مسلم: نفسه، ص:29-30.
[78] - عدنان أحمد مسلم: نفسه، ص:31.

في مجال إحكام سيطرته التامة على النار، وإخضاعها للاستخدام في معظم أوجه حياته."[79]

وبعد ذلك، ظهر الإنسان العاقل العاقل (**الهوموسابينس**) وهو الجد الأقرب للإنسان الحديث، كان ذلك منذ مائتي ألف سنة، " وقد تميز بقامته الأطول، وبجمجمته الأضخم، وبمساحة وجهه الأوسع."[80]

وعليه، تبقى هذه النظريات والتصورات الأنتروبولوجية نسبية وافتراضية واحتمالية قابلة للنقاش العلمي، كلما توصل الباحثون إلى مكتشفات أثرية وأركيولوجية وباليونتولوجية جديدة. فلا أحد" يعلم على وجه اليقين متى بالتحديد ظهر أول إنسان، فتحديد بدايات الشيء من أصعب ما يكون، فالبدايات تكون غير واضحة أحيانا، لأن التغيرات التي تؤثر عليها تحدث دائما عبر عملية التطور. أي: تراكم تغييرات صغيرة، وأحيانا صغيرة جدا، ولكنها مهمة، لذلك لا نستطيع تحديد تلك النقطة التي يسعنا عندها القول: "هذه هي نقطة البداية بالضبط ."بمعنى أنه لا نستطيع تشخيص بداية محددة للإنسان، كما هو الحال في صعوبة تحديد بداية للكون، أو بداية أصل الحياة، ولكنا نستطيع تحديد حقب زمنية معينة شهدت بدايات التغيرات على الرئيسيات العليا التي أفضت لظهور الإنسان."[81]

وعلى العموم، فقبل أن يتحول المخلوق البشري إلى إنسان عاقل، كما هو الإنسان اليوم، فقد مر بمجموعة من التحولات البيولوجية والدماغية والعقلية نتيجة لمجموعة من العوامل المناخية والوراثية. فقد بدأ بالملامح القردية وصولا إلى اكتساب الملامح الإنسانية المعاصرة. ومن هنا، " تشير الأبحاث الحفرية إلى أنه، قبل نحو **35 مليون عام**، ظهر أوائل الأسلاف الحقيقيين المشتركين للإنسان وللقردة. أي: الرئيسيات العليا التي انعزلت في القارة الإفريقية، حين كانت كلها عبارة عن جزيرة. وتشير الدراسات الجيولوجية أنه، قبل نحو 17 مليون عام، التقت الصفيحة

---

79 - عدنان أحمد مسلم: نفسه، ص:32.

80 - عدنان أحمد مسلم: نفسه، ص:32.

81 - عبد الغني سلامة:(ظهور الإنسان)، **موقع الحوار المتمدن**، العدد:3455، 2011/08/13م،

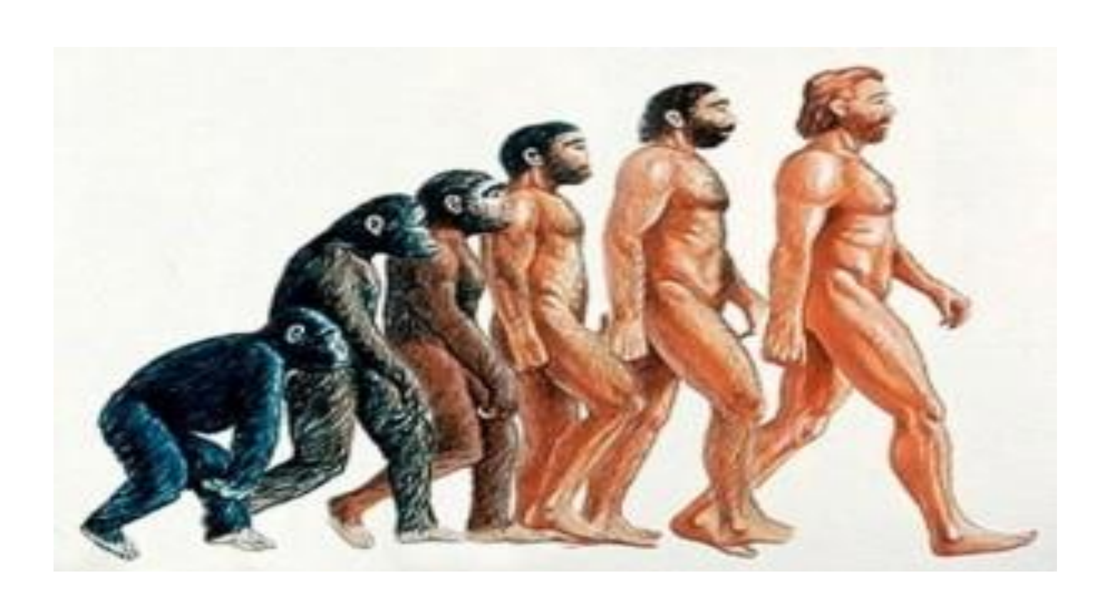
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=271173

الإفريقية العربية بالصفيحة الأوروبية الآسيوية، مما شكل جسرا بريا بين تلك القارات، سمح من خلاله للكائنات الحية أن تتنقل فيما بينها."[82]

وبعد ذلك، ظهرت مجموعة من الأنواع الإنسانية، مثل الإنسان الأسترالي، والإنسان العاقل، والإنسان البناء، والإنسان العاقل العاقل...

" ومن هذا المنطلق، يمكن عد (**هوموهابيلوس**) الحاذق (العاقل) الأب الحقيقي لإنسان الأزمنة الحديثة، مما يعني أن عمر البشرية الحالية يرقى إلى مليونين ونصف المليون سنة.وذلك أن المراحل السابقة (للهابيلوس) لم تكن سوى مقدمة للنموذج البشري[83]."

وعلى أي حال، فقد تحققت مجموعة من التطورات التي مست الكائن البشري. ويرجع ذلك إلى عوامل مناخية وجيولوجية عدة، لحقت الكرة الأرضية منذ عشرين مليون سنة. وقد ترتب عن ذلك التطور أن انتقل الإنسان من كائن بيولوجي حيواني إلى كائن ثقافي وحضاري، يستعمل اللغة أداة رمزية للتعبير والتواصل، ثم يعنى بالبناء الأسري والاجتماعي.



المبحث الثاني: تطور إنسان شمال أفريقيـــا

---

[82] - عبد الغني سلامة:(ظهور الإنسان)، الرابط نفسه.

[83] - عدنان أحمد مسلم: نفسه، ص:33-34.

عرف إنسان شمال أفريقيا، ومنه الإنسان الأمازيغي، مجموعة من المراحل السلالية التي تطورت عبر الزمن بسبب التغيرات المناخية والجيولوجية التي تعرضت لها المنطقة. " والجدير بالذكر-هنا- هو أن الأبحاث الأثرية التي تمت في أماكن عديدة من الأقطار المغاربية؛ وصلت إلى اكتشاف أقدم أثر؛ لما أسموه إنسان الأطلس(Atlanthropes) ؛ الذي وصلت الفترة الزمنية التي عاش فيها- بهذه الربوع- إلى 400.000سنة قبل الميلاد؛ ويعتقد المختصون أنه شبيه بالأثر المكتشف في الصين الذي سموه (Sinanthrope)؛ ثم الذي عثر عليه في جاوة وتانزانيا؛ المسمى (Pithécanthrope).وقد عثر على بعض الأدوات الحجرية البسيطة التي كان يستعملها هذا المخلوق.وقدر العلماء الفترة التي عاش خلالها بالعصر الحجري السفلي (الأدنى). وتأتي بعد هذا- زمنيا- البقايا الهامة التي اكتشفت في مغارة جبل أرحود بالمغرب الأقصى، وبعض المواقع في كل من الجزائر ، وتونس.وهذا الصنف من المخلوقات سماه العلماء بإنسان نياندرتال (Homme Neandertal) نسبة إلى منطقة في ألمانيا؛ اكتشف فيها الآثار الأولى لهذا المخلوق . وقد حدد العلماء زمن وجوده بفترة تنحصر بين 40.000 و25.000 سنة قبل الميلاد.بمعنى أنه عاش خلال العصر الحجري الأوسط، وقد تردد العلماء في الإقرار بإنسانية هذين المخلوقين؛ نظرا للصفات البهيمية التي يتميزان بها؛ غير أن استعمالهما لبعض الأدوات الحجرية ؛ جعل بعضهم يعتقدون أنهما يمكن أن ينسبا للإنسان العاقل.

وماهو مؤكد- حتى الآن- أن البقايا الإنسانية التي لاشك فيها ، يعود تاريخها إلى العصر الحجري المتأخر الذي حددوا زمنه بفترة تمتد من 12.320 إلى 6.5000ق.م؛ وهذه البقايا الإنسانية تم اكتشاف العينات الأولى منها في مشتى العربي بالجزائر.ثم اكتشفت عينات أخرى في منطقة ققصة بتونس؛ سمي صاحبها إنسان ماقبل المتوسطي، وهو يختلف في تقاطيع جمجمته عن إنسان مشتى العربي."[84]

ويرى اصطيفان اكصيل(Stéphane gsell) أن الدليل على وجود الإنسان بتامازغا هو الأدوات والأسلحة التي عثر عليها في المنطقة.وفي هذا، يقول اكصيل:" إن أقدم الشهادات بوجود الإنسان في شمال أفريقيا

[84] - بوزياني الدراجي: **القبائل الأمازيغية**، ص:29-30.

هي الأسلحة والأدوات الحجرية التي عثر عليها مع بقايا الحيوانات التي كانت تسكن هذه البلاد في العصر الرابع، أثناء عهد من الحرارة الرطبة. وترجع هذه الأشياء إلى الفترات الأولى من صناعة العصر الحجري القديم، وهي تشبه تلك التي عثر عليها في أقاليم أخرى، وخصوصا منها أوروبا الغربية ، حيث يميز علماء ماقبل التاريخ ثلاثة نماذج غالبا ما يعثر عليها مجموعة ، وعلى الخصوص منها النموذجان الأخيران.هذه النماذج الثلاثة هي: الشلي المتمثل في الفأس المقطوعة بصفة بسيطة، والأشولي المتمثل في المقدات اللوزية الشكل التي في صنعها بعض الإتقان، ثم المستيري المتمثل في القرنات والشفرات والمكشطات التي عولجت من وجه واحد."[85]

ومن جهة أخرى، يرى شال أندري جوليان أن أقدم إنسان بربري عثر عليه في شمال أفريقيا يعود إلى .300أو 400ألف سنة تقريبا:" أما في عصور ما قبل التاريخ، فقد كانت بلاد البربر تختلف عما هي عليه اليوم اختلافا قويا كلما اقتربنا من أوائل تلك العصور، فالإنسان الأول الذي ظهر في إفريقيا الشمالية. أي: أقدم إنسان عثر على أثر له إلى هذا اليوم، عاش **منذ ثلاثمائة أو أربعمائة ألف سنة تقريبا**. والثلاثون أو الأربعون قرنا التي يذكرها إنسان هذا العصر بصورة تتفاوت وضوحا تبدو متواضعة للغاية بالنسبة إلى ماضي البشريات المتعاقبة المدهش. إلا أن المنظر الطبيعي نفسه لم يزل يشاهد أطوارها المختلفة. أما في عصور ما قبل التاريخ، فإن المدنيات هي التي تبدو بالعكس قارة بالنسبة للطبيعة المتبدلة. والبشر الذين نجد آثارهم في الأحافير(Fossilles) تأملوا مناظر طبيعية تختلف عما نراه اليوم. ومظاهر التضاريس وخاصة السواحل لا تماثل ما نجده اليوم. والمناخ خاصة وبالتابع المياه والنبات والحيوان المتأثر بأحوال المناخ جميعها لم تكن على ما أصبحت عليه اليوم. فالذي ينتظره مؤرخ ما قبل التاريخ من الاختصاصيين الآخرين هو في آخر الأمر أن يمكنوه من ربط مصير الأجناس المنقرضة بتقلبات العوالم الميتة."[86]

---

[85] - اصطيفان اكصيل:**تاريخ شمال أفريقيا**، ص:159.

[86] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:30.

كذلك، يرى شارل أندري جوليان أن إنسان شمال أفريقيا ، على الصعيد الجيولوجي، يتموقع بين العهد الصقلي والعهد الميلازي، ضمن العصور الحجرية القديمة: " إن علم طبقات الصخور الخاص بالحقبة الرباعية البحرية، وهو المرجع الوحيد لمؤرخ ماقبل التاريخ في دراسته لإفريقيا الشمالية، يعتمد في خطوطه الكبرى على التصنيف الذي وضعه ش.ديبري(Ch. Depert) منذ ما يقرب من ثلاثين سنة. ويقوم هذا التصنيف على وجود شواطئ متحجرة في مواضع مختلفة من البحر المتوسط، ويكتشف الباحث هذه الشواطئ في مستويات معينة، أو يزعم أنها معينة ، ويجد فيها بقايا حيوانات متماثلة.أما اختلاف هذه المستويات، فيعزى إلى حركات (ستاتيكية) ناتجة عن ظواهر التجلد والذوبان. وكاد الباحثون أن يجمعوا على التناسب الآتي :

❶ الصقلي(90-100م) يناسب أخر عصور ماقبل الجليدي؛

❷ميلازي(55-60م) يناسب عصر ما بين الجليدي (قونز - ميندال)؛

❸التيريني(28-30م) يناسب عصر ما بين الجليدي(مندال- ريس)؛

❹المنستيري أو القريملدي(15-20م) يناسب عصر مابعد الجليدي(ريس ورم)؛

❺ العصر الحالي ما بعد الورميني أو ما بعد الفلاندري بحسب رجوعنا إلى التجليد الأخير أو الفيضان البحري الذي تبعه.

لكن هذا التخطيط الذي يرتاح إليه الكل أيما ارتياح لم يلاق من سوء الحظ إجماع علماء الجيولوجيا، بل يمكن القول بأن أغلبهم يرفضونه اليوم. ففريق يأبى أن يقر بالترابط المشار إليه آنفا بين مختلف مستويات المميزة للساحل المتوسطي وبين عصور ما بين الجليدي، خاصة وأن التجلد الذي قرره قونز مشكوك في صحته عند الكثيرين، وفريق آخر أشد احترازا من الأول لا يكتفي بمهاجمة نتائج بحوث ش.ديبري وأتباعه فحسب، بل ينتقد الملاحظات التي تعتمد عليها هذه النتائج. وحتى الذين يقبلون التخطيط جملة، فإنهم يعترفون بأنه يوجد فيه بعض المتناقضات التي كثيرا ما تنال من مدلوله العام. فكيف يمكن لعلم ما قبل التاريخ أن يقرر، على أسس مشكوك فيها إلى هذا الحد، تواريخ نسبية لم يقدح أحد من قبل في صحتها؟ وبالإضافة إلى ذلك، فمن الواجب أن نؤكد أن علم الجيولوجيا تنتهي مهمته المتواضعة أو تكاد حينما نصل إلى العصر الحجري القديم.

وتصنيف ش.دي بيري - و إن أصبح مجرد افتراض للبحث بصورة وقتية على الأقل- فإنه إطار مناسب يمكن أن نسجل فيه المعطيات الخاصة بالعصر الحجري القديم أو المعطيات الأثرية على أساس أنها مجرد إمكانيات. وترجع أقدم آثار للإنسان في المغرب الأقصى في الحد الذي بلغته معلوماتنا، إلى عصر ما بعد الصقلي وما قبل الميلازي حسب نظرية أبداها أ.نوفيل وأ. رولمان وتبناها الأب هـ.بروي. أما في الجزائر، فإن بعض المعالم يجب إرجاعها حتى إلى **الفيلافرانشي** حسب الاكتشافات الحديثة التي قام بها س.أرمبورغ في عين الحناش بجهة سطيف. إلا أن الإجماع لم يحصل حول هذه النقطة أيضا، وبقي باب المناقشة مفتوحا بين أنصار التواريخ "المحدودة" .أي: الذين يجعلون أوائل العصر الحجري القديم في ما بين الجليدي ريس- ورم وأنصار التواريخ "الممتدة" الذين يجعلونها في عصر ما بين الجليدي قونز- مندال .وحتى لو ذهبنا مذهب أ. رولمان في تناسب "الكلاكتو- أبيفلي" مع عصر ما بين الجليدي قونز ميندال "و "الابيفيلي" (شيلي) مع عصر ما بين الجليدي "مندال- ريس" والآشولي، وهو معاصر تقريبا للموستيري السفلى" ، ويناسب عصر ما بين الجليدي "ريس- ورم"، فإن ذلك لا يعني أن هذا التناسب يصح على إفريقيا الشمالية كلها. فلم يتيسر ضبط طبقات الصخور إلا بفضل ما اكتشف في مقطع سيدي عبد الرحمان بالقرب من الدار البيضاء - إلا أن أسس هذا الضبط نفسها مشكوك فيها كما سبق أن أسلفنا. والذي تمتاز به بلاد البربر هو "التفوق المطلق" لمراكز السطح التي توجد فيها معالم ما قبل عصور التاريخ."[87]

وعليه، فقد تبين للباحثين الأجانب أن الإنسان لم يظهر ، في منطقة شمال أفريقيا، إلا في مرحلة العصر الحجري القديم. والدليل ذلك مجموعة من الاكتشافات والاستنتاجات الأثرية التي توصلوا إليها في العديد من المناطق الصحراوية. كما يتبين ذلك جليا في النقوش الصخرية، والأدوات المستعملة، والقطع الحجرية، والهياكل البشرية...

[87] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:32.

المبحث الثالث: نماذج من السلالات الإنسانية في شمال أفريقيا

عرفت منطقة شمال أفريقيا عدة نماذج إنسانية ومخلوقات بشرية، تطورت مع تغير العوامل المناخية والبيئية والوراثية. ويمكن حصرها في النماذج التالية:

المطلب الأول: الإنســـان القـــردي الجنوبـــي

لم يظهر الإنسان القردي الجنوبي أو الأسترالوبيثيك (Australopithèques) إلا في شرق أفريقيا وجنوبها ، وبالضبط في نهاية الزمن الجيولوجي الثالث، ما بين **3.5 و6 ملايين سنة** . " ولحد الآن، لم يعثر على بقايا هذا النموذج في المغرب، إلا أنه، في المقابل، تم اكتشاف نماذج عديدة من الأدوات الحجرية التي كان يستعملها هذا الإنسان في مواقع كثيرة في كل شمال إفريقيا ، وخاصة في المغرب، في شماله وجنوبه ووسطه وصحرائه. ووجود مظاهر حضارات هذا الإنسان في المغرب يدفعنا إلى طرح فرضية وجود هذا المخلوق في بلدنا إلا أن الأبحاث والتنقيبات الأثرية والباليونطولوجية لم تصل إليه بعد."[88]
ويعني هذا أن منطقة شمال أفريقيا عرفت ظهور الإنسان القردي من خلال الأدوات الحجرية التي كان يستعملها، وهي بمثابة بصمات دالة على تواجده في هذه المنطقة.

المطلب الثاني: الإنسان المنتصب القامة (Homo Erectus)

يمثل هذا الإنسان مرحلة متطورة مقارنة مع المرحلة السابقة، فقد اكتشفت آثار دالة على هذا الإنسان في إفريقيا وآسيا.أما في المغرب، فقد عثر على سبعة نماذج تنتمي إلى الإنسان المنتصب القامة منها: " إنسان سيدي عبد

---

[88] - مصطفى أعشي: **جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ**، طارق بن زياد، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2002م، ص:11-12.

الرحمن الأول الذي يعود تاريخه إلى حوالي **400.000 سنة** قبل اليوم، وإنسان الرباط حوالي **200.000** سنة ، وإنسان سلا ، وإنسان تمارة حوالي **170.000** سنة، وإنسان سيدي عبد الرحمن المكتشف سنة 1998، **حوالي مليون سنة**، والبقايا المستخرجة من محجر طوما بالدار البيضاء.
وإذا كانت بقايا الإنسان المنتصب القامة في إندونيسيا والصين يتراوح عمرها مابين **مليون وسبعمائة ألف سنة قبل الميلاد**، فإن بقايا المغرب تغطي مرحلة زمنية تمتد ما بين **مليون سنة ومائة وسبعين ألف سنة** قبل الميلاد. وهذا يعني أن هناك استمرارا للوجود البشري في المغرب، بل وأن هذا الوجود كان مكثفا، على الرغم من قلة التنقيبات والأبحاث الأثرية؛ مما يؤكد أن المغرب من البلدان القليلة التي كانت مأهولة بالإنسان منذ أكثر من مليون سنة."[89]
ويعني هذا كله أن الإنسان المنتصب القامة كان متواجدا ، بشكل كبير، في شمال أفريقيا منذ سنوات خلت، تقدر بأكثر من مليون سنة.

المطلب الثالث: إنســان جبــل إيغــود

يسمى هذا المخلوق البشري بإنسان النيادرتال (Neandertal) الذي اكتشف وجوده بألمانيا. وقد عاش هذا الإنسان ما بين **200.000 و35.000** سنة قبل الميلاد. وهو أكثر تطورا من الإنسان المنتصب القامة. وتعد فرنسا المستقر الأصلي لهذا النموذج البشري حسب الاكتشافات المعروفة لحد الآن. و" في شمال إفريقيا، لم يعثر على أية بقايا للنياندرتال، بينما استخرجت نماذج بشرية أخرى عاشت في المرحلة نفسها، وهي المعروفة في المغرب **بإنسان جبل إيغود."[90]**
هذا، ويعبر اكتشاف جبل إيغود عن وجود إنسان ينتمي إلى مرحلة الإنسان الحكيم العاقل، أو العاقل العاقل، بمرحلة زمنية تقدر **بـ130.000**سنة قبل الميلاد حسب الباحث المغربي بنصر.

---

[89] - مصطفى أعشي: **جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ**،ص:12-13.
[90] - مصطفى أعشي: نفسه، ص:13.

" وإلى غاية 1981 م، كان الكثير من المهتمين بالتطور البشري في المغرب، يعتقدون أن بقايا جبل إيغود المستخرجة من موقع يبعد بحوالي 30كلم جنوب شرق مدينة آسفي،أنها بقايا نياندرتالية، وكان هذا هو المتداول منذ اكتشاف إنسان جبل إيغود سنة 1962م، إلا أن التحاليل والدراسات التي تعرضت لها هذه البقايا بمتحف التاريخ الطبيعي بباريس، أبرزت أن إنسان جبل إيغود لاعلاقة له إطلاقا بالنيادرتال، سواء على المستوى الفيزيولوجي أم على المستوى الاجتماعي.إذ إن إنسان جبل إيغود يجمع بين سمات عتيقة توجد في الإنسان المنتصب القامة، وصفات حديثة نجدها في الإنسان العاقل العاقل.أي: إنه يتوسط النوعين.وبالتالي، يمكن اعتباره صلة وصل بينهما."[91]

ويتضح لنا ، من هذا كله، أن منطقة شمال أفريقيا قد عرفت ملامح الإنسان النيادرتالي، وملامح الإنسان المنتصب القامة، وملامح الإنسان العاقل العاقل على حد سواء.

المطلب الرابع: الإنســـان العاطـــري

بعد مرحلة الإنسان العاقل العتيق، ظهر الإنسان العاقل الحديث الذي دشن ما يسمى بالحضارة المغربية الأصيلة، أو ما يسمى أيضا بالحضارة العاطرية أو العتيرية التي عرفتها أفريقيا الشمالية ما بين **45.000** **و20.000** قبل الميلاد.ومن الاكتشافات الدالة على هذا الإنسان مجموعة من المواقع الأثرية في كهف دار السلطان قرب الرباط، وكهف المناصرة بتمارة، وكهف تافوغالت ببركان، ومواقع أخرى قريبة من مدينة السمارة، وفي باقي بلدان شمال أفريقيا والصحراء الكبرى." وهذا الانتشار الكبير للإنسان العاطري ولحضارته يعكس مدى قوة هذا الإنسان وتفوقه الحضاري؛ مما جعله يفرض وجوده على كل بلدان شمال أفريقيا والصحراء الكبرى."[92]

ويمكن إدراج اكتشاف مغارة (**إيفري ن عمار**) بمدينة الناظور ، منذ سنة 1997م، ضمن المرحلتين العاطرية والوهرانية ، حيث عثر على

---

[91] - مصطفى أعشي: نفسه، ص:14.

[92] - مصطفى أعشي: نفسه، ص:15-16.

هياكل عظمية لأربع أطفال دفنوا في مقتبل العمر حوالي **15.000 سنة**، ولإنسان بالغ دفن جالسا حوالي **18.000 سنة**، حسب طقوس جنائزية كان يستخدمها الإنسان الإيبيروموريزي. إضافة إلى جدار أيسر للمغارة مطلي بالصباغة الحمراء منذ حوالي **14.000** سنة، يعد بمثابة أقدم تعبير فني في إفريقيا الشمالية.

وتأسيسا على ماسبق، تمتد الحضارة العاطرية ما بين **20.000 و45.000 سنة** قبل الميلاد. ويعني هذا أن الإنسان العاطري ينتمي إلى العصر الحجري الوسيط. وقد أطلق عليه اسم (الإنسان العاطري أو العتيري)، نسبة إلى موقع بئر العاتر التابع لولاية تبسة بالجزائر على حدود تونس[93].

وقد سمي أيضا بـ **(الإنسان الحلزوني)** نسبة إلى اعتماده على الحلزون في غذائه.

ويتميز هذا المخلوق باستخدام أدوات حجرية كالصوان، وتلوين جدران الكهوف، والرسم على شواهد القبور، و تصوير مختلف الحكام والملوك الذين تعاقبوا على حكم تلك الجهة التي كان يسكنها الإنسان العاطري.

ويؤكد الباحثون أن هذا الإنسان كان معاصرا" لإنسان كرومانيون الأوروبي ، ويذهب أغلب الباحثين إلى أنه إنسان عاقل باستثناء كامبس.وقد وجد نموذج آخر له بدار السلطان بالمغرب.وهذا دفع الباحثين إلى الإقرار بانتشار هذا الإنسان في شمال غرب أفريقيا غرب الجزائر حتى سواحل المحيط الأطلسي."[94]

وعليه، تعد الحضارة العاطرية أقدم حضارة في شمال أفريقيا إلى جانب الحضارتين الوهرانية والقفصية، ربما تتميز الحضارة العاطرية بأنها أكثر تقدما من الحضارتين السابقتين على المستوى التقني وصنع الأدوات. كما تشير الأبحاث الأنتروبولوجية والأركيولوجية إلى أن الإنسان الذي صنع الحضارة الموستيرية بأوربا والعاطرية بشمال إفريقيا هو الإنسان النياندرتالي الذي تعود أصوله الباكرة إلى فلسطين. وقد عثر على بقاياه العظمية في موقع (هوافتيح) بليبيا، تحيط به البقايا العاطرية.

---

[93] - بلدة جزائرية ، تبعد بمسافة 30 كيلومترا من الحدود التونسية، وتقع في الطرف الشمالي من جبل العنق، ترتفع عن سطح البحر 1000 م. مناخها شبه رطب، وتحتوي على أراض رعوية وزراعية واسعة.

[94] - محمد حقي: نفسه، ص:20.

ويعد الباحث الفرنسي ريكاس (Reygasse) من الأوائل الذي وصفوا الحضارة العاطرية في دراسته التي نشرتها الجمعية الفرنسية لتقدم العلوم سنة 1922م.

المطلب الخامس: الإنســان الوهــراني أو الإيبروموروسي

يرتبط الإنسان الوهراني بالحضارة الوهرانية الجزائرية. وهي امتداد للحضارة العاطرية، وتمتد زمنيا بين **14.000و10.000سنة** قبل الميلاد. وتتميز الحضارة الوهرانية بأنها حضارة ساحلية تنتشر في شمال أفريقيا، من المغرب غربا إلى ليبيا شرقا. في حين، كانت الحضارة القفصية حضارة داخلية قارية." وأول من سماها بلاري(Pallary) الذي أطلق عليها اسم الحضارة الإيبيروموربة معتقدا أنها صناعة قادمة من شبه جزيرة أيبيريا ، غير أنه اتضح فيما يعد أن هذه الحضارة لاعلاقة لها إطلاقا بأيبيريا ، وأنها حضارة محلية صرفة. وأعقب ذلك تحريات ودراسات وحفريات قام بها الباحث الفرنسي فوڤري سنة 1932 في مواقع بالجزائر على الخصوص، مما حدا به إلى تسميتها بالحضارة الوهرانية.
ومن أهم سمات الحضارة الوهرانية صغر أدواتها الحجرية، ولاسيما النصال الصغيرة ذات الشكل الهلالي، والمكاشط المستديرة، وبعض الأدوات المستعملة لسحق الألوان بجانب أدوات من العظام المصقولة المهندمة"[95]

وعليه، فقد تميزت الحضارة الوهرانية بصناعة الفخار، وصقل الأحجار، وصناعة رؤوس السهام . والهدف من ذلك كله هو استعمالها في الصيد، والدفاع عن النفس.علاوة على ذلك، يلاحظ الباحثون أن هناك تداخلا وترابطا بين الحضارة العاطرية والحضارة الوهرانية. وفي هذا، يقول الباحث المغربي مصطفى أعشي:" إلى وقت قريب، كان يعتقد أن هناك فراغا حضاريا أو هوة (Hiatus) أركيولوجية تفصل بين الحضارة العاطرية والحضارة الوهرانية . ولكن التنقيبات الأثرية التي أجراها الباحث الفرنسي القس روش (l`Abbe Roche) في مغارة الحمام

---

[95] - مصطفى أعشي: نفسه، ص:24.

بتافوغالت بشرق المغرب ، أثبتت أن المستويين الأثريين 17 و 18 ، من مستويات المغارة والواقعين في أسفل الطبقات الأثرية يمثلان الحضارة العاطرية وبداية الحضارة الوهرانية في المستويات العليا انطلاقا من المستوى 16... وهذا ما يعني عدم وجود أية هوة بين الحضارتين العاطرية والوهرانية، وأن هناك استمرارية واتصالا بين الحضارتين.وليس من المستبعد أن يكون للحضارة العاطرية أثر في الحضارة الوهرانية."[96]

نستنتج، مما سبق توضيحه، أن الحضارتين العاطرية والوهرانية كانتا أكثر انتشارا في بلدان شمال أفريقيا، وكانتا حضارتين متقاربتين ومتداخلتين من الناحية الزمانية والمكانية.

المطلب السادس: الإنســـان القـفـصـــي

ظهر الإنسان القفصي بعد الإنسان الإيبيروموري، وقد اكتشف لأول مرة سنة 1909م. وقد عاش هذا الكائن البشري في منطقة قفصة ما بين تونس وشرق الجزائر، ويتحدد زمنه **في 7.000 أو 9.000 سنة قبل الميلاد**. وقد وجدت له بقايا في المغرب تعود إلى **5.000 سنة قبل الميلاد**. بيد أن الباحثين وجدوا إشكالا عويصا في معرفة جذوره المكانية، فهل هو شرقي أم غربي أم صحراوي أم أنه إنسان أصلي؟

ويحتمل أن يكون هذا الإنسان مشرقي الجذور؛ لأن بداية البشرية مشرقية، إذا استحضرنا دلائل الثقافة الدينية. ويرجعه محمد حقي إلى الشرق الأدنى:" وتوصلت الأبحاث الأثرية إلى التعرف على إنسان آخر منذ حوالي **الألف التاسعة قبل الميلاد** نعت بالإنسان القفصي، وينتشر شرق منطقة شمال أفريقيا.وتوافق ملامحه ملامح الإنسان الماقبل متوسطي.وقد قدم إلى المنطقة من الشرق الأدنى.فهناك، إذاً، إنسان ماقبل متوسطي في الشرق وإنسان مشتى العربي في الغرب، وهما اللذان أعطيا الإنسان البربري القديم الذي سرعان ما اكتسب الخصائص المتوسطية."[97]

---

[96] - مصطفى أعشي: نفسه، ص:23.

[97] - محمد حقي: نفسه،ص:21.

لكن مصطفى أعشي يرى أن الإنسان القفصي صحراوي بامتياز، ينتمي إلى الصحراء الكبرى. وفي هذا الإطار، يقول الباحث :"وهذا ما يدفعنا إلى افتراض أن الإنسان القفصي صحراوي في الأصل، وأنه شرع في ترك الصحراء بسبب تغير المناخ الذي بدأ يحول الصحراء إلى منطقة جافة وقاحلة بالتدريج.هذا التغير الذي لايزال مسترسلا إلى يومنا هذا."[98]
وعليه، إذا كانت الحضارتان العاطرية والوهرانية أكثر انتشارا في شمال إفريقيا، فإن الحضارة القفصية أقل انتشاراً في المكان والزمان ،إذ لم تتجاوز المناطق الداخلية بتونس ، وخاصة جهتي قفصة وتبسة . كما تمتد إلى شرق الجزائر، وخاصة جهة سطيف وقسنطينة ، ولا تتعدى في الغرب جهة تيارت . ولم يعثر على أي أثر لهذه الحضارة لحد الآن في المغرب والصحراء . لكن يبدو أنه عثر على ما يشبه هذه الصناعة في الواحات المصرية وجنوب مصر وشمال السودان"[99]
هذا، ويعد **(إنسان مشتى العربي)** نموذجا آخر من نماذج الإنسان القفصي. وقد توصل الباحثون ، في الجهة الشرقية من الجزائر، إلى مجموعة من الجماجم البشرية التي تثبت قدم الإنسان في شمال أفريقيا. وفي هذا ، يقول الباحث المغربي إبراهيم حركات: " وقد عثر في قسنطينة على عدة جماجم بشرية ترجع إلى العصر الحجري القديم، وأهمها ما وجد بكهوف علي بابا وايم ومشتى العربي وأفالوبورومل، وتمثل الجنس الحبشي ببشرته الداكنة وجنس البحر المتوسط ببشرته المتفاوتة صفاء، أو على الأصح فإنها تنتمي إلى نوع (Cro-Magnon) الأوروبي الذي ينتمي إليه الجنسان المذكوران فيما يقال.وهذا النوع البشري قد عمر معظم أجزاء الشمال الأفريقي إلى نهاية العصر الحجري القديم.[100]"
وعليه، فقد اكتشف علماء الآثار إنسانا أفريقيا قديما آخر في (مشتى العربي) شرق الجزائر.بيد أنه أحدث من الإنسان العتيري." لكن الباحثين انقسموا في تحديد أصله إلى فريقين: فريق يفترض أنه نزح إلى المنطقة من أوروبا عبر جبل طارق، وفريق ثان يرى أنه قدم من فلسطين.لكن

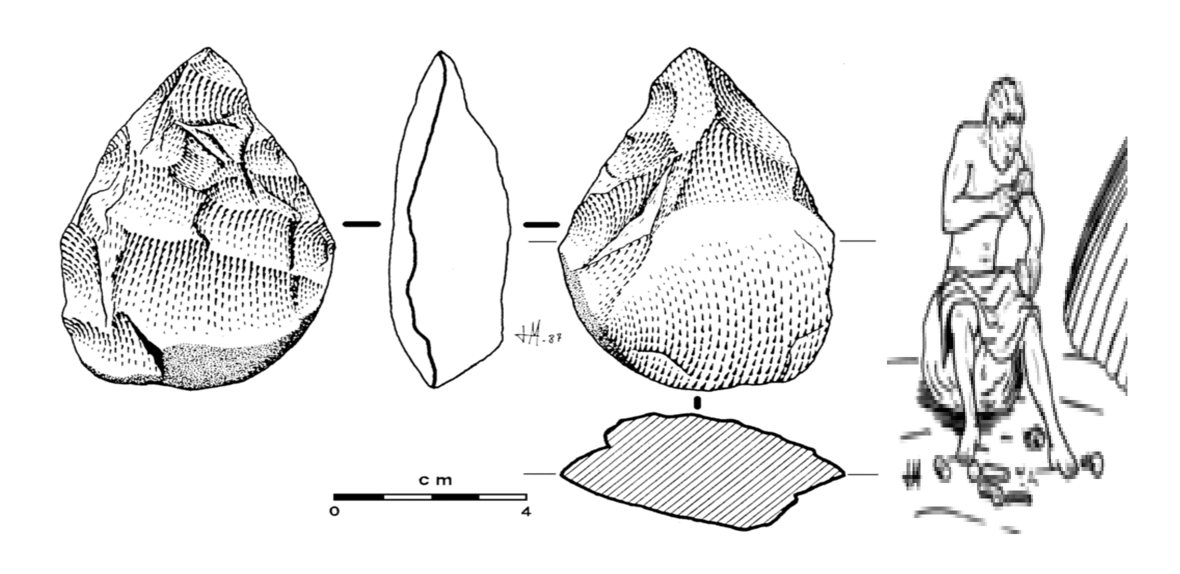
---

[98] - مصطفى أعشي: نفسه، ص:16-17.
[99] - مصطفى أعشي: نفسه، ص:26.
[100] - د.إبراهيم حركات: نفسه، ص:13.

كامبس[101] يؤكد أن كلا المذهبين يحملان نواقص كثيرة ؛ مما يرجح فرضية أصله المحلي .كما افترض ذلك عدد من الباحثين الجادين الذين اعتبروه مجرد تطور للإنسان العتيري[102]".

ويعني هذا أن إنسان مشتى العربي هو امتداد للإنسان العاطري في الجزائر. وهو أحدث زمنيا مقارنة بالإنسان العاطر. وقد استوطن سواحل شمال أفريقيا في الحقبة الزمنية من العصر الحجري الممتدة من **23 ألف** إلى **10** آلاف سنة قبل الميلاد..

ومن هنا، يتبين لنا أن الإنسان القديم، في شمال أفريقيا، كان ينتقل بين أماكن داخلية قارة (الإنسان القفصي)، وأماكن ساحلية شاطئية (الإنسان الوهراني).



المبحث الثالث: مناقشـــة المواقــف

يلاحظ أن ثمة تناقضا واضحا بين الدراسات الأنتروبولوجية والإثنولوجية واللسانية فيما يخص أصل الإنسان الأمازيغي ونشأته . فهناك من يقول بالأصل المحلي لهذا الإنسان. وهناك من يقول بالأصل الزنجي. وهناك من يقول بالأصل المتوسطي والأوروبي. وهناك من يقول بالأصل السامي

---

[101] -Camps (G) :**<u>Berbères aux marges de l'histoire</u>**. Ed.des Hespérides, 1980, p : 39.

[102] - محمد حقي: نفسه، ص:20-21.

- الحامي أو الأصل المشرقي. وفي هذا، يقول عبد الله العروي:"سكنت المغرب جماعة تنتمي إلى الجنس المتوسطي الأول (أي الجنس الذي عمر حوض البحر الأبيض المتوسط).ثم امتزجت فيما بعد مع جماعتين متوسطتين أيضا، جاءتا من آسيا الغربية عن طريقين مختلفين.اتخذت الأولى طريقا ساحليا فاحتفظت على سمتها الأصلية. أما الثانية، فإنها توغلت في الجنوب معرجة على أفريقيا الشرقية، فامتزجت بالعنصر الزنجي.هذا ما يستخلص الآن من دراسة الآثار، أكانت أدوات أو هياكل عظمية.يجب هنا التنبيه على أن البقايا قليلة جدا، تغطي قسما ضئيلا من المنطقة لايصل إلى الشمال الغربي ولا في الصحراء، ثم إن العظام البشرية والأدوات الحجرية لاتوجد أبدا في مواضع واحدة. لايمكن،إذاً، أن نقول: إن النظرية وصلت إلى حد اليقين، مهما يكن من مطابقتها للواقع، نلاحظ أن القائلين بها لا يفصلون في مسألة الأصل الشرقي أو الغربي بالنسبة لمجموع السكان.إنهم يسجلون الاختلاف القائم، ويسقطونه على فترات قبل-التاريخ.."[103]

وعليه، إذا كان الباحثون الأنتروبولوجيون، بما فيهم الدارسون الكولونياليون ، يشرحون إنسان شمال أفريقيا لمعرفة امتداداته الزمنية، وأصوله المكانية بغية تثبيت جذوره الغربية أو البربرية ، فإن الدراسات اللسانية واضحة في هذا المجال، فهي تعتبر الأمازيغية لغة تنتمي إلى الفصيلة السامية الحامية.وبالتالي، فجذور الإنسان الأمازيغي - لسنيا- مشرقية محضة.

علاوة على هذا، يستخلص محمد حقي من " الدراسات الأنتروبولوجية أن أصل الإنسان البربري خليط من إنسان محلي تطور في المنطقة، وإنسان طارئ قدم من الشرق الأدنى.ومكنت الهجرة من اندماجهما واختلاطهما، فأنتجا الإنسان البربري.لقد أكدت الأبحاث الأنتروبولوجية أن الإنسان المغربي خليط من الإنسان المحلي والإنسان الأجنبي القادم من المشرق."[104]

---

[103] - عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب،** المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 1984م، ص:39.

[104] - محمد حقي: نفسه، ص:21.

وعلى الرغم من الدراسات الأنتروبولوجية الجادة في هذا الميدان الشائك، فإن البحث في جذور الإنسان الأمازيغي قد يكون لدواع سياسية وإثنية واستعمارية ، والهدف منها ترسيخ قوة المركزية الأوروبية، والغض من قيمة السلالات العرقية الهامشية الأخرى على مستوى العطاء الحضاري والثقافي. ومن هنا، فالبحث" في بدايات الإنسان وأصوله البيولوجية والتاريخية ليست مجرد ترف فكري، حيث إن معرفة أصولنا الإفريقية تعتبر بمثابة دعوة موجهة لكل الأيديولوجيات العنصرية في العالم، والتي تقيم منظومتها الفكرية والعقائدية على أساس الأفضلية، بأن تكف عن فكرة تفوق الأجناس والشعوب على بعضها. فسكان أستراليا الأصليون والهنود الحمر والأفارقة الذين استعبدهم الأمريكان لقرون عديدة جميعهم ينتمون للإنسان الحديث، ويرجعون للأصول نفسها، مثلهم مثل أشد الأوروبيين غطرسة وتكبرا .

ومعرفة أصول الإنسان البيولوجية - والتي هي في غاية الوضاعة - بمثابة دعوة للإنسان للتواضع، والانسجام مع الطبيعة والبيئة بكل موجوداتها. ومعرفة أن تاريخ الإنسانية برمته ليس سوى ومضة سريعة من تاريخ الأرض وتاريخ الكون، وأن هذا العمر القصير يعني أن ما زال أمام الإنسان عصورا طويلة قادمة ليسكن خلالها هذا الكوكب، وإذا ما استمر في عيشه عليه بهذا القدر نفسه من الحماقة والغرور، فسينتهي به المطاف منقرضا. تماما كما حصل للديناصور، ولكن هذه المرة بنيزك بشري مجنون. فهل نأخذ درسا من تاريخ الأرض، بأننا لسنا استثناءً في نظامها الصارم؟"[105]

وعلى العموم، تثير أنتروبولوجية إنسان إفريقيا الشمالية مشاكل عدة على مستوى الدراسة والبحث والتصنيف والتقويم نظرا لتداخل العلوم والمعارف في أثناء التنقيب في مختلف العصور التي رافقت هذا الإنسان من البداية حتى يومنا هذا، بكل مكوناته الوراثية والبيولوجية، وبصماته التقنية والثقافية. ناهيك عن تضارب أقوال الباحثين وتناقضها وتجددها من حين لآخر، بعد اكتشاف آثار جديدة، ثم الانسياق وراء أهواء إيديولوجية وعنصرية. وفي هذا، يقول أندري جوليان:" إن مؤرخ عصور ما قبل

---

[105] - عبد الغني سلامة: نفسه، والرابط نفسه.

التاريخ إذا رام دراسة إفريقيا الشمالية وجد نفسه أمام مشكلتين أساسيين، تتفرع عنها في آخر الأمر جميع المشاكل الأخرى. فعليه أولا أن ينسق ويوفق بين المعطيات المتنافرة التي يمده بها علم طبقات الأرض (جيولوجيا)، وعلم الحفريات القديمة (بلنتلوجيا)، وعلم وصف الإنسان (أنتروبولوجيا)، وعلم الآثار. وعليه أن يربط بين النتائج التي أتت هي إليها، وبين ما وصل إليه علم ما قبل التاريخ من معلومات بالنسبة لأوروبا وإفريقيا والشرق المتوسطي. وبعبارة أخرى، فإن عمله يقتضي ضبط تواريخ نسبية للمعالم التي خلفها الإنسان الأول، ومقارنتها بالتواريخ التي حدد ج.دي موريتيي أصولها سنة 1869م ،بواسطة تصنيف النماذج الصناعية، وقد عدلت منه طبعا الاكتشافات التي تمت بعد ذلك التاريخ تعديلات ملموسة.
والعناصر التي يستمدها علم ما قبل التاريخ من العلوم التي يضطر إلى تسخيرها لحاجاته لا تؤلف من سوء الحظ مجموعة متماسكة من حقائق قارة غير مقدوح فيها .
ومن شأن الاكتشافات الجديدة أن تنقض دائما النظريات السابقة لأوانها حتما، والتي ينتهي إليها الباحث بطبيعة بحثه. وعلى الرغم من ذلك، إن الاختصاصيين لا يتفقون عادة على نسق واحد، وإن كان وقتيا. ومعنى هذا أن مؤرخ عصور ما قبل التاريخ يقيم بناءه الضعيف على أرض لا استقرار لها - مثله كمثل منازل اليابان يهددها الزلزال دائما."[106]
وعلى أي حال، تخضع أنتروبولوجية الإنسان بصفة عامة، وأنتروبولوجية إنسان شمال أفريقيا بصفة خاصة، لمختلف الحيثيات السياسية والإيديولوجية والإثنية ، أكثر مما تخضع للمقاييس العلمية الموضوعية. والسبب في ذلك هو تداخل الذاتي مع الموضوعي في مجال العلوم الإنسانية. وبالتالي، يستحيل الفصل بينهما بشكل دقيق، مهما كانت الذات محايدة .

وخلاصة القول، يتضح لنا، مما سبق ذكره، أن أنتروبولوجية الإنسان في شمال أفريقية تتأرجح بين التيار العلمي الموضوعي من جهة، والتيار الذاتي من جهة أخرى؛ مما أثر سلبا في نتائج هذه الأبحاث على مستوى

[106] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:29.

التصنيف، وتحديد الجذور. بل هناك أيضا خلط بين المراحل الزمنية من العصر الحجري القديم إلى عصر الإنسان الحديث. ناهيك عن عدم التدقيق في تعداد المراحل الأنتروبولوجية التي مر بها إنسان تامازغا، والتقصير في استكشاف مواصفاته، وعدم ضبط السنوات بشكل علمي دقيق.ومن ثم، فهناك نسبية واحتمال وتضارب واختلاف في النظريات والتصورات والأحكام والاكتشافات.

وعلى الرغم من هذا، يمكن القول بأن منطقة شمال أفريقيا عرفت نماذج بشرية عدة منذ العصر الحجري القديم إلى العصر الحديث، مثل: الإنسان القردي الجنوبي، والإنسان المنتصب القامة، والإنسان العاقل العاقل أو إنسان جبل إيغود، والإنسان العاطري، والإنسان الوهراني، والإنسان القفصي...

بيد أن الباحثين اختلفوا في أصل هذا الإنسان، فتضاربت أقوالهم حول جذوره المكانية، فهل هو مشرقي أم غربي أم محلي أم أفريقي زنجي؟

فكانت الأجوبة مختلفة ومتناقضة فيما بينها بسب تداخل الذاتي والموضوعي، والانسياق وراء دوافع سياسية وإيديولوجية وعنصرية لفصل الإنسان الأمازيغي عن الإنسان العربي، و ربطه بالغرب وحضارة البحر الأبيض المتوسط من جهة، أو الحط من قيمته من خلال نظرة استعلائية تمجد حضارة الغرب، وتسفه بحضارتي البربر والعرب معا من جهة أخرى.

وعلى أي، فإنسان شمال أفريقيا سلالة مختلطة ومركبة، فيها عروق أفريقية، وعروق سامية مشرقية، وعروق أوروبية، وعروق بربرية. وهذا ما يثبته مصطفى أعشي بقوله:" إن الحديث عن جذور الإنسان الأمازيغي أو الإنسان المغربي وأصوله، لا يعني أن هناك بالفعل عرقا أو إثنية أو سلالة خاصة بالأمازيغ في المغرب القديم؛ لأن العرق أو السلالة أو الجنس الصافي ، من الناحية العلمية، غير موجود إطلاقا لا في هذه المنطقة ولا في غيرها من بقاع العالم.وما يمكن التأكيد عليه، بهذا الصدد، هو أن الذي يوحد الإنسان، ويكيفه في بوتقة معينة هو الثقافة واللغة، وأن عدم وجود أجناس بشرية أدى إلى وجود مجتمعات بشرية.

ولا تستطيع أي جماعة أو أي شعب أن يزعم أنه من سلالة واحدة؛ لأن الحقيقة أن أي شعب من الشعوب مكون من تظافر عدة مجموعات بشرية امتزجت وتداخلت صفات بعضها في البعض الآخر."[107]

وهكذا، يبدو لنا أن إنسان شمال أفريقيا وحدة عضوية وسلالية مهجنة بمجموعة من الأعراق المتعددة الشرايين. وبالتالي، لايضر هذا الإنسان إن كان ملقحا بدماء مختلفة ومتنوعة المشارب. وهذا دليل على انفتاح هذا الإنسان، وآية على سموه الثقافي والحضاري والأنتروبولوجي.

الفصل الخامس:

[107] ـ مصطفى أعشي : نفسه، ص:7-8.

التعــدد اللغــوي عند الإنسان الأمـــــازيغي

عرف الأمازيغيون، منذ تواجدهم على أرض شمال أفريقيا، مجموعة من اللغات التي تمثلوها في التخاطب اليومي ، والتداول الحي، والتواصل المجتمعي؛ بفعل الاحتكاك الثقافي مع الشعوب المجاورة، مثل: اليونان، والمصريين، والفينيقيين، والمسلمين العرب؛ أو بسبب التأثر بلغة المستعمر المفروضة بالقوة والعنوة والجبروت، كما هو شأن الرومان الذين جعلوا اللغة اللاتينية لغة إدارة وسلطة واقتصاد، ووسيلة ضرورية من أجل الترقي في مناصب الدولة.

كما فرض المستعمر المعاصر لغته الأجنبية على دول شمال أفريقيا، منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، باسم الحضارة والتقدم والازدهار والتطوير والتنوير. وقد سعى جادا إلى القضاء على اللغة العربية من جهة، والحد من انتشار اللغة الأمازيغية من جهة أخرى. وهذا ما قامت به فرنسا في الجزائر - مثلا-، حينما استهدفت القضاء على الهوية الأمازيغية المحلية، وطمس معالم الحضارة العربية الإسلامية، بنشر اللغة الفرنسية بين أوساط المجتمع، وتعميمها على مرافق الإدارة ودواليب السلطة والدولة. وينطبق هذا الوضع نفسه على المغرب وتونس معا.

وعلى أي، فقد عرفت منطقة تامازغا تعددية لغوية مختلفة ومتنوعة؛ بسبب الاحتكاك بمجموعة من الأقوام والشعوب والقوميات والعرقيات. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى انفتاح الإنسان الأمازيغي على الآخر الأجنبي من جهة، وتواجده في موقع إستراتيجي غني بالثروات والخيرات والممتلكات من جهة أخرى، جعله - دائما- عرضة لمجموعة من الغارات العدوانية التي كان غرضها هو نهب خيرات الإنسان الأمازيغي، والاستيلاء على كنوزه التي جاد الله بها عليه.

المبحث الأول: اللغـــة الأمازيغيـــة

يعرف البربر باللغة الأمازيغية التي كان يستعملها أهل تامازغا، أو سكان شمال أفريقيا، وهي لغة التواصل الشفوي الحي. وهي أيضا أداة للتعبير الكتابي. وتستعين بمجموعة من الحروف الأبجدية التي تسمى بتيفيناغ ، وقد وجدت مثبتة على جدران الكهوف والمغارات والجبال، ولاسيما في منطقة الطوارق.
وكان أهل البوادي يتحدثون بالأمازيغية أكثر من أهل المدن ، بعد أن احتلت منطقة تامازغا من قبل المحتل الروماني الذي فرض اللغة اللاتينية لغة رسمية على الساكنة، ولاسيما المثقفة منها. وقد استمر أهل تامازغا في التواصل بلغتهم الأمازيغية المحلية إلى يومنا هذا. على الرغم من استمرار مسلسل التعريب الذي كان يهدف إلى إقصاء الأمازيغية بشكل تدريجي وممنهج، وإبعادها عن الساحة الفكرية والثقافية واللسنية والإعلامية باسم الدين والإيديولوجيا السياسية.
ومن المعلوم أن اللغة البربرية تنقسم " إلى لغة قديمة وهي اللوبية، ولا توجد بها إلا المنقوشات الصخرية؛ وإلى البربرية الوسطى، وهي من القرن الثالث الهجري إلى السابع ، ويوجد بها كتاب(**المدونة في الفقه الأباضي)** لابن غانم ، **ويوجد بها قاموس بربري عربي بجزيرة جربة؛** والبربرية الحديثة، وهو نحو الثلاثين لهجة بين شمالية وجنوبية، يوجد

منها بمصر لهجة واحة، هي سيوة المعروفة بواحة عمون ، وهذه اللهجات منتشرة بليبيا وتونس والجزائر والمغرب والسودان وجزر الكناري."[108]
ومن جهة أخرى، يمكن الحديث ـ كذلك- عن فروع لغوية أمازيغية ثلاثة :
❶ **الزناتية (تاريفيت):** ويتكلم بها سكان منطقة الريف المغربية، وسكان بعض المناطق الأطلسية، والبرابرة الليبيون، والتونسيون، والجزائريون ماعدا منطقة القبائل؛
❷ **المصمودية (تشلحيت)**: يتكلم بها سكان الأطلس الغربي الكبير ومنطقة سوس؛
❸ **الصنهاجية (تامازيغت):** يتكلم بها سكان منطقة القبائل، وسكان الأطلس المتوسط، وشرقي الأطلس الكبير، وشرقي الأطلس المتوسط، وناحية ملوية، وطوارق الصحراء[109].
وقد كانت اللغة الأمازيغية أكثر انتشارا في شمال أفريقيا، وقد تكلم بها الليبيون، والجيتوليون، والنوميديون ، والموريون، والبربر ، والأمازيغ... وتعد أبجديتها الخطية، إلى جانب الأبجدية الإثيوبية، أقدم كتابة في تاريخ الإنسانية. وتنتمي الأمازيغية إلى الفصيلة السامية-الحامية، وقد استخدمها السكان في خطبهم المختلفة، ومحادثاتهم اليومية، وقداسهم الديني، وكتابتهم على النقوش والجدران. وعندما فتح العرب المسلمون شمال أفريقية ، وجدوا البربر محافظين على لغتهم. والشاهد على ذلك مجموعة من النقوش والصفائح التي رسمت عليها حروف تيفيناغ. وأصبحت الأمازيغية ـ اليوم- لغة التواصل اليومي في المغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا، وجنوب مصر، وجزء من أفريقيا السوداء (مالي، والطوارق، والنيجر، وبوركينافاسو...).
هذا، ولقد" نطق بهذه اللغة البربر اللوبيون المعاصرون منذ(35) قرنا.وتحدث بها أهل برقة القدماء الذين عرفهم اليونان بقريني. وهي لغة الجيتوليين والنوميديين والموريتانيين الذين امتزجوا بالقرطاجنيين من القرن التاسع إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وقد اصطدم بهم الرومان أكثر من اصطدامهم بالقرطاجنيين أنفسهم. وفرض هؤلاء الرومان لغتهم

108 ـ عثمان الكعاك: __البربر،__ مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2003م، ص:100-101.
109 ـ عباس الجراري : نفسه، ص:16.

اللاتينية على البربر بواسطة المدرسة والإدارة والكنيسة، ودام سلطان الرومان ثمانية قرون، فلما اضمحل كانت البربرية قائمة، وعرف الرومان هذه اللغة البربرية، وميزوا بينها وبين البونيقية، بل عرفوا أنها تنقسم منذ ذلك العهد إلى عدة لهجات، وحدثونا عما كانوا يلاقونه من مصاعب شائكة في تعلمها ونفورهم من تعاطي دراستها.فقال الكاتب الروماني فلينوس القديم متحدثا عن البربر:" يتعذر على حناجر غير حناجر البربر أن تستطيع النطق بأسماء قبائلهم ومدنهم."
ولما فتح العرب المغرب سنة27هـ، وجدوا هذه اللغة البربرية منتشرة في الصحارى والجبال والجزر، وفي المدن والقرى تزاحمها في الساحل الشرقي اللغة البونيقية. أي: اللغة الفينيقية المتأثرة باللهجات والنطوق البربرية."[110]

وقد استعملت اللغة البربرية، بعد الفتوحات الإسلامية، بين الأوساط الثقافية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية. وفي هذا، يقول عثمان الكعاك:" وبقيت هذه اللغة بعد الإسلام، وبعد إسلام البربر الذي حسن منذ القرن الأول، وعدلت في الغالب عن الخط اللوبي القديم، وكتبت بالحرف العربي، كتبت به تصانيفها الدينية الإسلامية، وشعرها وحكاياتها ونوادرها.ودرس المسلمون هذه اللغة العجيبة، وصنفوا كتبا في المقارنة بينها وبين العربية والعبرانية.وألفوا معاجم لها وللعربية معا، واعتنى أصحاب المعاجم النباتية من الغافقي إلى ابن الجزار إلى ابن البيطار بإيراد التسميات البربرية للنباتات التي يصفونها.وبقيت هذه اللغة لغة البلاط في الأسر المالكة البربرية من صنهاجيين وحفصيين وحماديين وزناتيين ومرابطين وموحدين، بل كان غيرهم من ملوك المغرب يعرفها، فالمعز لدين الله الفاطمي كان يتكلم بها مع زعماء صنهاجة وكتامة، واستعملها عبد الله الشيعي في دعوته للفاطميين بجبال القبائل وزواوة. كما استعملها المهدي بن تومرت في دعوته بين العروش والعشائر البربرية. وبنى بعض الملوك الحفصيين جامعا، ولم يكتب عليه اسمه، فقيل له في ذلك، فأجاب بالبربرية" يسنت ربي". أي: قد علم الله ذلك.

[110110] ـ عثمان الكعاك: نفسه، ص:92-93.

ودخلت مفردات بالبربرية في اللهجات العربية بالمغرب والأندلس وصقلية منها " الكرومة" و" الفكرون" وغيرها.[111]"
وإبان الاحتلال الأجنبي على شمال أفريقيا، دافع الفرنسيون عن الأمازيغية وشجعوها، وبنوا لها مدارس وثانويات ومعاهد وجامعات، ولاسيما بعد صدور الظهير البربري سنة 1930م. بيد أنهم اختاروا الحرف اللاتيني وسيلة للكتابة والبحث والتنقيب، ومنعوا الحرف العربي، وكان غرضهم الأساس من ذلك هو فصل البرابرة عن إخوانهم العرب.
هذا، وقد تضاءلت قيمة اللغة الأمازيغية مع مرور الوقت، وتراجعت مكانتها بين السكان الأمازيغ أنفسهم؛ بسبب مسلسل التعريب الذي نهجته الدولة المغاربية بعد الاستقلال مباشرة؛ إذ عمدت لجنة التعليم في المغرب - مثلا- إلى سن سياسة المبادئ الأربعة ، وهي: التعميم، والمغربة، والتوحيد، والتعريب. ومن ثم، أصبح التعليم المغربي، من تلك الفترة، خاضعا لهيمنة اللغة العربية، وهيمنة اللغات الأجنبية. لذا، أضحت اللغة الأمازيغية منبوذة سياسيا، واجتماعيا، ودينيا، وثقافيا. ومنع تداولها في مرافق الدولة. كما منع الدفاع عنها ثقافيا أو حضاريا، وخاصة في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي.
علاوة على ذلك، فقد تخلت بعض القبائل الأمازيغية عن عاداتها وتقاليدها وأعرافها وحضارتها وثقافتها التي كانت ترتبط باللغة الأمازيغية، فاندمجت في قبائل عربية، فانصهرت فيها جزئيا أو كليا. أضف إلى ذلك ما يقوم به الإعلام الإذاعي والمرئي من دور كبير في نشر اللغة العربية، وترويج باقي العاميات المتفرعة عن هذه اللغة، دون الاهتمام باللغة الأمازيغية قيد أنملة. ناهيك عن التهميش المقصود الذي مورس ضد الأمازيغية سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا، وتاريخيا، وحضاريا، ونفسيا؛ مما أثر في مستواها التداولي والتواصلي وقيمتها المعرفية. علاوة على ذلك، فقد بقيت اللغة الأمازيغية حكرا على الأجداد، دون الأبناء والأحفاد الذين تخلوا عن هذه اللغة بالتدريج لصالح اللغة العربية، أو لصالح اللغات الأجنبية المنافسة الأخرى؛ بسبب هجرة الساكنة الأمازيغية نحو الضفة الأخرى. بالإضافة إلى طابعها الشفوي الذي كان

---

[111] - عثمان الكعاك: نفسه، ص:93-94.

عاملا من عوامل ضياع إرث حضاري أمازيغي كبير في مختلف العلوم والمعارف والفنون.
ولايعني هذا أن مسلسل التعريب حديث العهد ، فقد مورس منذ القديم، مع تأسيس أولى دولة مغربية هي الدولة الأدارسة، فتطور مسلسل التعريب مع باقي الدول المغاربية إلى يومنا هذا، فقد كانت سلطة الدولة تقوم على النسب الشريف، والدفاع عن الدين الإسلامي، وحماية اللغة العربية، وتثبيت وحدة الأمة.
وعلى الرغم من التضييق الذي عانت منه اللغة الأمازيغية، فإنها لغة تواصلية حية بامتياز.وفي هذا الإطار، يقول محمد شفيق:" والواقع أن اللغة الأمازيغية لاتزال حية، محافظة على كيانها الذاتي الذي لايتجلى بوضوح تام وبكل عناصره إلا لمن كلف نفسه قليلا من الاهتمام باللهجات وما بينها من التداخل والتكامل، منحها وجهة التماس العوامل الموحدة، لاوجهة التماس العوامل المفرقة بينها، كما كان يفعل عدد من الباحثين الفرنسيين.واللغة الأمازيغية، في وضعها الحالي.أي: بصفتها لغة حية يتخاطب بها الناس، في تلقائية وعفوية، قابلة للانتعاش والنمو والازدهار، ولاسيما أن لها نظاما اشتقاقيا مرنا جدا، يتفاعل فيه الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر مع النحت والتركيب المزجي تفاعلا يضاعف إمكانات الخلق المعجمي اليسير المنال.وبدراسة هذا النظام في تفاصيله، سيتمكن الخبراء من فك ألغاز النقوش القديمة التي استغلق أمرها عليهم حتى الآن، ومن تسليط بعض الأضواء على خفايا تاريخ أفريقية الشمالية."[112]
والآن، لقد انتعشت اللغة الأمازيغية نسبيا ، واستفادت كثيرا من الدعم الرسمي والسياسي والجماهيري والمؤسساتي. إذ شكل خطاب 20غشت1994م منعطفا سياسيا نوعيا في تعامل السلطة مع اللغة الأمازيغية. فقد اعترف العاهل المغربي الحسن الثاني بضرورة تدريس اللغة الأمازيغية في المدرسة المغربية إلى جانب اللغات الأجنبية الأخرى. لكن ذلك الطموح لم يتحقق فعليا إلا بعد خطاب أجدير في 30 يوليوز سنة 2001م، وتأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في 17أكتوبر2001م، وميلاد الكونغرس العالمي الأمازيغي سنة 1995م، وانطلاق تعليم

[112] - محمد شفيق: **البربر**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2003م، ص:60.

الأمازيغية في الموسم الدراسي 2003-2004م، و تأسيس القناة الأمازيغية الثامنة سنة 2008م، ودسترة اللغة الأمازيغية بشكل رسمي في الدستور الجديد للمغرب، إلى جانب اللغة العربية، مع خطاب 09مارس2011م . علاوة على تأسيس مسالك وشعب ووحدات دراسية جامعية في مادة الأمازيغية في كل من: أكادير، والرباط، ووجدة، وتطوان، وفاس،ومكناس، والناظور...إضافة إلى توفير عدد من المناصب المالية لتأهيل أطر الابتدائي في اللغة الأمازيغية، في المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين بكل من: أكادير، ومكناس، والناظور.

المبحث الثاني: اللغـــة المصريـــة القديمـــة

كان الأمازيغيون- قديما- يتحدثون لغة قريبة من اللهجة المصرية القديمة، أو لغة الأسر الفرعونية، ولاسيما أن الليبيين كانوا قريبين من دلتا النيل. بل كانوا يغيرون على المصريين، ويغنمون من فينة إلى أخرى، وقد دارت بينهم معارك كثيرة حامية الوطيس، كان ينتصر فيها الليبيون تارة، والمصريون تارة أخرى. وأكثر من هذا، فقد وصل شيشنيق الليبي إلى سدة الحكم ، فحكم الدولة المصرية الفرعونية الثانية والعشرين. وماكان هذا الملك ليتحقق له إلا بتمكنه من اللغة المصرية القديمة. وفي هذا السياق، يقول عباس الجراري:" وقد كانت هذه الشعوب تتحدث بلهجات مختلفة تقترب جميعها من اللهجة المصرية القديمة، تنحدر مثلها من أصل واحد هو اللغات الكوشية أو الحامية، وتمت بنسب للغات السامية.كلما كانت هذه الشعوب تعرف الكتابة ، وتتخذ لها حروف الهجاء الليبية التي لاتزال- هي نفسها أو شبيهة بها- معروفة في الجنوب عند الطوارق وتدعى : التيفيناغ."[113]

وربما تكون الأمازيغية متفرعة عن اللغة المصرية القديمة، أو اللغة القبطية، لوجود كثير من مظاهر التشابه على مستوى الكتابة والدوال اللغوية ، خاصة أن اللغتين معا(المصرية والبربرية) تنتميان معا إلى الفصيلة الحامية .والحاميون هم المصريون والبربر وسكان أفريقيا

---

[113] - عباس الجراري عباس الجراري: **الأدب المغربي من خلال ظواهره و قضاياه**، الجزء الأول ، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الثانية،1982م، ص:16.

الشرقية. وفي هذا السياق، يقول عثمان الكعاك في كتابه (البربر):" لعل المصريين أقدم من روى لنا أخبار البربر، والأمر مفهوم، فإن من النظريات الرائجة توجد النظرية الحامية التي تقول: إن البربر من الحاميين، وهؤلاء الحاميون هم المصريون الفرعونيون والحبشة والصومال والسودانيون، فالبربر والمصريون أبناء أعمام، فلا غرابة أن يكون المصريون قد اعتنوا بدرس أحوال البربر ، ولو بمنتهى الإيجاز.
ونحن نجد في النقوش المرسومة على معالم المصريين من مصاطب وأهرام ومسلات، وفي الوثائق المصرية المكتوبة على البردي، نجد فيها جميعا معلومات عن القبائل البربرية المعاصرة للفراعنة ، ولاسيما من كانت منها متاخمة لمصر وبلاد برقة على الخصوص، وهذه الوثائق المنقوشة أو المكتوبة تسمى ناحومو أو ربو ومنها لوبو الذي هو الاسم القديم المطلق على البربر، ومن كلمة لوبو جاءت لوبيا التي حرفت إلى ليبيا، تسميهم أيضا " لشبط" ، ومنها جاء اسم القبلية البربرية (اشبوستاي) عند اليونانيين، وسمتهم أيضا (بقن) و(مشوش) إلى غير ذلك، ولم تقف هذه الوثائق عند حد ذكر أسماء القبائل، بل تعدت ذلك إلى دراسة الخصائص البشرية والعادات والأخلاق، وما يتعلق بحضارة البربر بوجه عام..."[114]
وهكذا، يتبين لنا أن البرابرة قد استعملوا اللغة المصرية في تواصلهم الحي، ولاسيما سكان ليبيا الذين كانوا مجاورين للمصريين.

المبحث الثالث: اللغـة الفينيقيـة أو البـونيقيـة

استقر الفينيقيون في شمال أفريقيا، وبالضبط في مدينة قرطاج، منذ منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، واستمروا فيها زهاء ألف عام، وأسسوا حضارة مزدهرة تسمى بالحضارة القرطاجنية، وكان اقتصادهم مبنيا على المال، والفلاحة[115] ، والصناعة، والتجارة، والملاحة [116]، وبناء الموانئ على ضفاف البحر الأبيض المتوسط.بيد أن مكانة قرطاجنة

---

[114] ـعثمان الكعاك: نفسه، ص:10.

[115] ـ ألف ماغون كتاب الفلاحة.

[116] ـ تدل رحلة حانون على اهتمامهم الكبير بالملاحة البحرية.

السياسية والعسكرية قد تضاءلت بشكل تدريجي؛ بفعل الحروب البونيقية الطويلة التي خاضتها ضد الرومان من ناحية، وضد الأمازيغ من ناحية أخرى. فترتب عن ذلك أن استنزفت هذه المعارك الشرسة خزينة الدولة، وأضعفت قواها الإنتاجية والاقتصادية، وأثر ذلك سلبا في اقتدارها العسكري.

بيد أن الأمازيغ قد استفادوا كثيرا من الحضارة القرطاجنية؛ إذ تمثلوا لغتها وثقافتها المتنورة في تلك الفترة بالذات. وفي هذا النطاق، يقول عباس الجراري:" وليس من شك في أنه كان لمثل هذه النهضة أكبر الأثر على نشر اللغة والتقاليد وكثير من مظاهر الثقافة والحضارة الفينيقية في البلاد البربرية، وهي مظاهر شرقية، ومصرية ، وإغريقية في الغالب."[117]

هذا، وقد كانت الفينيقية لغة سائدة في شمال أفريقيا بين سكان البربر، "وربما ساعد على انتشار مثل هذه المظاهر الحضارية والثقافية في بلاد البربر أن الفينيقيين كانوا مستوطنين، ولم يكونوا مستعمرين، يضاف إلى ذلك ما يوجد بينهم كعرب كنعانيين وبين البربر كعرب حميريين من تقارب وتشابه، خاصة في نطاق اللغة.ولقد بلغ من انتشارها أن القديس البربري أوغستان ذكر أنها في أيامه-أي في القرن الرابع للميلاد- كانت منتشرة في البوادي المغربية، كما أكد المؤرخ البيزنطي بروكوب (Procope) أنها كانت متداولة في القرن السادس.ولاشك أن مثل هذه الظاهرة تسجل في عهود قريبة من الفتح الإسلامي ، تضاف إلى التشابه الموجود بين العربية والفينيقية لتؤكد مدى السهولة التي وجد البربر في تعلمهم للغة القرآن."[118]

وقد حاول الرومان القضاء على اللغة الفينيقية، بالقضاء على حضارتهم، وتدمير قرطاجنة عاصمة الفينيقيين.لكن الأمازيغ حافظوا على تلك اللغة التي أضحت لغة تواصلية يومية.ومن ثم، " يؤكد التاريخ أن الرومان حاولوا القضاء على اللغة والتقاليد الفينيقية، لدرجة أنهم دمروا مدينة قرطاجنة ومكتبتها العظيمة، وحاولوا من أجل محو الثقافة الفينيقية أن

---

[117] - عباس الجراري : نفسه، ص:23.

[118] - عباس الجراري : نفسه، ص:24-25.

ينشئوا مدارس لتعليم اللغة اللاتينية، ولكن البربر ظلوا محتفظين باللغة الفينيقية، وبلغاتهم المحلية القديمة.."[119]

علاوة على ذلك، فقد كانت اللغة الفينيقية هي لغة الثقافة والفن وتأليف الكتب بين أوساط البربر. وفي هذا النطاق، يقول عثمان الكعاك:"وانتشرت الحضارة البونيقية، وعمت الثقافة البونيقية البربر حتى إنهم لما أسسوا ممالك مستقلة كانت إحدى اللغتين الرسميتين هي اللغة البونيقية وبها ألف البربر تصانيفهم، ولم يكن بربري مثقف لايعرف اللغة البونيقية حتى إن الرومان لما انتصروا على البونيقيين، وأخذوا قرطاجنة، انتزعوا ما يوجد في المكتبات من الكتب البونيقية، ووزعوها على البربر."[120]

وإذا كانت الطبقات الشعبية الأمازيغية قد تشبثت باللغة الفينيقية، وتمسكت بدياناتها وعاداتها وتقاليدها، فإن الطبقة الأرستقراطية قد انساقت وراء الحضارة الرومانية واللغة اللاتينية رغبة في خدمة مصالحها الخاصة والعامة.وفي هذا، يقول عباس الجراري:" على أن هذا لا ينفي أن الرومان أثروا على طبقة معينة من البربر ذات مصالح، هي الطبقة الأرستقراطية التي كانت تختلف إلى مدارسهم، وتتسمى بأسمائهم، وتتكلم اللغة اللاتينية، وتعبد الآلهة الرومانية، مثل: مارس، وهرمس، وسيريس، وباخوس، واسكولاب، وايزيس، وأوزريريس، ومترا.أما الطبقات الشعبية، فقد ظلت تقدس الآلهة الفينيقية، وإن أخفتها تحت ستار أسماء جديدة. فبعل حمون كان يعبد تحت اسم كيلتيس، فضلا عن أن تلك الطبقات حافظت على آلهتها البربرية المحلية، كما كورتا، ويونا، وماكورفوس، وماتيلا، وفيهينا، وبونشور، وفارسيسيما."[121]

وهكذا، يتبين لنا أن الأمازيغ قد استخدموا اللغة البونيقية في تخاطبهم اليومي ، وفي تأليف كتبهم الإبداعية والأكاديمية، واستعملها الملوك الأمازيغ - كذلك- في مراسلاتهم السياسية، كما هو حال صيفاقس.

المبحث الرابع: اللغـــة اليونانيـــة

[119] - عباس الجراري : نفسه، ص:25-26.
[120] - عثمان الكعاك: نفسه، ص:12.
[121] - عباس الجراري : نفسه، ص:26.

لم تكن اللغة اليونانية منتشرة في شمال أفريقيا بشكل كبير، كما انتشرت اللغة الفينيقية واللاتينية والعربية، بل اقتصرت تلك اللغة على مجموعة من المثقفين الكبار، أمثال: القديس أوغستان، وأبوليوس ، ويوبا الثاني...ويعني هذا أن اللغة اليونانية هي لغة الطبقة المثقفة العالية. فأبوليوس - مثلا- يشير ، في روايته (**الحمار الذهبي**)، إلى اعتماده على مجموعة من النصوص والمستنسخات السردية اليونانية. وقد تأثر ترينيوس آفر كثيرا بالمسرح اليوناني ، سواء أكان تراجيديا أم كوميديا.

هذا، وقد كان يوبا الثاني يتقن لغات عدة ، مثل: اللغة اليونانية، واللغة اللاتينية ، واللغة البونيقية، ولغته الأمازيغية المحلية التي كان يتواصل بها مع فئات شعبه. بيد أن اللغة اليونانية كانت هي المفضلة لديه؛ بسبب ثقافته الموسوعية التي كانت تفرض عليه ممارسة هذه اللغة. علاوة أنها اللغة الرسمية التي فرضتها زوجته كليوباترا سليني. وفي هذا، يقول جيروم كركوبينو:" وإذا كان الملك لم يقرر اتخاذ اللغة الإغريقية رسميا، كما فعلت الملكة كليوباترا سليني ، فإنها كانت بالتأكيد هي لغته المفضلة .لقد تعلمها بروما، إذ حسب العادة آنذاك فإنه نال تربية هيلينية ورومانية، وفي بلاطه كان الحديث في الأكثر يجري بالإغريقية."[122]

ويعني هذا أن يوبا الثاني كان يثقف نفسه باليونانية، ويتحدث بها في مجالس العلم والفن والأدب، ويكتب بها جل مؤلفاته . وعليه، فقد كان يوبا الثاني - حسب شارل أندري حوليان- في كتابه(**تاريخ شمال أفريقيا**)**:"** يحسن اليونانية واللاتينية والبونيقية، وكان في تآليفه آخذا من كل شيء بطرف ، فلم يبق علم واحد غريبا عنه، وكان في إمكانه أن يكتب في كل موضوع بفضل مكتبته الثرية ونساخه الذين لا يعرفون التعب .غير أن تآليفه لم تبق بعده ، ولعله من المؤسف أن يكون كتاب ليبيكا قد ضاع، إذ ربما وجدنا في كتاباته عرضا لبعض المعلومات عن التقاليد المحلية."[123]

---

[122] - جيروم كركوبينو: جيروم كركوبينو: **المغرب العتيق**، ترجمة: محمد التازي سعود، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2008م، ص:257.

[123] - شارل أندري جوليان: شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب: محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر 1969م، ص:173.

أضف إلى ذلك فقد جمع يوبا الثاني حوله مجموعة من المثقفين اليونانيين، وكثيرا من الأطر الكبار. وفي هذا الصدد، يقول أكصيل:" بعد قرطاجة، فشرشال هي الموقع الذي أعطى أكثر النقوش الإغريقية بشمال أفريقيا، وأكثرها راجع للعهد الروماني، وغيرها لايمكن التأريخ له. ولكن اثنتين منها على الأقل قد وقع نقشهما قبل استيلاء الإمبراطورية..فقد كان يوبا يفضل إحاطة نفسه برجال من أصل هليني: كالطبيب أوفرب والممثل ليونتيوس..وسكرتارين يساعدونه في تهيئة كتاباته، ومهندسين ومثالين وفنانين آخرين، وقع استدعاؤهم للعمل في العمارات التي كان يزين بها عاصمته..."[124]

وبناء على ماسبق، فقد كان يوبا الثاني رمزا للثقافة اليونانية في منطقة تامازغا. وفي هذا الصدد، يقول محمد بوكبوط:" لعله من المفيد الإشارة إلى شخصية هذا الملك المتميزة، فعلاوة على أصله النوميدي الأمازيغي، وتربيته الرومانية، فهو بونيقي بما ورثه مع قومه من حضارة قرطاج، وإغريقي بثقافته وذوقه الفني، ومصري بزواجه من ابنة كليوباترة ملكة مصر، كل هذه الجوانب روعيت بدون شك من طرف الإمبراطور عند اختيار يوبا لاعتلاء عرش موريطانيا.".[125]

ولايعني هذا أن اليونانية مقتصرة فقط على الملوك والمثقفين الأمازيغ الكبار، فقد انتشرت في معظم مدن المغرب الكبير، وخاصة في مدينة قرطاج.ومن هنا، فقد" تجاوزت الثقافة الهيلينية العاصمة قرطاج لتعم مدنا أفريقية (ليبية) كثيرة، خصوصا منها عواصم المملك الأمازيغية التي احتضن بعضها فلاسفة من أصل قرطاجني. فقد أشار بعض المؤرخين إلى أسماء فلاسفة فيثاغوريين ، وأفلاطونيين ورواقيين من أمثال: كزينوقراط، وهيريلوس، والأكاديمي صدر بعل.

ولم تخل النقوش البونيقية من أسماء أطباء يونان.

كان للثقافة الهيلينية - إذاً- نفوذها القوي في حواضر الممالك الأمازيغية : فسيفاقص ملك نوميديا الغربية، ومع أنه تأثر إلى حد ما بتقاليد اليونان السياسية...كانت لغة الحياة اليومية والتخاطب في مملكته هي

---

[124] - جيروم كركوبينو: نفسه، ص:257.

[125] - محمد بوكبوط: **الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات**، مركزطارق بن زياد، الرباط، المغرب، الطبعة الاولى سنة 2002م، ص:45.

الأمازيغية.وكانت لغة المكتوبات الرسمية هي الفينيقية، وكانت لغة الثقافة هي اليونانية."[126]
وعليه، فقد تعلم الأمازيغ اللغة اليونانية تعلما جيدا، واستعملوها لغة للمثاقفة وتبادل المعارف والعلوم والآداب والفنون.

المبحث الخامس: اللغـــة اللاتينيـــة

من الطبيعي أن يفرض المحتل الروماني لغته اللاتينية على الشعوب المغلوبة التي استعمرها، كما فعل مع الشعب الأمازيغي بالذات، حينما سيطر على معظم ربوع شمال أفريقيا، ففرض عليه حضارته وثقافته ولغته الرسمية. أضف إلى ذلك أن اللغة اللاتينية كانت لغة الإدارة والترقي في المناصب العليا، والحصول على الوظيفة لدى الحكومة الرومانية.كما أنها لغة العلم والثقافة والدين المسيحي في مختلف مدن تامازغا وبواديها، وهي اللغة الوحيدة التي تؤهل الطالب الأمازيغي إلى متابعة دراساته العليا في روما. وفي هذا، يقول عباس الجراري:" وعلى الرغم من استعداد المغاربة لتقبل فكرة الوحدانية، فإنهم لم يميلوا كثيرا للمسيحية التي لم تنتشر إلا عند النخبة المتعلمة في المدارس الرومانية، حيث كان التعليم يهدف إلى تكوين الأطر لتسيير الإدارة المحلية باللغة اللاتينية.وكانت مناهجه تقتضي تدرج التلميذ من تعلم القراءة والكتابة والحساب إلى النحو والآداب والموسيقا والعروض والفلسفة والفلك والرياضيات.وينتقل بعد ذلك إلى مدارس أعلى كانت تؤسس في أهم المدن، وفيها يتعلم الشعر والخطابة وما يتطلبان من بلاغة وجدل وارتجال، وقد ينتقل بعد ذلك إلى رومة أو غيرها من مدن الدولة المركزية لتنمية معارفه أو تولي بعض المناصب."[127]
وثمة مجموعة من المثقفين الأمازيغ المتميزين الذين تعلموا اللاتينية، وجعلوها لغة للتعبير والكتابة والتداول والخطابة والتأليف، منهم: القديس

[126] ـ ميلود التوري: **الأمازيغية والفينيقية ـ وبينهما العبرية واليونانية**ـ، مطبعة رباط نيت، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2009م، ص:105.
[127] ـ عباس الجراري: نفسه، ص:26.

أوغستان، وتيرنيوس آفر، وأبوليوس، ويوبا الثاني، ودوناتوس، وبرمانيوس، وتيكونيوس، وترتوليانوس، ومينوسيوس فيليكس، وقبريانوس، ولكتانسيوس، وباتيليانوس، وقودانسيوس، وكرنتوس، وفروس، وفرونتيوس...

وفي هذا الإطار، يقول عثمان الكعاك:" استولى الرومان على عامة الديار المغربية من سنة146ق.م إلى سنة 698ق.م ، وترومنت البلاد في مؤسساتها وأجهزتها الحكومية والاجتماعية والاقتصادية ومظاهرها اللغوية والثقافية ، وأقبل البربر على تعلم اللغة الرومانية محادثة وكتابة، والتبحر في الخطابة والبلاغة والآداب اللاتينية؛ بفضل ما وجد في البلاد المغربية من مدارس ابتدائية وثانوية.وعلى الخصوص بفضل جامعة قرطاجنة الكبرى والإرساليات الطلابية التي كانت تذهب إلى معاهد رومة للكرع من مناهلها العلمية.وتخرج من البربر الكاتبين باللاتينية مئات من الشعراء والخطباء والأدباء والعلماء والأطباء والمحامين.

فلاشك أنه تخرج منهم أيضا مؤرخون وطنيون محليون كانوا أعرف من الرومان بتاريخ البلاد وأخبار العباد."[128]

ويعتبر يوبا الثاني من أكثر المثقفين الأمازيغ اهتماما باللغات والفيلولوجيا التاريخية والاشتقاقية، فكان يبحث في مصادر اللغة اللاتينية، ويرجع كلماتها إلى أصولها اليونانية اعتمادا على الاشتقاق. وقد تحامل عليه المؤرخ الفرنسي ستيفان أگصيل كثيرا في كتابه(**تاريخ شمال أفريقيا القديم)** بقوله:" وله غرام شديد بالدراسات اللغوية (فقه اللغة/ الفيلولوجيا)، وكان مقتنعا أن اللاتينية كانت من قبل هي الإغريقية، ولكن اعتراها شيئا فشيئا التحريف بسبب اختلاطها باللغة الإيطالية، فكان هو يجتهد في الكشف عن الأصول الإغريقية للعديد من الألفاظ اللاتينية، الأمر الذي دفع به ليقول حماقات ربما كانت أكثر مما قالها غيره ممن يتمسكون بهذا الرأي الواهي. وكان يحب جمع الألفاظ الآتية أو التي قيل إنها أتت من اللغات الأجنبية، مثل لهجات الهند، وبلاد العرب وآسيا

[128] - عثمان الكعاك: نفسه، ص:35.

الصغرى، وأثيوبيا. ويحتمل أن يكون پلين Pline نقل عنه الألفاظ المستعملة عند سكان شمال أفريقيا."[129]

ويعني هذا كله أن الأمازيغ قد تملكوا ناصية اللغة اللاتينية، فاستخدموها في الكتابة والتخاطب من جهة، والحصول على الوظائف العليا في الإدارة الرومانية من جهة أخرى.

المبحث السادس: اللغـــة العبريـــة

كانت اللغة العبرية منتشرة في أوساط اليهود الذين استقروا بأعداد هائلة في شمال أفريقيا، وخاصة بعد أن طردوا من الشام على يد نبوخذ نصر البابلي ما بين 586و587ق.م. ولم تكن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي يتقنونها، بل كانوا يتكلمون ، منذ تواجدهم فوق رقعة تامازغا، اللغة اليونانية، واللغة المصرية القديمة، واللغة الأمازيغية، واللغة اللاتينية، ثم تكلموا بلغة المسلمين الفاتحين. إضافة إلى لغة الأتراك ولغة المستعمر الأجنبي الحديث، سواء أكانت لغة فرنسية أم إنجليزية أم إيطالية أم إسبانية.

هذا، ويقول عباس الجراري:" ويتضح من الكتابات التي عثر عليها في وليلي أنه حتى سنة 655 كانت توجد في المغرب جالية لاتينية مسيحية.في حين، كانت قلة من البربر هي التي تدين بالمسيحية أو اليهودية، بل إن التاريخ يتحدث عن آثار للمسيحية في القرن الثامن للميلاد بمنطقة نفيس عند سفح الأطلس الكبير حيث كانت لاتزال تعيش جالية منتسبة لهذا الدين الذي لايعرف متى دخل إلى المغرب، وإن كان معروفا أن مدينة طنجة كانت أكثر مدن المغرب آثارا تشهد له بماض بعيد فيه.

أما اليهودية، فقد كانت وبقيت موجودة في نطاق ضيق، وهي لاشك دخلت إلى المغرب في ركاب بعض الهجرات التي وفدت من الشرق في القديم، مما يدل على أنها كانت منتشرة قبل المسيحية.وفي هذا رد لاشك على من

---

[129] - ستيفان أگصيل: **تاريخ شمال أفريقيا**، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م، ص: 220-221.

افترض بدافع محاربة المسلمين من جهة، وبدافع إثبات لاوثنيتهم حتى لا يحاربهم المسلمون."[130]
هذا، وقد كان اليهود متواجدين ، بكثرة وكثافة، في شمال أفريقيا ، وخاصة في المغرب وتونس، يسكنون في ملاحات خاصة بهم، إلا أن الكثير منهم قد هاجروا إلى إسرائيل بين سنتي1947و1948م لتعمير دولة إسرائيل[131]. وقد تمكن اليهود المعاصرون من اللغتين العربية والأمازيغية إلى جانب لغات المستعمر. وفي هذا الصدد، يقول كاتب يهودي:" كان بودي أن أكتفي بالقول- كاستهلال لهذه المقالة- أنا يهودي، وأن يكون التعبير باللغة العربية لإعفائها من كل تبريرات مصطنعة، لأن اللغة العربية وأختها اللهجة البربرية هما روح ثقافة المغرب ومحتواها[132]."
ولا نقصد بهذا الكلام اليهود فقط، بل أيضا الأمازيغ اليهود الذين آمنوا بالعقيدة الموسوية ، وتمثلوا تعاليم التوراة، وتحدثوا العبرية التوراتية القديمة المفارقة للعبرية الحديثة التي وضعها إليعازر بن يهودا بين عامي1911و1922م. وفي هذا الصدد، يقول أحمد شحلان:" في كتابه(**مجمع البحرين**)**:"** اللغة العبرية هي التي كتبت بها التوراة الموجودة بين أيدي الناس اليوم، ويعود تاريخها إلى حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد.وهي واحدة من أسرة اللغات العروبية التي تنتسب إليها اللغة الأكادية والفينيقية والآرامية والسريانية والحبشية والعربية...وعليه، فإن اللغة العبرية في المغرب كانت لغة دين وطقوس وتعبد، وبهذه الصفة ارتبطت بالتعليم والمعرفة ، ولم تكن لغة كلام دارج إلا في حدود ضيقة جدا، انحصرت بين الأحبار ومريديهم في سياق الدرس والتحصيل أو في التواصل مع يهودي أجنبي عن المغرب."[133]
ويعني هذا أن البرابرة اليهود قد استخدموا العبرية القديمة في مجال التداول الثقافي والتربوي. وفي هذا يقول ميلود التوري:" واضح-إذاً- أن

---

130 - عباس الجراري: نفسه، ص:36-37..

131 - محمد كنبيب: **يهود المغرب(1912-1948م)**، ترجمة: إدريس بنسعيد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، الطبعة الثانية، 2010م.

132 - أبو بكر الصديق الشريف: **اليهود المغاربة، أسئلة التطبيع وجدلية أهل الذمة**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2004م، ص:68.

133 - أحمد شحلان: **مجمع البحرين - من الفينيقية إلى العربية**، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2009م، ص:285 وما بعدها.

استعمال اللغة العبرية ببلاد المغرب، منذ عهد الفينيقيين، كان مرتبطا بالعقيدة والدرس، ولا يستبعد – في إطار التفاعل اللغوي/الديني- أن تكون قبائل أمازيغية قد تعرفت على اللغة العبرية، خصوصا وأن منها ما اختار التوحيد بدل الوثنية في عصور ماقبل المسيحية.واستمر العمل بها حتى عصر الرومان، إذ كان رجال الدين على علم بها، كما يحكي ذلك القديس أوغسطين أسقف المدينة النوميدية هيبون[134] قائلا بأن" أحد أساقفة هيبون السابقين والمسمى فاليريوس سمع يوما فلاحين من الأهالي يتناقشون، فدارت بينهم كلمة سالوس البونيقية، فسألهم عن معناها، فأجابوه بأنها تعني: ثلاثة.فاستدعت في ذهنه كلمة سالوت الواردة في التوراة بالمعنى نفسه الذي تحمله كلمة (Trinite) اللاتينية .أي: ثالوث بالعربية.[135]"
وهكذا، يتضح لنا أن اليهود، سواء أكانوا يهودا حقيقيين أم أمازيغ متهودين، قد استعملوا العبرية التوراتية القديمة والعبرية الحديثة على حد سواء، في تواصلهم اليومي والثقافي.

المبحث السابع: اللغـــة العربيـــة

لم يتخذ الأمازيغ اللغة العربية لغة للتداول والتواصل والكتابة إلا بعد الفتوحات الإسلامية التي دخلت شمال أفريقيا لتثبيت أركان الإسلام، ونشر اللغة العربية وعلومها وآدابها وفنونها.لذا، فقد وجدنا الكثير من المثقفين والعلماء الأمازيغ يقبلون على تعلم اللغة العربية في المدن والبوادي بغية تملك ناصيتها البيانية، واستيعاب قواعدها النحوية والصرفية. بل لقد تفوق فيها كثير من البلغاء والفصحاء البرابرة، مثل: طارق بن زياد الذي ألقى خطبة مشهورة في فتح الأندلس، أثارت نقاشا كبيرا بين مجموعة من دارسي الأدب وباحثيه، متسائلين عن مدى فصاحة الأمازيغ، ومدى اقتدارهم على إنشاء مثل هذه الخطب البليغة بيانا ولسانا.
وهناك كذلك مجموعة من المثقفين الأمازيغ الذين ساهموا في إثراء الحضارة الإسلامية بكتاباتهم العديدة والمتميزة، وقد استخدموا في ذلك

---

134 - يقصد بهيبون مدينة عنابة بالجزائر.

135 - ميلود التوري: نفسه، ص:108.

اللغة العربية، كما هو حال كل من: ابن خلدون، وأبي الحسن الشاذلي الغماري، وابن عبد الله الجزولي، وأبي العباس بن العريف الصنهاجي، وأبي يعزى، ووجاج، وعبد الله بن ياسين، ومحمد بن تومرت، وابن أبي زيد القيرواني، والإمام المكودي، وابن عرفة الورغمي، وابن مرزوق العجيسي، وأبي العباس أحمد البرنوصي المعروف باسم زروق، وأبي العباس أحمد الونشريسي، وأحمد بابا الصنهاجي، وعيسى بن عبد العزيز يللبخت الجزولي، وأبي الحسن بن معطي الزواوي، وأبي حيان الغرناطي البربري، وأبي عبد الله بن أجروم الصنهاجي، وعكرمة البربري، وابن منظور الأفريقي، والبيذق، والفشتالي، والعبدري الحيحي، وأبي سالم العياشي، وأكنسوس، وابن عذارى، والجزنائي، وابن غازي الكتامي، والأفراني، والزياني، وابن بطوطة،...

ويرى محمد شفيق أن البرابرة كانوا متفوقين في التأليف العلمي الموضوعي أكثر من التأليف الإبداعي؛ بسبب صعوبة الاسترسال باللغة العربية سليقة وفطرة وسجية. وفي هذا، يقول الباحث:" لكن إسهام البربر في قرض الشعر-العربي- وفي الأدب الإنشائي بصفة عامة، لم يكن ذا وزن كبير بالقياس إلى إنتاج المشارقة، وحتى بالقياس إلى إنتاج العرب والأندلسيين، لامن حيث الحجم والكم، ولا من حيث الجودة والكيف بصورة أخص.ونرى السبب في ذلك هو أن جماهير الأمازيغيين كانوا لايعرفون اللغة العربية، وأن من قدر لهم أن يتعلموها كانوا في أغلبيتهم لاينشئون على الحديث بها على سليقة؛ بل كانوا يجنحون في حياتهم اليومية العادية إلى التخاطب باللغة التي رضعوها مع اللبان، وهي الأمازيغية، ولذا برعوا في صناعة الكتابة مادام عملهم يهدف إلى التحليل والاستدلال والاستنباط، كما هو الشأن في الرحلة والتاريخ.ولم يأتوا بطريف فيما هو إنشاء توليفي صرف، لا في النثر الفني ولا في الشعر...وكل من تألق نجمهم شيئا ما في سماء الشعر العربي، من البربر، قد نشأوا في بيئة لغوية عربية أو قديمة العهد بالاستعراب، كسابق البربري المشرقي النشأة، وابن الزقاق البولوكيني الأندلسي المولد والنشيئة...أما الأغلبية من الأمازيغيين الذين تعاطوا القريض، وهم منغمسون في مجتمعهم المغاربي المطبوع بالبربرة، فلم يفعلوا عن فيض خاطر، ولكن عن إرادة و"سبق إصرار"؛ ذلك شأن كبير منهم، حتى كبار

الفقهاء والكتاب المفكرون من أمثال أبي علي الحسن اليوسي ومحمد المختار السوسي.ولذا، يمكن القول: إن " النبوغ المغربي في الأدب العربي" انحصر طوال العصور في ماهو انتفاعي ، ولم يتجل بوضوح لا في شعر رفيع ولا في نثر فني من الطراز الأعلى.والسبب في ذلك هو بطء حركة الاستعراب الجماهيري."[136]

ومن جهة أخرى، هناك مثقفون أمازيغ استعانوا بالخط العربي في كتابة بحوثهم الأمازيغية .وفي هذا الصدد، يقول أحمد بوكوس:" أما عن المرحلة الإسلامية، فإن المؤرخين، وخصوصا منهم مؤلفي الحوليات والسير، يتحدثون عن عدد غير يسير من المراجع المكتوبة باللسان الأمازيغي، منها الأدبيات الدينية للخوارج والبورغواطيين والموحدين ولكن جلها اندثر. لم نعد نحتفظ منها سوى ببعض أسماء الأعلام البشرية وأعلام الأمكنة وبعض الجمل المتناثرة. وحتى أشعار سيدي حمو الطالب التي قد تساعد على استقراء السمات العامة لأمازيغية القرن الثامن عشر لم يصل إلينا بعضها إلا عبر الرواية الشفوية. وهكذا، فإن من أقدم المؤلفات الموضوعة بالأمازيغية هي من إنجاز الفقهاء من أمثال أزناگ وأوزال. ولعل من أشهر هذه المؤلفات كتابي الفقيه محمد ؤعلي أوزال (الهوزالي). أي: كتاب الحوض وكتاب بحر الدموع، أولهما يتناول قواعد الفقه وفق المذهب المالكي، وثانيهما في قضايا التصوف. لقد ألفا في القرن الثامن عشر بلسان تاشلحيت، ودونا بالحرف العربي. والجدير بالذكر أن لغة هذه النصوص لاتختلف في شيء عن الأمازيغية الحديثة من حيث صرفها ومعجمها وتركيبها."[137]

وعليه، فقد انساق الأمازيغ وراء تعلم اللغة العربية لأسباب دينية محضة؛ باعتبارها لغة القرآن والسنة، ولغة الحضارة العربية الإسلامية، ولغة الترقي في المناصب الإدارية والدينية والعلمية.

المبحث الثامن: اللغـــة التركيـــة

[136] ـ محمد شفيق: نفسه، ص:84-85.

[137] ـ أحمد بوكوس: **الأمازيغية والسياسة اللغوية والثقافية بالمغرب**، مركز طارق بن زياد، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2003م،ص:37.

وصل العثمانيون إلى شمال أفريقيا في القرن السادس عشر الميلادي، مع الأخوين عروج وخضر حيدر الدين برباروس للوقوف في وجه الهيمنة الإسبانية في حوض البحر الأبيض المتوسط من جهة، والسيطرة على ليبيا وتونس والجزائر من جهة أخرى. وقد تركت الدولة العثمانية بصماتها الثقافية والحضارية الواضحة والجلية في منطقة تامازغا، على مستوى الفقه، والقانون، والفنون، والحياة العامة.

كما تأثر السكان المحليون باللغة التركية، وخاصة رجال الأعمال والكتّاب في تونس. وترتب عن ذلك أن ظهرت انقسامات لغوية بين مدافع عن اللغة العربية، ومدافع عن اللغة الأمازيغية، ومدافع عن اللغة التركية، ولاسيما في تونس التي فضلت فيها اللغة العربية على اللغة الأمازيغية بشكل كبير.

ومازالت آثار اللغة التركية بارزة في بعض مفردات المعاجم اللغوية التي يستعملها الأمازيغي في كل من : ليبيا، وتونس، والجزائر.

المبحث التاسع: اللغـــة الإيطاليـــة

من المعلوم أن ليبيا تعرضت للاستعمار الإيطالي من1911م إلى غاية 1950م. فمن الطبيعي أن تتأثر لهجاتها بلغة المستعمر على مستوى المفردات والتعابير والتراكيب والمصطلحات...ويعني هذا أن اللغة الليبية هي لغة فصيحة، ولم تتأثر بباقي الألسن الأخرى، ماعدا اللغة الإيطالية التي أمدتها بكثير من الألفاظ والدوال اللسانية. وقد كان الشعب الليبي يتكلم الإيطالية بسهولة، قبل أن يتحول إلى العربية فالإنجليزية.

وعليه، فثمة مجموعة من الكلمات والمفردات الإيطالية التي تستعمل في ليبيا، مثل: فرينو مانو (مكبح السيارة)، وبيلو(جميل)، وسكالا(سلم)، وزنقا(شارع ضيق)، وكوتشينا(المطبخ)،وبالو(مصباح)، وانصوله (غطاه)، وصالا (وسط المنزل)، وتشاو(وداعا)، وبالاكونة(شرفة المنزل) ، ومرتشاييدي (الرصيف)، وانديترو(إلى الوراء)، وتيستا(رأس)، وكرافيتا(شوكة الأكل)، ودومان (مقبض القيادة)، وبونكينا(دكة الاحتياط)، وتريبونا(أماكن الجماهير)، وكوما (عاجلة)...

ويبين لنا ، من هذا كله، أن تأثير اللغة الإيطالية في اللهجات الليبية المحلية مازال واضحا وجليا على مستوى القاموس اللسني واللغوي.

المبحث العاشر: اللغــة الفرنسيــة

لا أحد ينكر مدى التأثير الذي تركته اللغة الفرنسية في الأمازيغية واللغة العربية معا في بلدان شمال أفريقيا ، وخاصة تونس، والجزائر، والمغرب. فمازال القبائليون في الجزائر يتحدثون باللغة الفرنسية إلى جانب اللغة الأمازيغية، بل إن لغتهم الأمازيغية هي خليط من الفرنسية واللغة العربية. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى انصهار أمازيغ الجزائر في المجتمع الفرنسي منذ 1830م، إلى أن أصبحوا مستلبين لغة وهوية وحضارة.بل هناك من الكتاب الجزائريين الأمازيغ الذين استعملوا اللغة الأمازيغية في كتاباتهم الأدبية والفنية والعلمية، غير قادرين على استعمال اللغة العربية؛ بسبب طول فترة الاندماج في الكينونة الاستعمارية الفرنسية التي دامت أكثر من قرن وثلاثين سنة.أي: من 1830إلى 1962م.

ومن أهم الكتاب الأمازيغ المغاربيين الذين وظفوا اللغة الفرنسية للتعبير عن همومهم الذاتية والموضوعية ميلود معمري، ومحمد خير الدين، وآسيا جبار، ومولود فرعون...

وهناك الكثير من الدارسين الأمازيغ، في مختلف المعارف والآداب والفنون والعلوم، قد اختاروا اللغة الفرنسية أداة لكتابة بحوثهم ومقالاتهم ودراساتهم الأكاديمية، أمثال: أحمد بوكوس، وعبد الله بونفور، ومحمد الشامي، وسالم شكير، وحسن بنعقية، وعبد السلام خلفي، وآخرين كثيرين.

المبحث الحادي عشر: اللغــة الإسبانيــة

كان للغة الإسبانية تأثير كبير في اللغة الأمازيغية بمنطقة الريف من المغرب الأقصى، خاصة أن إسبانيا استعمرت هذه المنطقة منذ1912م، ولم تنسحب منها إلا في 1956م. في حين، ظلت مليلية وسبتة محتلتين إلى يومنا هذا منذ فترة زمنية طويلة جدا، تعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي. ويتجلى التأثير الإسباني واضحا في الجوانب الصوتية، والمعجمية، والتركيبية.

فعلى المستوى الصوتي، يمكن الحديث عن فونيم الپاء/P/ الذي يحضر بكثرة في التداول الأمازيغي الحي، حينما ننطق مجموعة من الكلمات الإسبانية :الموز (Platano) ، والكرة (Pelota)، وبابا (Papa)...
ومن حيث المعجم، تتضمن اللغة الأمازيغية الريفية عددا هائلا من المفردات المعجمية التي تنتمي إلى القاموس الإسباني، مثل:
الكتاب (Libro)، وكيلو (kilo)، والحرب(Guerra)، والمطبخ(Cocina)، والسينما (Ciné)، والخمر(Vino)،والصالة (Sala)...
ويعبر هذا عن مدى انفتاح الإنسان الريفي على الحضارة الإسبانية وثقافتها ولغتها .

المبحث الأخير: لغـــات المهجـــر

تأثر كثير من الأمازيغ المهاجرين، منذ استقلال بلدان تامازغا، بمجموعة من لغات المهجر ، أو لغات البلدان المستضيفة ، وخاصة الذين هاجروا إلى الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط، فتمثلوا اللغة الألمانية، واللغة الهولندية، واللغة الفرنسية، واللغة الإنجليزية، واللغة الإسبانية، واللغة الإيطالية،... فانصهروا في مجتمعات هذه البلدان، وتأثروا كثيرا بعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وحضارتهم وثقافتهم. بل هناك من تجنس بجنسية هذا البلد المستضيف، أو حصل على جنسية مزدوجة، أو كانت لديه جنسيات كثيرة...بل هناك بعض المثقفين الأمازيغ من تفوق في هذه اللغات على أقرانهم الأجانب، فحصلوا على جوائز كثيرة في مجالات مختلفة ، سواء أكانت علمية أم أدبية أم فنية.

وخلاصة القول، يتضح لنا، مما سبق ذكره، أن الإنسان الأمازيغي كان يتقن مجموعة من اللغات ، مثل: اللغة اليونانية، واللغة البونيقية، واللغة العبرية، واللغة اللاتينية، واللغة الأمازيغية، واللغة العربية، واللغة التركية، واللغات الأجنبية المعاصرة . ومن ثم، فقد اكتسب بعض هذه اللغات عن حب وطواعية واحتكاك ثقافي، وينطبق هذا على اللغة اليونانية، واللغة الفينيقية، واللغة العبرية، واللغة العربية، واللغة التركية...

في حين، فرضت عليه لغات أخرى بقوة السلاح والحديد، كما هو حال اللغة اللاتينية الأم، وما تفرع عنها من لغات أوروبية حديثة، كالفرنسية، والإسبانية، والإيطالية.
وعلى العموم، يدل هذا كله على أن المنظومة اللغوية، عند الإنسان الأمازيغي، مرنة ومتعددة ومتسعة ومنفتحة وكثيرة الأنساق اللغوية واللسانية. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل ، بشكل جلي وواضح، على مدى انفتاح الإنسان الأمازيغي على باقي الشعوب والإثنيات التي كانت تقيم حول ضفتي حوض البحر الأبيض المتوسط .

الفصل السادس:

مدخــل إلى الكتابـــــة الأمازيغيـــة

حينما نريد الحديث عن اللغة الأمازيغية ، ونجعلها محورا للبحث والدرس، لابد من التطرق إلى الكتابة الأمازيغية باعتبارها ناقلة للإرث الحضاري الأمازيغي منذ القدم. وهذه الكتابة هي أس الكينونة الأنطولوجية للإنسان الأمازيغي، والمعبر الأيقوني والصوري الحقيقي عن أفكاره ومشاعره ووجدانه ومخياله الذهني والعقلي والوجداني والحركي. ولابد من تتبع الكتابة الأمازيغية، في تطورها، لرصد خطوطها الأساسية بغية معرفة تجلياتها الحضارية والثقافية، واستقراء تطورها على مستوى التدوين والتوثيق لمعرفة تاريخ الإنسان الأمازيغي، واستكشاف منجزاته الفكرية والعملية والإبداعية. وذلك كله لأن الكتابة الأمازيغية تسعف الباحثين والدارسين في معرفة حضارة الأمازيغيين، والاطلاع على

ثقافتهم، وفهم طرائق حياتهم المعيشية، وتبيان سبل تأقلمهم مع الطبيعة التي تحيط بهم، من خلال التوقف عند نقوشها الراسخة في الكهوف والصخور والأحجار والمغارات الموجودة في الجبال والبوادي والمدن والصحاري، وعبر شواهدها المأتمية، وزخارف الزرابي، وأيضا من خلال ظاهرة الوشم التزيينية ...

إذا، ما الكتابة الأمازيغية؟ وما خصوصياتها اللسنية والأيقونية؟ وما أهم التطورات التي عرفتها هذه الكتابة عبر تاريخ الكينونة الأمازيغية؟ هذه هي الأسئلة التي سنرصدها في المباحث التالية.

المبحث الأول: فصيـــلة اللغة الأمازيغية

من المعروف، في فقه اللغة، أن اللغة الأمازيغية أوالبربرية من اللغات القديمة التي تنتمي إلى الفصيلة الحامية، إلى جانب المصرية والكوشيتية.

"وقد اصطلح على إدخالها في مجموعة واحدة، مع أن صلات القرابة بينها ضعيفة. ولذلك، يعد بعضهم كل فرع منها مستقلا برأسه على حدة.

واللغة البربرية هي في الحقيقة لغة السكان الأصليين لشمال إفريقية(تونس والمغرب والجزائر وطرابلس والصحراء والجزر المتاخمة لها). وأهمها اللغة القبائلية Kabyle والتماشكية Temachek ، وهي لغة قبائل التوارج Touareg (الطوارق).

وأما الكوشيتية ، فهي لغة السكان الأصليين للقسم الشرقي من أفريقية، وبها يتكلم نحو ثلث سكان الحبشة. وهناك مناطق في الحبشة تتكلم بلغة سامية."[138][1]

من المعروف، أن الفصيلة السامية تشمل مجموعة من اللغات أولها: الكنعانية التي كان يتكلم بها سكان الشام (الأردن، وفلسطين، ولبنان، وسوريا)، وهي بدورها تضم مجموعة من اللهجات كالأجريتية، والكنعانية القديمة، والمؤابية، والفينيقية، والعبرية. واللغة الثانية هي الآرامية، ومقرها الجزيرة والعراق والشام أيضا. وشملت هذه اللغة المجموعة الشرقية، بمافيها اللهجات السائدة في العراق، وشملت

---

[138] - صبحي الصالح: **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1981م، ص:43-44.

المجموعة الغربية منها اللهجات الباقية المستخدمة في سورية، وفلسطين، وشبه جزيرة سيناء. ومن اللغات الأخرى للفصيلة السامية العربية الشمالية والعربية الجنوبية، فالعربية الجنوبية تضم اللغة القحطانية أو اليمنية القديمة ، وهي بدورها تضم أربع لهجات هي: المعينية، والسبئية ، والحضرمية، والقتبانية. وتشمل كذلك لغة الحبشية السامية التي تنقسم كذلك إلى: الجعزية، والأمهرية، والتيجرية.
أما العربية الشمالية،" فإننا لانكاد نعرف شيئا عن نشأتها والمراحل التي اجتازتها في عصورها الأولى، وهي قسمان: العربية البائدة التي لايتجاوز أقدم ماوصلنا من نقوشها القرن الأول ق.م ، والعربية الباقية التي لا تجاوز آثارها القرن الخامس بعد الميلاد."[1]
أما الفصيلة الحامية، فتتكون من البربرية ، والكوشيطية، والمصرية. ومن هنا، فاللغة العربية لغة سامية، بينما البربرية لغة حامية.
وعلى الرغم من هذا التمييز في شجرة اللغات واللهجات، فثمة روابط متينة وكثيرة بين اللغات السامية واللغات الحامية، مادامت مشتقة من الشجرة السامية الحامية نفسها، ومادام البرابرة أيضا من أصول حميرية يمنية ، حسب كثير من الباحثين بما فيهم ابن خلدون، ومادامت اللغة العربية والأمازيغية كذلك تنتميان إلى اللغة التحليلية " المتصرفة التي تتغير أبنيتها بتغير المعاني، وتحلل أجزاؤها المترابطة فيما بينها بروابط تدل على علاقاتها."[1]
ويذهب الكثير من الدارسين اللغويين، في مداخلاتهم اللغوية، وأبحاثهم اللسانية، إلى أن البربرية متفرعة عن لغات الفصيلة السامية. أما أحمد بوكوس، فيرى أنها " لغة مستقلة من حيث العلاقة الوراثية بالنسبة للعربية الفصحى،إذ تنتمي الأمازيغية إلى مايسمى بفصيلة اللغات الحامية، بينما تدخل العربية ضمن فصيلة اللغات السامية، وإن كانت هاتان الفصيلتان تشتركان على مستوى أعلى في إطار فصيلة الحامية- السامية، وفي الفصيلة الإفريقية – الآسيوية." [139]
أما الباحث الجزائري سالم شاكر ، فيرى أن اللغة الأمازيغية أقدم من اللغة العربية بكثير، وأقدم من الفصيلة السامية نفسها، وهي لغة مستقلة تنتمي إلى فصيلة اللغات الأفراسية، وهي سابقة على السامية. ومن هنا يرى سالم

---

[139] - أحمد بوكوس: **الأمازيغية السياسة اللغوية والثقافية بالمغرب**، ص:15.

شاكر أن اللغة الأمازيغية" ظهرت ما بين 10000 و9000 قبل اليوم، وبأنها لم تتفرع عن أي من اللغتين الأخريين (المصرية والسامية)، حتى ولو كانت هذه العائلات اللغوية الثلاث(المصرية والأمازيغية والسامية) تتداخل في تعبيراتها المعجمية.
وهناك افتراض آخر يرى أن اللغة الأمازيغية هي التي تفرعت أولا من الكوشية، ثم جاءت بعد ذلك اللغة المصرية، وفي آخر هذه التفريعات تأتي اللغة السامية.
وانطلاقا من مختلف هذه الآراء تحصل على فترة زمنية خاصة ببروز اللغة الأمازيغية تتراوح ما بين 10000و8000 سنة ماقبل الميلاد(أي مابين 12000و10000 قبل اليوم)."[140]
ومن هنا، يتبين لنا أن هناك من يدرج الأمازيغية ضمن الفصيلة الحامية. وهناك من يدرجها ضمن الفصيلة السامية. وهناك من يدرجها ضمن الفصيلة اليافتية. وهناك من يعتبرها كيانا لغويا مستقلا بنفسه .
هذا، وتعد الأمازيغية من أقدم الأبجديات العالمية إلى جانب الأبجدية الهيروغليفية، والأبجدية اليونانية، والأبجدية المصرية. كما أنها من أقدم الأبجديات في أفريقيا، إلى جانب الأبجدية الأثيوبية المعروفة بالمروية..

المبحث الثاني: جغرافيـــة اللغة الأمازيغية

تنتشر اللغة الأمازيغية في شمال أفريقيا، أو فيما يسمى ببلاد تامازغا، منذ مالا يقل عن 5000 سنة، كما تدل على ذلك مجموعة من النقوش والوثائق الأركيولوجية . وكانت الرقعة اللغوية الأمازيغية، منذ فجر التاريخ القديم، ممتدة من حدود سيوة المصرية وشمال السودان شرقا إلى جزر الخالدات في المحيط الأطلسي غربا، ومن الأندلس وصقلية شمالا إلى دول جنوب الصحراء الكبرى، مثل: موريطانيا، ومالي، والنجير، وبوركينافاصو.وتقدر مساحة اللغة الأمازيغية بخمسة ملايين كلم2، وأهم مجموعة أمازيغية هي التي تستوطن المغرب الأقصى.[141]

[140] - مصطفى أعشي: نفسه، ص:76.
[141] - أحمد بوكوس: نفسه، ص:15.

وتوجد اللغة الأمازيغية - اليوم- بكثرة خارج رقعتها الأصلية، في هولندة، وفرنسا، وبلجيكا، وألمانيا، وإسپانيا ، وجزر الكناريا الإسپانية التي يقطنها **الغوانش** الذين كانوا يتحدثون بالأمازيغية الكنارية، قبل أن يقضي الاستعمار الإسپاني على اللغة الأمازيغية فيها. ومازال الغوانش يدافعون عن اللغة الأمازيغية، ويسعون جادين إلى إحيائها وبعثها مرة أخرى.
ويشير شارل أندري جوليان، في كتابه(**تاريخ شمال أفريقيا**)، إلى دراسة قام بها وليام مارسي توصلت إلى أن " نسبة الناطقين بالبربرية هي 23 % في ليبيا، و1% في تونس، و27% في مقاطعة وهران. وقد تجاوزت هذه النسبة 40% في المغرب الأقصى. لكن الأمر لايعدو الفوارق اللغوية. فليس هناك خطأ أعظم من الاعتقاد- كما فعله البعض في كثير من الأحيان- في أن التقسيم بين الناطقين بالعربية والناطقين بالبربرية يعكس تقابلا بين جنس عربي وجنس بربري. إن الأمر لايدل إلا على أن اللهجات البربرية استقرت في جهات جبلية أصعب منالا على الغزاة، بينما استسلمت في جهات أخرى إلى لغة أكثر مسايرة للضرورات الاجتماعية."[142]
ويتحدث بالأمازيغية أكثر من أربعين مليون نسمة. وهي لغة وطنية في النيجر والجزائر والمغرب. وقد أصبحت لغة رسمية في الدستور المغربي منذ سنة 2011م. بيد أن ليبيا وتونس لم تعترفا بها بعد، ولم تخضعاها للدسترة القانونية والشرعية الرسمية، بل إنها ممنوعة في ليبيا - إبان حكم القذافي- بشكل مطلق، وبصيغة تعسفية.
وتنقسم اللغة الأمازيغية إلى لهجات عدة هي: تامازيغت، وتاريفت، وتاشلحيت بالمغرب، واللهجة القبائلية، واللهجة الشاوية، ولهجة بني مزاب، ولهجة بني صالح بالجزائر ، واللهجة الزوارية ، واللهجة النفوسية، و اللهجة الغدامسية، ولهجة أوجلة، ولهجة سكنة بليبيا، واللهجة الطوارقية ببلاد الطوارق المحاذية للجزائر ومالي والنيجر، واللهجة السيوية في مصر. أما في تونس، فيمكن الحديث عن مجموعات ساقية، ومجورة، وسند، وتامزرات، وشنين، ودويرات، وجربة. وتوجد مجموعة ئزناگن أو زناكة في الحدود الموريطانية-السينيغالية.

---

[142] - شارل أندري جوليان:نفسه، ص:66.

ويمكن أن نضع تقسيما آخر لانتشار الأمازيغية حسب القبائل. فهناك على العموم لهجات رئيسية يمكن حصرها في: اللهجات الزناتية،واللهجات المصمودية، واللهجات الصنهاجية. وتنتشر اللهجات الزناتية ، بشكل واسع، في الجزائر وتونس وليبيا، وتوجد بشكل أضعف في المغرب.أما اللهجات المصمودية، فتوجد بشكل كبير في المغرب الأقصى. أما اللهجات الصنهاجية، فتنتشر هنا وهناك في مناطق محددة في المغربين: الأوسط والأقصى، وفي المناطق الجنوبية المحاذية للصحراء.[143]

المبحث الثالث: مفهــوم كلمــة تيفينـــاغ

تسمى كتابة الأمازيغيين بتيفيناغ ، أو تفنغ(Tifinag) . أي: خطنا، أو كتابتنا، أو اختراعنا. وقد وصلتنا هذه الكتابة مخطوطة عبر مجموعة من النقوش والصخور وشواهد القبور منذ آلاف من السنين. ولدينا من ذلك أكثر من ألف نقش على الصفائح الحجرية، بل يفوق 1300 نصا .[144]
ومن ناحية أخرى، يذهب بعض الدارسين إلى أن تيفيناغ مشتقة من فنيق وفينيقيا. ويعني هذا أن اللغة الأمازيغية فرع من الأبجدية الفينيقية الكنعانية. وفي هذا ، يقول عبد الرحمن الجيلالي:" لقد أقبل البربر على اللغة الكنعانية الفينيقية، عندما وجدوا ما فيها من القرب من لغتهم، وبسبب التواصل العرقي بينهم وبين الفينيقيين".[145]
ويذهب عزالدين المناصرة إلى أن اللغة الأمازيغية وأبجديتها فينيقية الأصل، وكنعانية النشأة، وعربية الجذور والأصول:" اللغة الأمازيغية متعددة اللهجات، وهي قابلة للتطور إلى لغة راقية كالعربية، وكتابتها بالحروف الطوارقية (التيفيناغ) هو الأصل، فالمفرد المذكر هو كلمة (أفنيق)؛ مما يوحي فورا بكلمة فينقيا، وهذا يدلل على الأرجح أن اللغة الأمازيغية كنعانية قرطاجية، ولم تكن الكنعانية القرطاجية الفينيقية لغة غزاة، لأن القرطاجيين الفينيقيين هم الموجة الثانية من الكنعانيين. وبما أن أصل البربر الحقيقي هو أنهم كنعانيون فلسطينيون ولبنانيون على وجه

---

143 - بوزياني الدراجي: نفسه، ص:38.

144 - محمد شفيق : نفسه، ص:62.

145 - عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ص:30-141 .

التحديد، فإن السكان الأصليين للجزائر، البربر الأمازيغ، أي الموجة الأولى الكنعانية استقبلوا أشقاءهم الكنعانيين الفينيقيين ليس كغزاة، بل بصفتهم استكمالا للموجة الأولى. ومن الطبيعي بعد ذلك أنهم امتزجوا بالرومان والإغريق واللاتين. فالأصل أن تكتب الأمازيغية بحروف التيفيناغ التوارگية الكنعانية القرطاجية الفينيقية، وأصل هذه الحروف يعود إلى الكنعانية الفينيقية والعربية اليمنية الجعزية."[146]

وعلى أي حال، فكلمة تيفيناغ لايقصد بها الإحالة على الكتابة الفينيقية، بل نعني بها الكتابة، أو الخط، أو العلامة، أو الحرف، أو ما اخترعه الأمازيغيون.

المبحث الرابع: خصائص الكتابة الأمازيغية القديمة

تتميز الكتابة الأمازيغية بمجموعة من المميزات والخصائص والسمات التي نوضحها على الوجه الآتي:

المطلب الأول: الكتابة الأمازيغية بخط تيفيناغ

يعود تاريخ الكتابة الأمازيغية (تيفيناغ) إلى فترات تاريخية بعيدة، من الصعب تحديدها بدقة . ومن ثم، فهناك من الباحثين من يرجعه إلى 3000قبل الميلاد، بل إلى 5000 قبل الميلاد[147]، " وقد كان يعتقد إلى وقت قريب أن تيفيناغ بمثابة كتابة فينيقية ظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد بفضل ماسينيسا،غير أن الباحثة الجزائرية تمكنت من العثور على لوحات كتب عليها بالتيفناغ. والباحثة المعنية هنا هي مليكة حشيد ، وهي مؤرخة وعالمة آثار أجرت فحوصات على تيفيناغ المعثور عليه، وتبين أنه يعود إلى ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد؛ وهو ما جعل البعض يرجح أن يكون تيفيناغ هو أقدم الكتابات الصوتية التي عرفها الإنسان.

---

146 ـ عز الدين المناصرة: **المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب**، ص:69.

147 ـ انظر محمد الشامي:(إشكالية الكتابة الأمازيغية)، **أعمال الدورة الأولى لجمعية الجامعة الصيفية بأگادير**، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى ،1982م.

واللوحة الحاملة لحروف تيفيناغ هي أحد اللوحات المرافقة لعربات الحصان، وهذا النوع من العربات ظهر في العصر ما بين ألف سنة قبل الميلاد وألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد؛ الشيء الذي جعل غابرييل كاميس يرى بأن تيفيناغ لا يمكن أن يكون قد ظهر في وقت أقل قدما من ألف سنة قبل الميلاد.

وإذا كانت هناك عدة فرضيات حول أصل تيفيناغ، ابتداء من الأصل الفينيقي إلى الأصل الأمازيغي المحلي، فإن الأبحاث لم تستقر بعد على حال، وهو ما يلخصه كل من غابرييل كامپس وكارل پرسه، في أنه بالرغم من كل محاولات التصنيف يبقى الإلمام بأصل تيفيناغ بعيد المنال.

ومن ثم، فإن تيفيناغ بمثابة كتابة قليلة الشهرة، ولكنها قديمة لدرجة تستحق الاهتمام، باعتبار أن تيفيناغ البدائي يكاد يعود إلى ثلاثة ألاف سنة قبل الميلاد. ويبدو أن هذه الكتابة الأمازيغية التي تسمى أيضا بالتيفيناغ البدائي أو الكتابة الليبية البدائية قد ظهرت مع **الإنسان القفصي**، نسبة إلى مدينة قفصة التونسية. بحيث ظهر تيفيناغ باعتباره رسوما بدائية قابلة للقراءة، بل إن البعض يجعلها حروفا مقروءة."[148]

وقد استعمل خط تيفيناغ في الكتابة على شواهد القبور، والمغارات، والكهوف، والصخور، والنقوش، والزرابي، والحلي، وسك النقود، ووشم الجسد، والتزيين والزخرفة، ووسم التذكارات التاريخية المنصوبة.
وإذا كان الخط الأمازيغي قد استعمل كثيرا في البوادي والجبال (جبال الأطلس) والمناطق الصحراوية (بلاد الطوارق)، فإنه لم يستعمل كثيرا في المدن؛ بسبب هيمنة الغزاة من الرومان والوندال والبيزنطيين والفاتحين العرب على دواليبها ومرافقها، وتجنيسها بلغة الفاتح المستعمر.
وقد تأثر خط تيفيناغ، في مساره التاريخي، بالكتابة الفينيقية الكنعانية، والكتابة المصرية، والكتابة اليونانية، والكتابة الليبية، والكتابة اللاتينية، والكتابة العربية، خاصة على مستوى الحركات والصوائت. ويرى بوزياني الدراجي أن " شيئا من الشبه يجمع بين الأمازيغية (الليبية) وما اكتشف من كتابة في جنوب إسبانيا L'Iberique ، بالإضافة إلى التشابه

[148] - انظر: (لغة أمازيغية)، **موقع ويكيبيديا** ، الموسوعة الحرة، موقع رقمي.

بينها وبين خط الاتروسگ L'Erusgue وخطوط يونانية فرعية أخرى.... وربما هذا نتيجة الاحتكاكات التي حدثت عبر فترات تاريخية مختلفة. ولكن الراجح فيما ذكر هو الارتباط القوي بين اللغة الأمازيغية واللغات الحامية بالدرجة الأولى، ثم اللغات السامية في درجة ثانية Chamito- Sémique."[149]

ومن هنا، فقد ظلت اللغة الأمازيغية، في بلاد تامازغا، لغة التداول والتواصل عند الكثير من الأمازيغيين. على الرغم من سياسات الإدماج والرومنة والتجنيس التي تعرضوا لها. فلم يتركوا لغتهم الأصلية قط ، بل حافظوا عليها كثيرا، وخاصة في المناطق النائية عن المدن ، كما حافظوا على كتابة تيفيناغ، لكن بشكل أقل مقارنة باللغة المتداولة شفويا." والجدير بالذكر أن هذا الخط – يقول أستاذي الدكتور محمد الشامي- لم تنقطع الكتابة به قط، وتستعمل حاليا في رقعة شاسعة تمتد من تخوم الصحراء الجزائرية الليبية إلى النيجر، ومن هگار Hoggar إلى حدود النيجر- الفلتانية والنيجر النيجرية ، بل الأكثر من هذا أضحى هذا الخط الأمازيغي يحارب به الأمية في النيجر؛ حيث لغة تمازيغت أصبحت اللغة الرسمية الوطنية بين اللغات النيجيرية الأخرى (تامازيغت، بامبارا، پول، سوناك) وكذا في مالي".[150]

وإذا كان خط تيفيناغ قد استعمل في الحد من الأمية في النيجر، فإنه في المغرب والجزائر كان يستعمل - سابقا- باعتباره" تراثا وطنيا ، بعد أن فقد في هذين البلدين وظيفته الأساسية التي هي الكتابة، وأصبح يوظف للتزيين والتجميل كترسيخه على الأجسام وشما، أو بإخلاده في بعض الصور الفنية طرزا ونقشا، وهكذا نجد بعض الجمعيات (القبائلية) تعيد إليه الحياة، وتبعثه من جديد، وخاصة جمعية (أگراو إمازيغن) التي تستعمل الآلة الكاتبة لكتابة تيفيناغ، وجمعية(وحدة الشعب الأمازيغي)."[151]

بيد أن انفتاح المغرب، حكومة وقصرا وشعبا، على الثقافة الأمازيغية مع خطاب أجدير سنة 2001م ، قد أعطى دفعة جديدة للدرس الأمازيغي

---

[149] - بوزياني الدراجي: نفسه، ص:35.

[150] - محمد الشامي:(إشكالية الكتابة الأمازيغية)، ص:155.

[151] - محمد الشامي: نفسه، ص:159-160.

الحديث، بتأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية الذي أقر إداريا ، وبشكل رسمي، في جلساته ولقاءاته وندواته، خط تيفيناغ خطا رسميا للغة الأمازيغية، بعد جدل كبير ومستفيض بين أعضاء المجلس الإداري للمعهد، وخاصة بين الذين يدافعون عن الخط اللاتيني، وخط اللغة العربية، وخط تيفيناغ.

وقد كانت الأمازيغية القديمة تكتب - كما هو معلوم- من الأعلى إلى الأسفل في البداية، كما يتجلى ذلك في النقوش والصخور والكهوف، ليتم تطويعها من جميع الجهات، من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى ،ومن اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين. واستمر وضع الكتابة على هذا الشكل إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حتى غير الطوارق صيغة الكتابة من اليمين إلى اليسار على غرار اللغة العربية.

بيد أن الباحث الجزائري بوزياني الدراجي يرى أن هذا التغيير بدأ مع الفينيقيين." وفي العهد الفينيقي ، أضحت كتابة " تفنغ" تكتب من اليمين إلى الشمال؛مثلها مثل الخط الفينيقي."[152]

ومن المعروف، أن الكتابة الأمازيغية عبارة عن حروف صامتة وغير صائتة، كانت في البداية تتكون من ستة عشر حرفا صامتا(Consonnes)، وصار بعد ذلك ثلاثة وعشرين حرفا في عهد المملكة المازيلية النوميدية. وأضيفت إليها بعض الحروف الصائتة(voyelles) مع الفتح العربي لشمال أفريقيا، وتسمى (تيدباكين)، وهذه الصوائت هي: الفتحة والضمة والكسرة. وتسمى الأبجدية الأمازيغية (**أگامك**)[153]، لتصبح تيفيناغ – اليوم- عبارة عن ثلاثة وثلاثين حرفا ، منها تسعة وعشرون حرفا صامتا وأربعة صوائت.

ومن خصائص الخط الأمازيغي القديم أنه خط صامتي يشبه الكتابة الأيقونية الإديوگرامية(Idiogramme)التي تعبر عن فكرة، أو شيء، أو صورة. كما يخلو الخط من العلامات الصائتية(Voyelles)، ويحضر هذا الخط في أشكال هندسية، كدوائر، ومثلثات، ونقط، وخطوط مفتوحة ومغلقة ومتقاطعة، وخطوط مائلة ومتنوعة.

---

[152] - بوزياني الدراجي: نفسه، ص:35.

[153] - محمد شفيق:نفسه،ص:61-62.

هذا، وقد ترك لنا الأمازيغيون، في شمال أفريقيا، أكثر من ألف نقش على الصخور والكهوف والشواهد، و" تركوا عددا من النقوش التذكارية في تونس والجزائر خاصة، فيها ماهو مصحوب بترجمته اللاتينية أو الفينيقية؛ وقد قام الباحث جورج مارسي George Marcy بمحاولة جادة من أجل شرحها. لكن معظم النقوش الأمازيغية القديمة لاتزال تنتظر اختصاصيين يشترط فيهم أن يتقنوا الأمازيغية أولا، ثم إحدى اللغات الميتة الآتية: الفينيقية أو اليونانية أو اللاتينية."[154]

وقد انحدرت الأبجدية تيفيناغ - حسب الباحث الجزائري بوزياني الدراجي- عن " أبجدية لوبية قديمة. وهي ما زالت مستعملة- في هذه الأيام- ضمن الأوساط الطوارقية؛ وتتميز بكونها لغة صامتة consonantique ؛ وكانت في البداية تكتب منفصلة في الاتجاهات كلها: من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين؛ ثم من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى. وحروفها ليست كاملة حتى الآن... وكانت هذه الكتابة المعروفة بالليبية أو اللوبية منتشرة في كامل بلاد المغرب القديم.".[155]

و قد ظهرت كتابة تيفيناغ إبان عصر الجمل؛ لأن الإنسان الأمازيغي عرف عدة مراحل وعصور، في أنشطته اليومية، كعصر الصيادين من5000 إلى 3500قبل الميلاد، وعصر الرعاة الذي ساد من 3500ق.م إلى 1000ق.م، وعصر الحصان الذي ساد في الألف الأخيرة ق.م، وعصر الجمال الذي ظهرت بوادره خلال المائة سنة التي سبقت التاريخ الميلادي. أما عصر الجمل" ذي السنام الواحد طبعا، فيظهر فيها هذا الحيوان من خلال رسوم أقل جودة وإتقانا من الناحية الفنية مما عرف في الفترات السابقة كعصر الصيادين وعصر الرعاة. ويسمى هذا العصر أيضا بفترة التيفيناغ؛ بسبب وجود هذه الكتابة منقوشة على الصخور؛ إلى جانب الصور المنقوشة والمرسومة . ويبدو أن هذا العصر استمر طويلا؛ بحيث يمكن دمج الفترة الإسلامية ضمنه؛ لأن بعض النقوش أخذت تظهر الحروف العربية إلى جانب حروف التيفيناغ".[156]

---

[154] - محمد شفيق:نفسه،ص: 62.

[155] - بوزياني الدراجي: نفسه، ص:34.

[156] - بوزياني الدراجي: نفسه، ص:48.

وهكذا، يتبين لنا أن الكتابة الأمازيغية من أقدم الأبجديات التي عرفتها الإنسانية، وقد عرفت تطورات عدة بسبب جدلية التأثير والتأثر.

المطلب الثاني: الكتابة الأمازيغية بالخط العربي

كتبت الأمازيغية بالحرف العربي ابتداء من القرن الثاني عشر والثالث عشر، مع ابن تومرت الذي ترجم كتاب(العقيدة) إلى اللغة الأمازيغية بواسطة الخط العربي. وقد انتشرت المترجمات الأمازيغية إلى العربية في القرن الثامن عشر الميلادي، وبالضبط في منطقة سوس، كما هو حال الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب، وغيرها من كتب الشعر، والدين، والتصوف، والتاريخ، والسير. وقد واكب هذا التأليف المرحلة الإسلامية والفتوحات العربية لشمال أفريقيا، وكذلك مع تأثر المثقفين الأمازيغيين بالعلماء المسلمين في شتى المعارف والفنون والعلوم. وفي هذا الصدد، يقول أحمد بوكوس:" أما عن المرحلة الإسلامية، فإن المؤرخين، وخصوصا منهم مؤلفي الحوليات والسير، يتحدثون عن عدد غير يسير من المراجع المكتوبة باللسان الأمازيغي، منها الأدبيات الدينية للخوارج والبورغواطيين والموحدين ولكن جلها اندثر. لم نعد نحتفظ منها سوى ببعض أسماء الأعلام البشرية وأعلام الأمكنة وبعض الجمل المتناثرة. وحتى أشعار سيدي حمو الطالب التي قد تساعد على استقراء السمات العامة لأمازيغية القرن الثامن عشر لم يصل إلينا بعضها إلا عبر الرواية الشفوية. وهكذا، فإن من أقدم المؤلفات الموضوعة بالأمازيغية هي من إنجاز الفقهاء من أمثال أزناگ وأوزال. ولعل من أشهر هذه المؤلفات كتابي الفقيه محمد ؤعلي أوزال (الهوزالي). أي: كتاب الحوض وكتاب بحر الدموع، أولهما يتناول قواعد الفقه وفق المذهب المالكي، وثانيهما في قضايا التصوف. لقد ألفا في القرن الثامن عشر بلسان تاشلحيت، ودونا بالحرف العربي. والجدير بالذكر أن لغة هذه النصوص لاتختلف في شيء عن الأمازيغية الحديثة من حيث صرفها ومعجمها وتركيبها."[157]

---

[157] - أحمد بوكوس: نفسه،ص:37.

وقد ساهمت (الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي) في إصدار مجموعة من المنشورات معتمدة في ذلك على الخط العربي من جهة، وطريقة (أراتن) في الكتابة من جهة أخرى. ومن ثم، فقد حذت مجموعة من الجمعيات الأمازيغية حذو هذه الجمعية في تبني الخط العربي ، مثل: جمعية الانطلاقة الثقافية بالناظور التي أصدرت مطبوعا شعريا مكتوبا بالخط العربي.

ومن الصعوبات التي تطرحها كتابة الأمازيغية عبر الخط العربي مشكل كتابة الهمزة، وكتابة الحروف المشكولة، ونرى أن طريقة (أراتن) أفضل في كتابة الأمازيغية على صعيد الكتابة العربية.

فإليكم – إذاً- بعض الأمثلة الأمازيغية المكتوبة بطريقة(أراتن):

إزران ———— ءيزران (الأشعار)
يموث ———— ياموث (مات)
أمزكون ———— ءامزگون(المسرح)
أرنو ———— ءورينو(قلبي)

المطلب الثالث: الكتابة الأمازيغية بالخط اللاتيني

اعتمد الكثير من الدارسين والباحثين المتمكنين من اللغة الفرنسية على الخط اللاتيني في كتابة المنتوج الأمازيغي، كما نجد ذلك واضحا لدى الكثير من الجمعيات الأمازيغية في الجزائر والمغرب. بيد أن الخط اللاتيني الذي استعمل في إصدار مجموعة من الصحف والمجلات كجريدة (أگراو)، و(تاسافوت)، و(تويزا)، ومجلة (تيفيناغ) لأوزي أحرضان... أدخلت عليه تغييرات كبيرة على مستوى الكتابة لتلائم النطق الأمازيغي، فأصبح هذا الخط اللاتيني مشوها بكثرة النقط والرموز الأيقونية فوق رأس الحرف وأسفله؛ مما جعله خطا صعبا للقراءة، إذا لم يرافقه جدول لساني صوتي يذلل قراءة الأحرف . كما لاحظنا ذلك أثناء تعاملنا مع مجموعة من الدواوين الشعرية الأمازيغية الريفية، سواء التي أصدرتها جمعية (إيزوران /الجذور)، كديوان ميمون الوليد، وديوان محمد

والشيخ،وديوان محمد شاشا، أم الصادرة بالمغرب، كديوان فاظمة الورياشي، وديوان أحمد الزياني، ودواوين رشيدة مايسة المراقي، وديوان سعيد الفراد.
ومن الصعوبات التي يطرحها الخط اللاتيني، إلى جانب حمولاته الإيديولوجية والكولونيالية، أن الكثير من القراء الأمازيغيين لايفهمون اللغات الأجنبية الغربية، ولاسيما اللغة الفرنسية. وهنا، يطرح هذا السؤال الملح : لمن يكتب هؤلاء؟ هل للجمهور الفرنسي أم للمغاربة المفرنسين ؟ وهؤلاء المتفرنسون في الحقيقة نخبة ضئيلة جدا أم أنهم يكتبون للأمازيغيين المغاربة الذين لايتقنون إلا اللغة العربية، ويجدون صعوبة كبيرة في فهم اللغة الفرنسية ؟! فكيف سيفهمون خطا أجنبيا مليئا بالنقط وأحرف لاتعبر أبدا عن الحروف الأمازيغية بشكل علمي ومضبوط. لذا، من الأفضل كتابة الأمازيغية بخط تيفيناغ لأنه رمز الهوية المحلية ، وأس الحضارة الأمازيغية الموروثة، إلا أنه ينبغي تطويره وتطويعه ليساير جميع المستجدات التقنية والعلمية والأدبية والفنية والمعرفية، أو نكتب جميع النصوص بالخطوط الثلاثة ، وهذا هو الأقرب إلى الصواب .

المبحث الخامس: خصائص الكتابة الأمازيغية الحديثة

تتكون الكتابة الأمازيغية (تيفيناغ) التي أقرها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالمغرب(IRCAM)، بعد أن اعترفت به عالميا المنظمة الدولية الأيسوا(ISO-UNICODE) في 25 يونيو 2004م من ثلاثة وثلاثين حرفا، منها تسعة وعشرون من الصوامت وأربعة من الصوائت.
وتتشكل الصوائت من أربعة حركات هي: صائت الفتحة- a - (ءاوال،ءامان/الماء)، وصائت المد المضموم -u - (ءور/القلب، ءودم/الوجه)، وصائت السكون -e - (حركة شفا) التي تستعمل عند تكرار الحروف الساكنة(بد/ قف ، مّي /ابني،ءاسرزم/النافذة) ، وصائت الكسرة -i-(ءيراف/الخنزير).
وتحضر الصوامت في شكل دوائر وأنصاف دوائر، وعدد حروفها سبعة وهي: الراء (ءابريذ/الطريق)،والباء (بابا/أبي)،والهاء

(بوهرو/الأسد)،والصاد (ءاصميظ/البرد)،والسين (واس/اليوم)،والشين (ءوشان/الذئب)، والراء المشددة(بارّا/خارج).
وهناك أحد عشر حرفا في شكل خطوط عمودية وأفقية هي: النون (ءامان/الماء) ،والجيم (ءاجانا/السماء) ،واللام (تملالت/البيضة)،والتاء (تافوكت/الشمس)،والميم (تامزيدا/المسجد)، والظاء (ءاظير/العنب)،والطاء (باطاطا/البطاطس)، والفاء (فيغار /الثعبان)، والواو (ءاوال/الكلام) ،والعين (ءاعموذ/العصا أو الركيزة) ،والغين (ءيغزار/النهر)، والدال (ءادرار/الجبل).
وثمة أربعة خطوط مائلة، مثل: الدال (ءادرار/الجبل)، والحاء(ءيصباح/جميل)، والخاء(ءاخام/البيت)، والياء(ءاشفاي/الحليب) ، و5 حروف على شكل مثلثات كالگاف (أرگاز)، وگوا (ءازگاغ/الأحمر)، والكاف (تاسكورت/الحجلة)، وكوا (ءيتاكور/يشتم)،والقاف(ءاقراب/المحفظة)، وخطان متنوعان كالزاي(ءيزي/ذبابة)، والزاي المشددة(ءازرو/الحجر).
ومن المعروف، أن الكتابة الأمازيغية - كما أقرها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية - تبتدئ من اليسار إلى اليمين على غرار الكتابة اللاتينية .
ويلاحظ أن المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية عندما حاول معيرة اللغة الأمازيغية، وتوحيد تدريسها ديدكتيكيا وبيداغوجيا، استبعد ، من أبجديته، بعض الحروف الأمازيغية الموجودة في اللغة الريفية، كالثاء ، مثل: (ثرايثماس/اسم امرأة)، وحرف الذال مثل:(ءابريذ/الطريق)، وحرف الپاء(P) الشفوي الهامس الذي يعد حرفا دخيلا ووحدة مميزة في أمازيغية الريف.

وخلاصة القول، تلكم - إذاً- نظرة موجزة إلى مسار الكتابة الأمازيغية، وتاريخها الطويل. بيد أن هذه الكتابة تستوجب ، من وزارة التربية الوطنية المغربية من جهة، والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية من جهة أخرى، تعليمها للمواطنين المغاربة بصفة عامة، والأمازيغيين بصفة خاصة، قصد الاطلاع على الإنتاجات الأمازيغية وقراءتها. ولن يتم ذلك إلا بتوفر إرادة صادقة ، ووجود نية حسنة في تعليم اللغة الأمازيغية، وفرض كتابتها في المدارس والمؤسسات التعليمية، وتكوين جميع المدرسين بها ،

مهما كانت موادهم التدريسية لتعلمها واستيعابها وإدراكها وإتقانها من أجل المساهمة في عملية التلقي والإنتاج والاستهلاك لكل تأليف أمازيغي. دون أن ننسى إدخال هذه الكتابة في الحواسيب الشخصية لكي يستعملها جميع المثقفين والمتعلمين في خطاباتهم التواصلية.

أضف إلى ذلك أن هذه الكتابة لايمكن لها أن تفرض نفسها إلا عن طريق تحقيق تراكم ثقافي في مجال الإنتاج والإبداع، واستعمالها في توسيم الاختراعات التقنية والعلمية ، وتشغيلها في إصدار المعاجم التقنية والقواميس الخاصة. ولابد أيضا من نشاط جمعوي مكثف لتحفيز الأمازيغيين على استخدام خط تيفيناغ في أغراضهم المختلفة، وقضاء حوائجهم، والتعريف به على غرار (قافلة تيفيناغ) ، وضرورة انفتاح المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية على جميع الفاعلين الأمازيغيين، بدون استثناء أو إقصاء بغية إثراء الكتابة الأمازيغية وتطويرها وإغنائها، وتشجيع إبداعاتها وإلا ستقبر الأمازيغية وكتابتها في المستقبل.

حروف الأبجدية الأمازيغية (تيفيناغ)
و ما يقابلها من الحروف العربية.

ع	ⵄ	أ	ⴰ
غ	ⵖ	ب	ⴱ
ڨ	ⵇ	ت	ⵜ
ك	ⴽ	ج	ⵊ
ل	ⵍ	ح	ⵃ
م	ⵎ	خ	ⵅ
ن	ⵏ	د	ⴷ
هـ	ⵀ	ر	ⵔ
و	ⵡ	ز	ⵣ
ي	ⵢ	س	ⵙ
ڨ	ⴳ	ش	ⵛ
(فتحة)	ⴻ	ص	ⵚ
(ضمّة)	ⵓ	ض	ⴹ
(كسرة)	ⵉ	ط	ⵟ

ترتيب حروف خط التيفيناغ MzabNet
حسب مفاتيح الكومبيوتر.

ⴰ	a	ⵍ	l
ⴱ	b	ⵎ	m
ⵛ	c	ⵏ	n
ⴷ	d	ⵓ	o
ⴻ	e	ⵇ	q
ⴼ	f	ⵔ	r
ⴳ	g	ⵙ	s
ⵃ	h	ⵜ	t
ⵀ	H	ⵄ	u
ⵉ	i	ⵡ	w
ⵊ	j	ⵅ	x
ⴽ	k	ⵖ	y
ⵢ	Y	ⵣ	z
ⴹ	D	ⵟ	T

إعداد : الشبكة المزابية . تاراجت تومزابت
2955 أمازيغي / 1425 هجري .
http://www.mzabnet.org

ⵜⴻⵊⵊⵉⵜ : ⵜⴰⵔⴰⵊⵜ ⵜⵓⵎⵣⴰⴱⵜ
ⴰⵙⵓⴳⴳⴰⵙ : 2955 ⴰⵎⴰⵣⵉⵖ .
1425 ⵏⴻⵍⵀⵉⵊⵔⴻⵜ .

الفصل السابع:

تاريـــخ المقاومـــة الأمازيغيـــة

يمكن الحديث عن ثلاث مراحل من مراحل المقاومة الأمازيغية: مرحلة المقاومة إبان المرحلة اللاتينية، وقد ارتبطت بمواجهة الرومان، والوندال، والبيزنطيين ؛ ومرحلة المقاومة إبان العصر الوسيط حينما واجه الأمازيغ الفاتحين المسلمين في فترتي كسيلة والكاهنة ؛ والمقاومة الحديثة مع مجموعة من الأبطال الأمازيغيين الأشاوس، أمثال: محمد الشريف أمزيان، وعبد الكريم الخطابي، وعسو أوبسلام، وحمو وموحا الزياني...وقد استهدفت هذه المقاومة طرد المستعمر الأجنبي من البلاد.

هذا، وقد اتخذت المقاومة الأمازيغية، عبر تطورها التاريخي، عدة صيغ وإستراتيجيات.فهناك المقاومة العسكرية التي قادها كثير من الأبطال الأمازيغ، أمثال: ماسينيسا، وصفاقس، ويوغرطة، وتكفاريناس، وجيلدون، وبطليموس، وغيرهم...وثمة مقاومة دينية اتبعها الدوناتيون، والقديس أوغسطين. وهناك مقاومة اجتماعية خاضها الدوارون. وثمة كذلك مقاومة ثقافية اتخذها يوبا الثاني مسلكا له لتنوير الشعب الأمازيغي وتوعيته وتثقفيه للحاق بركب المدنية العالمية ، وخدمة الحضارة الكونية.

إذاً، فتاريخ الأمازيغ هو تاريخ المقاومة والصمود والكفاح، ومواجهة العداة والبغاة والصليبيين، والنضال من أجل دحر كل أنواع الذل والمهانة والاستعباد، ومواجهة العداة الألداء، والقضاء على الغزاة ، والاستماتة من أجل الحرية والكرامة . وفي الوقت نفسه، يعد تاريخ الأمازيغ تاريخ الكتابة و البناء والعمران والملاحة البحرية، وإرساء حضارة الفكر والإبداع والعطاء في مجالات متنوعة وميادين شتى .

المبحث الأول: المقاومــة الأمازيغية قديــما

اتخذت المقاومة الأمازيغية قديما عدة صور . فقد كانت مقاومة عسكرية، ومقاومة دينية، ومقاومة اجتماعية، ومقاومة ثقافية. وسنحاول ، قدر الإمكان، تفصيل ذلك على الوجه الآتي:

المطلب الأول: المقاومـــة العسكريــــة

ثمة مجموعة من الشخصيات الأمازيغية المقاومة في المرحلة التاريخية القديمة . وقد قامت بدور هام في بناء الممالك الأمازيغية على جميع الأصعدة والمستويات، أو قد ساهمت، بشكل من الأشكال، في الدفاع عن تامازغا التي كانت تمتد من حدود مصر شرقا إلى بحر الظلمات غربا، ومن الأندلس شمالا إلى مالي والنيجر وبوركينافاسو جنوبا. وكان الهدف من ذلك هو الحفاظ على سيادتها ووحدتها وهيبتها، بعد أن كثر التكالب الاستعماري على هذه المنطقة بغية السيطرة عليها لاستغلالها ماليا وماديا، ونهب ثرواتها وخيراتها، وطمس معالمها الحضارية والثقافية والاجتماعية.

الفرع الأول: يارباس أول حاكم أمازيغي

يعد (**يارباس)** من الملوك الأمازيغيين الأوائل الذين استقروا في شمال أفريقيا إلى جانب الملك يوفاس . وكان ذلك في أواخر القرن الثاني قبل

الميلاد. وعلى الرغم مما قيل عن شخصية يارباس من قصص رومانسية، وحكايات أسطورية ، فإنه أول ملك أمازيغي أعطى الضوء الأخضر للأجانب لكي يستقروا بين الأمازيغ، كما فعل مع الفينيقيين القرطاجنيين الذين كانت تحكمهم الأميرة إليسا.
وقد مكن انفتاح الشعب البربري على الحضارة الفينيقية، والانصهار في المجتمع القرطاجني، أن يبني حضارته الخاصة به، و يفيد الآخرين، ويستفيد منهم. وقد استطاع ، بفضل هذا التعايش والاندماج، أن يستوعب جميع التناقضات، ويتمثل إيجابيات الحضارات المجاورة الشرقية والغربية الموجودة في حوض البحر الأبيض المتوسط، مثل:الحضارة اليونانية، والحضارة الفينيقية، والحضارة القرطاجنية، والحضارة الفرعونية، والحضارة الرومانية.

الفرع الثاني: مقاومة ماظوس للفينيقيين

تعتبر مقاومة (**ماظوس**) من المقاومات الأولى التي استهدفت التصدي للأجانب في شمال أفريقيا. إذ واجه ماظوس السلطة القرطاجنية التي أهانت الأمازيغيين وظلمتهم؛ مما سبب هذا في اشتعال مجموعة من الثورات الشعبية ذات صبغة طبقية وعسكرية، كانت لها مخلفات دامية شديدة.
وقد كانت نهاية مقاومة ماظوس بداية لاشتعال المقاومة الأمازيغية العارمة في شمال أفريقيا ، حيث انتقل أوارها من ليبيا وتونس، إلى نوميديا (الجزائر)، ثم إلى موريطانيا (المغرب) ، لتفتح هذه المقاومة جبهات عدة ضد غزاة معتدين متنوعين.
ونستشف من هذا كله أن ماظوس من الزعماء الأمازيغ الأوائل الذين أشعلوا نار الثورة ضد التواجد القرطاجني في بلاد تامازغا. فقد ألحق هذا المناضل الذي استمات كثيرا من أجل حرية وطنه، وسيادة مجتمعه، أضرارا خطيرة بالحكومة البونيقية التي جعلها فريسة تستسيغها روما بسهولة ويسر، وتكسر شوكتها بالتدريج، وتفرض عليها غرامات مالية مجحفة، وتعيقها بشروط عويصة التنفيذ بغية استغلالها وإذلالها ، وتحطيم أنفتها ، وتلويث كرامتها وسمعتها.

وقد لاحظنا أيضا أن ماطوس لم يقد حملته الشعبية، ويؤجج انتفاضته العسكرية، إلا بعد تسريح قرطاج للجنود البرابرة وقوادهم، حيث رفضت دفع أجورهم، وتأمين حياتهم اجتماعيا . على الرغم مما قدموه من خدمات جلى في الحروب البونيقية الثلاث ضد روما.
وأمام تعنت قرطاج في سياستها العنصرية، واحتقارها للأهالي ، اضطر ماطوس إلى إعلان الحرب على الحكومة البونيقية، و خوض غمار المعارك والمناوشات ضدها لأكثر من ثلاث سنوات. ولم تنته مقاومة ماطوس إلا بتحالف قرطاج مع روما ، والاستعانة ببعض الأهالي الخونة الذين انساقوا وراء وعود قرطاجنية مغرية، وتسويفات معسولة. فانتهت المقاومة التي أودت بالكثير من الأرواح بصلب ماطوس، وقمع انتفاضته الطبقية التي ولدت مقاومات أخرى أكثر شراسة وضراوة، يقودها زعماء أمازيغيون أشاوس ضد قرطاجة من جهة أولى، وضد روما من جهة ثانية، وضد الغزاة الوندال والبيزنطيين من جهة ثالثة، وقد وقفت كذلك ضد الفتوحات العربية الإسلامية من جهة رابعة، و ضد التكالب الإمپريالي الحديث والمعاصر من جهة خامسة.

الفرع الثالث: شيشنيــق والتقويــم الأمازيغــي

يعد شيشنيق أول ملك ليبي أمازيغي يترقى في عدة مناصب عسكرية ودينية وسياسية في مصر الفرعونية. وقد تولى حكم مصر بعد وفاة الفرعون **بسوسنس الثاني** ، فأسس دولة مصرية أمازيغية قوية، ارتبط بها التقويم الأمازيغي إلى يومنا هذا. وبعد ذلك، غزا شيشنيق جميع ربوع مصر، إلى أن بلغ الفيوم وتخوم السودان، وأعلن عن تأسيس الدولة الفرعونية الثانية والعشرين التي دامت قرنين من الزمن. ومن جهة أخرى، فقد اعتمدت سياسته على البناء العمراني، والتشييد الحضاري، وتنظيم الجيش، والتوسع في جميع الاتجاهات، إلى أن وصل إلى مدن الشام والأردن وفلسطين، واحتلها بجيشه المنظم، واستولى أيضا على ممتلكات اليهود وكنز سليمان.
و في فترة حكمه، عم الاستقرار السياسي، والرخاء الاجتماعي، وانتعش الاقتصاد ازدهارا ورواجا، وأرجع شيشنيق الثقة إلى نفوس الأمازيغيين

الليبيين؛ بما حققه من انتصارات حربية كبرى على الفراعنة المصريين والعبرانيين في أورشليم، وما تركه من إنجازات حضارية ضخمة، بقيت منقوشة، إلى يومنا هذا، في صفحات الأسر الفرعونية المتعاقبة، وظلت مدونة في سجل التاريخ الليبي القديم.

الفرع الرابع: يوغرطة وبداية المقاومة ضد الرومان

بعد أن صفى يوغرطة حساباته السياسية مع أبناء عمه ماسينيسا، وحّد القبائل الأمازيغية، ونظم جيشا عتيدا، وقام بإصلاحات اقتصادية واجتماعية وعسكرية. وهذا كله من أجل توسيع نفوذ مملكته قصد الاستعداد لمجابهة القوات الرومانية، والحط من أسوار خط الليمس المنيعة. لكنه وقع أسيرا في أيدي الرومان بسبب خيانة بوكوس الأول ويوبا الثاني. وبعد مقتل يوغرطة خيانة وغدرا ، وضعت الحكومة الرومانية نهاية لكل التطلعات الأمازيغية في تأسيس دولة تامازغا.
ومن ثم، يلاحظ المتتبعون للمقاومة الأمازيغية أن حركات القرن الأول التحررية، ابتداء من ماسينيسا ويوغرطة وتاكفاريناس، كانت مقاومة ضد الغزو الروماني، واغتصاب الأرض. لكن مع بداية القرن الثاني الميلادي، اتخذت الثورات الأمازيغية طابعا اجتماعيا، بعد أن تفاقمت الأزمات الاقتصادية والاجتماعية في الوسط الأمازيغي بسبب بطش الحكام الرومانيين، واستيلائهم المطلق على كل ثروات الأمازيغيين، وطردهم خارج خط الليمس، أو ما يسمى بالسد الأمني.

الفرع الخامس: ثـورة فيرموس العسكريـة

كانت ثورة فيرموس ثورة تحررية اجتماعية ودينية وعسكرية. فقد استهدفت توحيد ساكنة تامازغا ،وتحرير العبيد الأرقاء، والعمل على استقلال الأمازيغيين، وتخليصهم من قبضة الرومان بمقاومتهم مقاومة شديدة، ومجابهة جيشهم المتوحش الذي حول نوميديا إلى خزان كبير للحبوب، يؤمن الوجود الروماني، ويحافظ على كينونته، ويساهم في بقاء الإمبراطورية الرومانية. في حين، كان الأمازيغيون محرومين من

حقوقهم وممتلكاتهم وخيراتهم وأراضيهم المشروعة، يعانون من الاضطهاد والقمع والظلم والبطش. هذا ما دفعهم للتخلي عن الديانة المسيحية الرسمية التي استلبتهم وجعلتهم حفاة عراة، وجوعتهم وتركتهم فقراء أذلاء، يستعطفون الرومان المتوحشين في بلادهم الأصلية تامازغا. ومن هنا، فقد كانت ثورة فيرموس ثورة شرعية بامتياز، ذات أبعاد دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية وعسكرية، استطاعت أن تكبد القوات الرومانية خسائر فادحة لمدة سنتين . واستطاعت كذلك أن تسيطر على العاصمة شرشال التابعة للحكومة الرومانية. لكن الخيانة الأخوية هي السبب في اندحار مقاومة فيرموس نهائيا، وفشلها في استكمال مسلسل التوحيد من أجل استقلال البلاد، بطرد الرومان المتوحشين، و التنكيل بحلفائهم الخونة.

ونفهم، مما سبق ذكره، أن الخيانة الأمازيغية كانت سببا في خضوع البرابرة للدول الغازية المستعمرة . كما كانت من العوامل الأساسية التي ساهمت في فشل الكثير من الحركات النضالية المقاومة داخل شمال أفريقيا من أجل نيل الحرية ، وتحقيق الاستقلال الحقيقي.

الفرع السادس: مقاومـــة جيلـــدون

انتقل جيلدون من سياسة التحالف مع الأعداء إلى سياسة التصدي والمقاومة، بعد أن عرف هذا المناضل نوايا الرومان الخبيثة ، ورغبتهم الأكيدة في تطويق المقاومة الأمازيغية قصد التنكيل بها عسكريا، والقضاء على كل بوادر التمرد، وإجهاض كل أسباب العصيان والانشقاق في نوميديا، بسن سياسة فرق تسد، وضرب الأمازيغ بإخوانهم الأمازيغ.
والغريب في تاريخ الأمازيغ، في شمال أفريقيا، انتشار ظاهرة الخيانة بين صفوف الساكنة المحلية، والقواد العسكريين، والزعماء الحاكمين، كما هو حال مجموعة من الشخصيات البربرية ، أمثال: جيلدون، وبوگوس، ومقزيل، وماسينيسا... إلا أن هناك من عاد إلى وعيه بسرعة، ليشعل نار الحرب ضد الغزاة العداة. وهناك من استمر في غيه خوفا على مصالحه، وخشية من ضياع امتيازاته المعنوية والمادية.

الفرع السابع: مقاومـــة يوبـــا الأول

يعد **يوبا الأول** آخر ملك نوميدي استقل بمملكته الأمازيغية. وهو أيضا من أهم الملوك الأمازيغ الذين أنجبتهم نوميديا. وكان غيورا على وطنه الأم، إذ كان هدفه هو توحيد ممالك مازولة ومازيلة تحت راية واحدة. ولم يتحالف يوبا الأول مع الرومان مثل غيره من الملوك من بني جلدته، وأخص بالذكر: ماسينيسا ، و يوبا الثاني، وبوكود الثاني، وبوكوس الثاني. فلم يكن تهمه مصالحه الشخصية، أو توسيع سلطاته السياسية، أو الحصول على الجوائز والامتيازات الرومانية على حساب كرامة الشعب الأمازيغي، ومبادئه السامية العليا ، بل كان مقاوما شهما، ومناضلا عسكريا نبيلا، مثل: صيفاقس، وتاكفاريناس، ويوغرطة. فقد كان همه الوحيد هو بناء تمازغا وتوحيدها ، وإسعاد ساكنتها، مع خوض حروب السيادة ضد الأعداء الرومان الذين كانوا يتربصون به من أجل الإيقاع بحكمه رغبة في السيطرة على نوميديا ، وتوزيع ثرواتها وممتلكاتها على أبناء إيطاليا، ورعاع أيبيريا.
ومن ثم، فقد استرخص يوبا الأول حياته في سبيل الحفاظ على الاستقلال، وتأمين حرية الوطن، والدفاع عن استقرار الشعب النوميدي . لذلك، كان يُعد كل ما استطاع من قوة مادية وبشرية من أجل مواجهة أباطرة الأطماع، ودحر قياصرة الاستغلال، والوقوف في وجه الجيوش الرومانية الجبارة التي اعتمدت في توسعاتها على بعض الملوك الأمازيغ الخونة، كبوكود الثاني وبوكوس الثاني.

الفرع الثامن: بطليموس والمقاومة المغربية

كان **بطليموس** أكثر ثورة وجرأة من أبيه يوبا الثاني،عندما اتخذ المقاومة العسكرية سبيلا لمجابهة الرومان بدل الاعتماد على المقاربة الثقافية في تنوير رعايا الموريتانيتين: القيصرية والطنجية. وبذلك، كان بطليموس نموذجا للمقاومة الأمازيغية المغربية الذي خدم شعبه بوفاء وإخلاص ، فحارب الرومان بقوة وشراسة دفاعا عن الهوية الأمازيغية، ورغبة في توحيد القبائل الإفريقية الليبية داخل نطاق مملكة أمازيغية موحدة. علاوة

على ذلك، فقد حقق بطليموس لشعبه الرخاء المالي والاقتصادي من جهة، والنهضة الفكرية والعمرانية من جهة ثانية. مما دفع الإمبراطور الروماني كاليگولا إلى الغدر به ، والانتقام منه شر انتقام. لكن هذا الإعدام قد ساهم في اندلاع ثورات شعبية وانتفاضات أمازيغية أخرى كان هدفها الوحيد هو طرد الرومان من تامازغا.

الفرع التاسع: ثورة إديمون واستكمال المقاومة المغربية

لم تكن ثورة إيديمون سوى ثورة أمازيغية شعبية جماهيرية ، تحالفت فيها جميع القوى العسكرية والمدنية المغربية. وشاركت فيها القبائل الأمازيغية المتباعدة والمتقاربة للوقوف في وجه الوحش الروماني الذي استهدف رومنة الأمازيغ وإذلالهم، ونهب خيراتهم، وطمس معالم هويتهم الحقيقية، وقتل كل من يحاول توحيد ساكنة تامازغا، وتوعيتهم سياسيا واجتماعيا وثقافيا ودينيا.

ومن هنا، فقد كانت ثورة إيديمون درسا في المقاومة والتحرر والتخلص من سيطرة الرومان، والانتقام من الذين يحاولون المس بملوك الأمازيغ، وإهانتهم على مرأى شعوبهم. وبالتالي، فقد كانت مقاومة إيديمون، في الحقيقة، درسا للأمازيغ لكي يتشبثوا بأرضهم وهويتهم وثقافتهم وحضارتهم ووحدتهم، ثم الدفاع المستميت عن الشرف الأمازيغي، والوقوف ضد الذل والعار والاستعمار بكل قسوة وشراسة.

الفرع العاشر: مقاومـــة سلابــوس

مازال القائد الأمازيغي الموري **سالابوس** ، إلى حد الآن، شخصية مبهمة وغامضة، لم ترصد تقاسيمها النضالية بشكل مفصل ومطول . وهي في حاجة ماسة إلى أبحاث ودراسات وتنقيب وثائقي وحفر أركيولوجي لمعرفة **سالابوس،** وتحديد طبيعة شخصيته ، ومعرفة تطور مقاومته العسكرية، ورصد نتائجها المباشرة وغير المباشرة. وما وصلنا من المعلومات كلها مأخوذة من الهيسطوغرافيا(التاريخ) الرومانية القديمة. وهي بدورها في حاجة إلى فحص وغربلة وتقويم علمي نزيه،

بدون تحيز أو تمايل مغرض وشنيع، تستلزمه الأهواء الإيديولوجية ، والانتماءات العرقية، والصراعات الحضارية.
وعلى الرغم من قلة الوثائق، واستعصاء الذاكرة التاريخية عن الاسترسال والتداعي والانسياب في تحرير الأحداث التي عاشها القائد الموري، فإن **سالابوس** يبقى مقاوما أمازيغيا مناضلا بكل إخلاص ونبل وشهامة ،كان يتحرك في الجنوب المغربي خارج خط الليمس . وكان هدفه الوحيد هو محاصرة الرومان، وتطويقهم في حصونهم ومعاقلهم من أجل الضغط عليهم عسكريا، وإخراجهم من مراكزهم لكي يوجه إليهم ضربات قاضية، وطعنات موجعة. وعندما يشتد رد الفعل الروماني، يختار **سالابوس** الحلول الإجرائية الواقعية، مثل: الفرار إلى الصحراء، أو الاختباء في جبال الأطلس الوعرة، حيث يعجز الجيش الروماني عن التغلغل في أرجائه نظرا لصعوبة التضاريس، وقسوة المناخ، ووعورة المسالك.

الفرع الحاي عشر: أنطلاس ومقاومة البيزنطيين

يمثل **أنطالاس** المقاومة العسكرية الأمازيغية في عهد البيزنطيين خير تمثيل؛ لأنه استطاع أن ينتصر على قواد الإمبراطورية البيزنطية، ويسحقها بكل قوة وشراسة في عدة معارك حامية الوطيس. وقد تأثر ، في مقاومته للبيزنطيين المتحصنين في المعاقل والثكنات العتيدة، بالطرائق العسكرية والسيناريوهات الحربية التي انتهجها أجداده، أمثال: يوغرطة، وتاكفاريناس، وماسينيسا ... ولم تخمد ثورته العسكرية إلا بسبب الخيانة البربرية، وشراء البيزنطيين لذمم رؤساء القبائل بغية التحالف معهم ضد الثوار المنشقين عن الحكم البيزنطي، وتطويق المقاومة الأمازيغية، ومحاصرة زعمائها أينما حلوا وارتحلوا.
وعلى الرغم من ذلك، فقد اشتدت المقاومة الأمازيغية ضراوة واشتعالا في الكثير من مناطق شمال أفريقيا؛ مما جعل البيزنطيين لا ينعمون بالاستقرار والأمن في حصونهم ومعاقلهم ، وقضوا قرنا كاملا في الدفاع عن نفوذهم وأطماعهم، إلى أن جاء الإسلام الذي وضع حدا نهائيا للوجود البيزنطي في شمال أفريقيا، فدخل الأمازيغ في دين جديد ، وجدوا فيه،

لأول مرة، ما يصبون إليه من عدالة ،وحرية ، وعفو، وكرامة إنسانية، وتسامح كبير.

الفرع الثاني عشر: يوداس والمقاومة الأوراسية

كانت مقاومة الأوراسيين، في منطقة نوميديا ، مقاومة شرسة قائمة على التحصين العتيد، والتمركز في الجبال الوعرة، وانتهاج حرب العصابات، وتمثل سياسة الكر والفر إستراتيجية عسكرية بغية استدراج القوات البيزنطية للتنكيل بها.
ويعد يوداس من أهم القادة الأوراسيين الذين دافعوا عن جبال الأوراس العتيدة والمنيعة ، فقد واجه القائد البيزنطي سولومون، وألحق به هزائم متوالية، إلى أن ضعفت شوكة يوداس، فالتجأ إلى الغرب، وبالضبط إلى موريتانيا ، استعدادا للمواجهة الشرسة ، في منتصف القرن السادس الميلادي، فانطلق بجيشه العتيد في أرجاء نوميديا ، فكبد القوات البيزنطية خسائر مادية وبشرية ، بعد أن تحالف مع مجموعة من القبائل المورية الأخرى، وبالخصوص قبيلة أنطالاس وقبيلة بيرنا. فضلا عن قبائل أخرى توجد في مواقع جغرافية أخرى، ساهمت في إضعاف الجيش البيزنطي، وهد أركانه.
لكن الانتصار الحقيقي على القوات البيزنطية لم يتحقق إلا على أيدي المسلمين إبان الفتوحات الإسلامية في شمال أفريقية؛ تلك الفتوحات التي أعادت للوجود الأمازيغي كينونته الحقيقية بفضل اعتناق الإسلام ، والتشبث بمكارم الأخلاق المحمدية.

المطلب الثاني: المقاومـــة الدينيــة

لم تقتصر المقاومة الأمازيغية على ماهو عسكري فحسب، بل اتخذت طبيعة دينية واجتماعية وثقافية.

الفرع الأول: الدونـاتية وبدايــة المقاومة الدينية

يعد دوناتوس الزعيم الديني الأمازيغي الذي قد قاد الحركة الدوناتية في بلاد تامازغا ، على أساس أنها حركة ثورية اجتماعية مناهضة للاحتلال الروماني، ورافضة لسياسة الرومنة ونزعة التمسيح.
وقد استهدف دوناتوس مقاومة القوات الرومانية ورجال الدين الكاثوليك الذين كانوا يباركون الاحتلال جملة وتفصيلا، ويعترفون بشرعية الاستغلال واسترقاق الساكنة المحلية، ويناصرون الأرستقراطيين الذين كانوا يحتكرون ثروات الشعب الأمازيغي. وفي الوقت نفسه، يعرضونه للجوع والفقر والاضطهاد.
وعليه، فالحركة الدوناتية حركة ثورية اجتماعية اشتراكية، وثورة راديكالية جماهيرية بامتياز، تؤمن بفعل التغيير الميداني، وترفض الاستلاب الديني المسيحي، وتحارب كل أشكال الرومنة والاستغلال الفاحش.

الفرع الثاني: أوغسيطين والمقاومة الدينية المتحالفة مع الكنسية الرسمية

كانت مقاومة أوغسطين ذات طبيعة دينية شأن دوناتوس. وكانت كذلك ذات طبيعة ثقافية على غرار مقاومة يوبا الثاني. وعلى الرغم من موقفه السلبي من المقاومة الأمازيغية إبان الاحتلال الروماني، إلا أنه استطاع أن يغير موقفه الديني ليكون إيجابيا لصالح الأمازيغيين، عندما قاوم الوندال المتوحشين دفاعا عن الجزائر. وقد رفض أوغسطين استقبال المتغطرسين الغزاة الذين لا هدف لهم سوى سفك الدماء، ونهب ثروات الشعوب المستسلمة والمغلوبة على أمرها.
ومن أهم تجليات مقاومته الثقافية أنه المؤسس الحقيقي للأوطبيوغرافيا(فن السيرة الذاتية) ، ومجدد الفكر المسيحي الكاثوليكي، وصاحب نظريات فلسفية ولاهوتية عدة، تركت تأثيرها في الكثير من المفكرين والفلاسفة وعلماء اللاهوت قديما وحديثا.
وعلى أي، فقد كانت لأفكار أوغسطين، في الحقيقة، تأثير كبير في المثقفين والمفكرين في العصور الوسطى، وفي البروتستانتية الدينية،

وكذلك في المذهب الكنسي الجانسيني. كما كان لها تأثير فعال في التيارات الحديثة والمعاصرة التي تدعو إلى الحرية والطبيعة الإنسانية.

المطلب الثالث: المقاومـــة الاجتماعية

لم تكتف المقاومة الأمازيغية في شمال أفريقيا بطابعها العسكري والديني والثقافي فقط، بل اتخذت أيضا طابعا اجتماعيا تحرريا، كما هو حال ثورة الدوارين المقاومة.

الفرع الأول: حركة الدوارين والمقاومة الاجتماعية

تشكل حركة الدوارين، في تاريخ المقاومة الأمازيغية، إبان الاحتلال الروماني، ثورة اجتماعية پروليتارية بكل مسمياتها، وذات ملامح ثورية جدلية راديكالية، وذات سمات اشتراكية قائمة على التغيير والممارسة الفعلية.
فقد كانت هذه الحركة الثورية ترفض كل تفاوت اجتماعي طبقي، وتثور على الميز العنصري، وتدين الاستغلال الاقتصادي الفاحش الذي يمارس في حق السكان الأصليين الذين كانوا يستوطنون بلاد تامازغا.
وقد انطلقت هذه الحركة الثورية الاجتماعية من الفلسفة الدوناتية التي كانت تحرض على الثورة العارمة، والانتفاض في وجه المعمرين اللاتين، و تطالبهم بمغادرة البلاد. و تدعو إلى طرد الملاكين الكبار وأصحاب النفوذ ورجال الكنيسة الإقطاعيين والمرابين؛ أولئك الذين استنزفوا خيرات الساكنة الأمازيغية، ونهبوا كل ممتلكاتهم وخيراتهم .
وعليه، فحركة الدوارين هي حركة الأمازيغيين المحرومين من حقوقهم، والذين كانوا يناضلون من أجل طرد المحتل الروماني الذي أذلهم ضيما وإهانة وعارا، فاستعبدهم بالقوة والبطش والتنكيل.

المطلب الرابع: يوبـــا الثاني والمقـــاومـــة الثقافيـــة

تعد إنجازات يوبا الثاني بمثابة ثورة ثقافية، أو مقاومة فكرية لإثبات القدرات الإبداعية لدى الإنسان الأمازيغي، في مواجهات التحديات الكبرى للحضارتين اليونانية والرومانية. لذلك، كان هدفه الحقيقي هو تنوير الشعب الأمازيغي وتثقيفه وتخليصه من الجهل والتخلف، بدعوته إلى الانفتاح على باقي الحضارات الإنسانية الأخرى، وتمثل العلم سبيلا لتحقيق الذات والمجد والعلا، وتوطيد أركان الدولة المستقلة من خلال الاهتمام بالآداب، والفنون، والعلوم. لذلك، كانت موريتانيا القيصرية وموريتانيا الطنجية شاهدتين على معالم حضارة ثقافية كبرى على جميع الأصعدة والمستويات.

المبحث الثاني: المقاومة في العصر الوسيط

اتخذت المقاومة الأمازيغية ، في العصر الوسيط ، منحى آخر؛ لأنها لم تكن في مواجهة الرومان أو الوندال أو البيزنطيين، بل كانت في مواجهة الفاتحين من العرب والمسلمين.

المطلب الأول: كسيــلا وعقبة بن نافع

كان كسيلا، أو أكسيل، مقاوما أمازيغيا شهما وعنيدا، كرس حياته لخدمة قبيلته أوربة، والدفاع عن تامازغا، ومناصرة الإنسان البربري من أجل تحقيق حريته وكرامته وإنسانيته. لذا ، كان من السباقين إلى إعلان إسلامه على غرار ساكنة قبيلته أوربة إبان حملة أبي المهاجر دينار الذي عامل كسيلا معاملة حسنة ولينة ، تنم عن دماثة أخلاق الإسلام، وحسن سلوك بعض قادة الفاتحين المسلمين.

بيد أن عقبة بن نافع لم يحسن التصرف مع كسيلا، فكان يحتقره ويهينه أمام قومه ؛ مما أدى بالقائد البربري كسيلا للثورة على عقبة بن نافع، وقتله قرب نهر الزاب بالجزائر ، والدخول إلى قيروان بكل سهولة ويسر من أجل طرد قيس بن زهير البلوي مع قواته إلى طرابلس شرقا. لكن عبد الملك بن مروان قد وضع حدا لمقاومته على يد قيس بن زهير البلوي الذي واصل الفتوحات في المغرب العربي، إلى أن تحقق الفتح النهائي مع

حسان بن النعمان الذي قضى على الكاهنة الأوراسية ديهيا؛ وكذلك مع موسى بن نصير الذي فتح الأندلس على يد طارق بن زياد البربري سنة92هـ.

المطلب الثاني: الكاهنة والمقاومة المضادة

تعد الكاهنة نموذجا للمرأة البربرية المقاومة التي وقفت في وجه الفتوحات العربية الإسلامية. وكان هدفها هو الدفاع عن تامازغا ودول شمال أفريقيا التي كان يعيش فيها الأمازيغيون الأحرار. ولم يستطع حسان بن النعمان التغلغل في نوميديا بسبب شراسة مقاومة الكاهنة التي هزمت حسان شر هزيمة، وكانت بمثابة انكسار وخيم في تاريخ الدولة الأموية.
بيد أن سياسة الأرض المحروقة التي انتهجتها الكاهنة كانت سياسة خاطئة من جميع الجوانب. فقد كانت الكاهنة تسعى من ورائها إلى منع العرب الفاتحين من احتلال أفريقيا اعتقادا منها أن المسلمين لم يقدموا إليها إلا من أجل جمع الأموال والغنائم ، وتحصيل السبايا ، والبحث عن المعدن النفيس بدل أن تفهم المغزى الحقيقي من غزوات حسان بن النعمان التي كانت تهدف، في الصميم، إلى تحقيق الغرض الأسمى ألا وهو نشر الإسلام، وحث الأهالي على الدخول في الدين الجديد قصد إنقاذهم من براثن الجهل الدامس، وإخراجهم من الوثنية الظلماء.
ومن هنا، فقد أدت سياسة الأرض المحروقة بالكاهنة إلى مالا يحمد عقباه، حيث عجلت بطمس معالم حكمها، وسقوط مملكتها ، وقتلها على يد حسان بن النعمان، بعد معركة حامية الوطيس .
وعليه، فقد أدى التخريب الذي ارتضته الكاهنة في حق طبيعة بلاد تامازغا إلى نهاية وجودها، و القضاء على آخر مقاومة بربرية عنيدة في تامازغا ، لتكون الأوضاع في شمال أفريقية، بعد فترة قيادة حسان بن النعمان لشؤون المغرب الأمازيغي، سهلة وميسرة . وتكون الظروف التاريخية مهيأة ومعبدة أمام القائد العربي المسلم موسى بن نصير لفتح المغرب والأندلس على حد سواء.

المطلب الثالث: طارق بن زياد وفتح الأندلس

يعد طارق بن زياد من أهم أبطال المقاومة الأمازيغية في العصر العربي الوسيط . ويعتبر أيضا من أهم الفاتحين المسلمين الذين أظهروا شجاعة كبيرة وبلاء عظيما في التحدي والصمود ؛ مما جعله يفتح الأندلس بإيمان صادق، بعد انتصاره على لذريق ملك القوط سنة 92هـ، بجيش بربري تعداده اثنا عشر ألفا. واستطاع التوغل في الأندلس بسهولة لنشر الإسلام بين أهاليها بغية تثبيت العقيدة الربانية السمحة القائمة على اليسر والتعايش والتقوى، وبناء الحضارة الإنسانية على أسس المحبة والتعايش والتسامح والتفاهم.

المبحث الثالث: أبطال المقاومة الأمازيغية في العصر الحديث

في العصر الحديث، يمكن الحديث عن مجموعة من الأبطال المقاومين الذين حاربوا الاستعمار الغربي من بينهم: الشريف أمزيان، ومحمد بن عبد الكريم الخطابي، وموحا وحمو الزياني ، وعسو أوبسلام، وغيرهم...

المطلب الأول: مقاومة الشريف أمزيان

يعد المجاهد محمد الشريف أمزيان من أهم أبطال المقاومة الأمازيغية المغربية، فقد كرس كل جهوده لمحاربة القوات الإسپانية الغازية التي استهدفت نهب ثروات منطقة الريف ، ولاسيما معدن الحديد منها، بغية تحريك دواليب اقتصادها، وتطوير صناعتها المدنية والعسكرية. وقد كبد الشريف القوات الغازية **عشرة آلاف قتيل**، حسب الإحصائيات الإسبانية الرسمية. ناهيك عن الخسائر المادية والمالية ، ومقتل بعض الجنرالات، والجنرال بنتو والجنرال ڤكاريو، دون ذكر الكثير من القتلى العسكريين ذوي الرتب السامية في الجيش الإسپاني.

ومن أهم نتائج مقاومة الشريف أمزيان طرد بوحمارة من منطقة الريف أولا، ومن سلوان ثانيا، والمساهمة في التعجيل للقضاء عليه نهائيا من قبل الجيش الحكومي الحفيظي، على يد القائد الناجم بن مسعود بن مبارك الأخصاصي القائد المشهور ، وتأخير تغلغل الإسپان في منطقة الريف لمدة ثلاث سنوات من سنة 1909م إلى سنة 1912م.

المطلب الثاني: مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي

إذا استقرينا تاريخ الأمازيغ قديما وحديثا ، فسيكون محمد بن عبد الكريم الخطابي على رأس قائمة الأبطال الأشاوس . ويعد أيضا من أعظم أبطال المقاومة الأمازيغية في الذاكرة التاريخية الأمازيغية إلى يومنا هذا.

هذا، فقد كرس البطل كل جهوده لتنمية بلاده على جميع الأصعدة والمستويات،وخدمة منطقة الريف على سبيل الخصوص، مدافعا عن الكينونة الأمازيغية ، ومتشبثا بالهوية البربرية، ومنافحا عن التراث الأمازيغي وعادات الأمازيغيين وتقاليدهم وأعرافهم. و لم يفرط في الدين الإسلامي قيد أنملة، بل دافع عنه دفاعا مستميتا . وقد طبق الشريعة الإسلامية تطبيقا حقيقيا وصحيحا، عندما بادر إلى تأسيس دولة إسلامية شرعية، تؤمن بالشورى والحريات الخاصة والعامة، وتستهدي بالقرآن والسنة معا، وتأخذ بزمام العدل والإنصاف، وتطبيق اقتصاد الزكاة ، وإعلان إمارة المسلمين في الجهاد والسلم.

ويمكن القول أيضا بأن محمد بن عبد الكريم هو الذي نوّر تاريخ المغرب الحديث والمعاصر ببطولاته الخارقة وملاحمه النيرة، بعد أن كان المغرب يعيش في حالة الفوضى والتسيب والتخلف بسبب الضغوطات الاقتصادية والعسكرية والسياسية والمالية المفروضة عليه منذ القرن التاسع عشر الميلادي ؛ مما أوقع المغرب في الحماية لمدة أربع وأربعين سنة من الحجر والهيمنة والاستغلال والإذلال.

وعليه، سيظل محمد بن عبد الكريم الخطابي معلمة نضالية خالدة. وسيبقى صرحا منقوشا في ذاكرة التاريخ باعتباره قائدا أمازيغيا شهما ، وبطلا وطنيا نبيلا، ومناضلا قوميا رائدا ، ورمزا عالميا شاهدا ، يذكر الإنسانية

بالانجازات الجبارة في مجال النضال والتحرر من أجل كرامة الريف والوطن والأمة العربية الإسلامية والإنسانية جمعاء.

المطلب الثالث: عسو أوبسلام

يعرف عسو أوبسلام بأنه من أهم الأبطال الأمازيغيين الذين خاضوا مقاومة شرسة ضد الاستعمار الفرنسي في الثلاثينيات من القرن العشرين.
ومن أشهر المعارك التي قادها المقاوم الباسل معركة بوگافر التي شاركت فيه آيت عطا سنة 1933م، بالتحالف مع القبائل الأطلسية الأخرى المجاورة قصد صد القوات المحتلة ومساعديها من الخونة، كالگوم والگلاويين، من التغلغل في جبال الأطلس الكبير الشرقي، واحتلال جبل صاغرو.
وقد أسفرت معركة بوگافر عن مقتل الكثير من الفرنسيين، واستشهاد الكثير من المقاومين الأمازيغيين دفاعا عن دينهم وأرضهم وأنفسهم وأعراضهم وممتلكاتهم . وقد استخدم فيها المقاومون المتبرنسون (يلبسون زي البرنوس) الأسلحة التقليدية، من بنادق، وخناجر، وفؤوس، مقابل الأسلحة الفتاكة التي تتمثل في المدفعية الثقيلة، والرشاشات الحديثة، والطائرات المقنبلة. وعلى الرغم من ذلك، فقد انتهت المعركة بهزيمة الفرنسيين شر هزيمة؛ مما دفع بالقادة المخططين لهذه المعركة إلى مطالبة قوات إضافية لمحاصرة عسو أوبسلام، وتطويقه عسكريا برا وجوا.
وعلى الرغم من سياسة التفاوض التي التجأ إليه قائد آيت عطا، فإنها تعبر عن حكمة الشجعان، وخبرة الأبطال . فقد ارتضى من خلالها أن يحقن دماء أبناء قبيلته، وألا يعرض الساكنة للمخاطر والتهلكة أكثر من اللازم، مادام التفاوض مشروطا بعدة التزامات، تخدم كلها مصالح آيت عطا في الجنوب، وتحافظ على أرواح الناس، وتحمي أعراضهم، وتقي شرفهم.

◎المطلب الرابع: موحا أوحمو الزياني

يعد موحا أوحمو الزياني من أعتى أبطال المقاومة الأمازيغية في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر بفضل معاركه المظفرة التي خاضها ضد

الفرنسيين الذين حاولوا تسخير المغرب لصالحهم، واستغلال ثرواته طمعا وجشعا، وطمس الهوية البربرية بمسخها وتشويهها، والإساءة إلى حرمات الأمازيغيين وأعراضهم ، والمس بشخصيتهم الدينية المبنية على حب الإسلام، وتقديس الجهاد في سبيل الله ، وزعزعة ثقتهم بخلق الفتن والإحن، ولاسيما فصلهم عن إخوانهم العرب.
لكن أمازيغ جبال الأطلس المتوسط قد تصدوا للمحتل الغاشم، ولقنوه درسا في الصمود والتحدي، وبالضبط في معركة لهري التي اندلعت في سنة 1914م، وأودت بالكثير من الغزاة الفرنسيين، وأخرت احتلال المغرب من قبل المستعمر الفرنسي لسنوات عدة إلى أن استشهد موحا أو حمو الزياني سنة 1921م.
ولئن توقفت المقاومة المسلحة المغربية مع بداية الثلاثينيات من القرن الماضي، فإن مقاومة أخرى أشد ضراوة قد انطلقت شرارتها مع الحركة الوطنية التي أسفرت عن ثورة الملك والشعب، وتأسيس جيش التحرير في سنوات الخمسين، ليحصل المغرب- بعد ذلك- على استقلاله سنة 1956م.

وخلاصة القول، لقد حارب الأمازيغيون ، منذ تواجدهم في شمال أفريقيا، مجموعة من العداة البغاة، كالرومان والوندال والبيزنطيين، في شكل ثورات عسكرية ودينية واجتماعية وثقافية، ولقنوا الرومان اللاتين درسا لاينسوه طوال التاريخ، ولاسيما مع المقاومين الشجعان ، أمثال: يوغرطة، ويوبا الأول ، وتاكفاريناس، وبطليموس، وأيديمون، وجيلدون،...
ومن أهم الثورات الدينية والاجتماعية التي شهدها تاريخ تامازغا ثورة الدوارين وثورة دوناتوس. كما عرفت نوميديا مقاومة شرسة قادها مجموعة من المقاومين ضد الوندال والقرطاجنيين، كمقاومة أوغسطينوس، وأنطالاس، ويوداس...
وفي العصر الوسيط، قاوم الأمازيغيون، بقيادتي كسيلا والكاهنة، الجيوش المسلمة الفاتحة بزعامتي عقبة بن نافع وحسان بن النعمان. بيد أن هذه المقاومة المحلية باءت بالفشل الذريع نظرا لجهلها تعاليم الإسلام السامية القائمة على سماحة الدين الجديد ، ويسر مبادئه وفضائله ، وسهولة عقائده وتشريعاته، وصدق العقيدة الربانية. ومن ثم، فقد كان هذا

الدين الجديد الدافع الحقيقي الذي حفز طارق بن زياد البربري على فتح الأندلس من أجل إعلاء كلمة الله ، ونشر رسالة التوحيد .
وفي العصر الحديث، قاوم الأمازيغيون الاستعمار الغربي مقاومة شديدة، مع مجموعة من الأبطال الأشاوس، كسيدي محمد الشريف أمزيان، ومحمد بن عبد الكريم الخطابي ، وعسو أوبسلام ، وموحا أوحمو الزياني، والحنصالي ، و لالة فاطمة نسومر المقاومة الجزائرية...

الفصل الثامن:

الديانـــة عنـــد الأمازيغيـــن

عرف الأمازيغيون، في منطقة تامازغا ، أو شمال أفريقيا، أو المغرب الكبير، مجموعة من المعتقدات والديانات، مثل: الوثنية، واليهودية، والمسيحية، والإسلام. وقد تمثل الأمازيغ هذه المعتقدات والديانات عن طريق التأثر بالشعوب المجاورة أو الغازية أو الفاتحة، مع التأثير فيها كذلك عقديا ودينيا. ولم يقف الأمازيغ عند حد التأثر فقط، بل ساهموا في إثراء الحركات الدينية وإغنائها مع مجموعة من اللاهوتيين والمفكرين ورجال الدين الأمازيغيين، كما هو شأن أريوس (Arius) وأوغيسطينوس(Augustine) على سبيل التمثيل ليس إلا. علاوة على ذلك، فقد كان الأمازيغ أكثر تشبثا بعقائدهم ودياناتهم أكثر من الذين نشروها ، كما هو الحال مع الديانات السماوية الثلاث: اليهودية، والمسيحية، والإسلام .إذاً، ما أهم المعتقدات الوثنية التي تشربها الأمازيغيون؟ وما أهم الديانات السماوية التي اعتنقوها؟ وكيف تعاطوا مع هذه المعتقدات والديانات؟ هذا ماسوف نعرفه في موضوعنا هذا.

المبحث الأول: المعتقدات الوثنية عند الأمازيغ

من الأكيد والثابت أن للأمازيغيين، مثل الشعوب البدائية، معتقداتهم الدينية والوثنية الخاصة بهم. فقد كانت طقوسهم السحرية تعبر عن تفكيرهم الأسطوري الساذج الذي ارتبط بالطبيعة ارتباطا وثيقا، يقوم على

الإحيائية والأنسنة والتجسيد. بمعنى أن الإنسان الأمازيغي أسطوري منذ تواجده على الأرض. وفي هذا الصدد، يحصر دوطي (Douté) وثنية الأمازيغيين في اهتمامهم الكبير بالطقوس والقرابين المقدسة بقوله:" ففي الحين الذي تتغير فيه المعتقدات، يظل الطقس باقياً كتلك المحارات المستحثة للرخويات المنقرضة التي تساعدنا على تحديد العصور الجيولوجية. إن بقاء الطقس و ثباته هو علة البقاء والرواسب التي نصادفها في كل مكان » [158]

ويعني هذا أن الإنسان الأمازيغي كان إنسانا طقسيا، يمارس شعائره الدينية الأسطورية عبر فعل الطقس والسحر والقربان، والإيمان بالجن والقوى الخارقة، وعبادة الحيوانات وقوى الطبيعة المختلفة كباقي الشعوب البدائية الأخرى. وفي هذا السياق، يقول الباحث الإسباني غريلي(Ghrili):" إن كل تلك المعتقدات التي تبناها البربر تباعاً، لم تتمكن من تحطيم العمق الديني البدائي البربري، أعني عبادة قوى الطبيعة . وعبادة الجن المتحكمين في هذه القوى، وطبيعة الماء، والعيون والنار...إلخ، والممارسات السحرية التي لا زالت سارية الاستعمال إلى الآن."[159]

هذا، ويرى هيرودوت (Hérodote) أن " جميع الليبيين يقدمون القرابين للشمس والقمر، وأنه للشمس والقمر وحدهما يقدمون القرابين"[160]

وقد عبد الأمازيغيون العناصر الطبيعية ، مثل: السماء، والشمس، والقمر، والنار، والبحر، والجبال، والكهوف، والغابات، والأحراش، والوديان، والأنهار، والأحجار، والأصنام، وكل الآثار المقدسة. كما كانوا يأكلون الخنازير، ويشربون دماء الحيوانات المقدسة متأثرين في ذلك بالديانات المصرية القديمة.

هذا، ويقول ليون الأفريقي في كتابه (وصف أفريقيا) بأن الأمازيغ الأفارقة، في الزمن القديم، كانوا" وثنيين على غرار الفرس الذين يعبدون

---

[158] - إد موند دوطي: **السحر و الدين في أفريقيا الشمالية** ، ترجمة : فريد الزاهي ، منشورات مرسم ،مطبعة بورقراق، الرباط، المغرب،2008 م،ص:415.

[159] - أنجلوغريلي :**أسلمة وتعريب بربر شمال المغرب**، ترجمة: عبد العزيز شهبر،منشورات وزارة الثقافة ، مطبعة دار المناهل، الرباط، المغرب،2009،ص: 200.

[160] - اصطيفان اكصيل: نفسه،ص:209.

النار والشمس، ويتخذون لعبادتهما معابد جميلة مزخرفة توقد داخلها نار تحرس ليل نهار حتى لاتنطفىء، كما كان يفعل ذلك في معبد الإلهة (فيستا) عند الرومان.ذلك مالاتفتأ تواريخ الأفارقة والفرس تتحدث عنه.ومن المعلوم أن أفارقة نوميديا وليبيا كانوا يعبدون الكواكب، ويقربون إليها القرابين، وأن بعض الأفارقة السود كانوا يعبدون (كيغمو)، ومعناه في لغتهم رب السماء. وقد أحسوا بهذا الشعور الحسن دون أن يهديهم إليه أي نبي أو عالم."[161]

كما يشير إبراهيم حركات إلى هذه المعتقدات الروحية الطقوسية بقوله:"وفيما يخص المعتقدات الدينية، فإن السكان قد لجأوا إلى تعظيم ظواهر الطبيعة منذ القدم، حتى إذا ما دخلوا في طور المدنية الزراعية عملوا على حماية مزارعهم ومواشيهم بالوسائل الروحية التي اهتدوا إليها، ودخل الخوف من الجن قلوبهم في هذه الفترة، فظنوهم في الأشجار والكهوف والأحجار التي استمر تقديسها إلى زمن متأخر. وزعم بعض المؤرخين الفرنسيين أن الاعتقاد في بركة بعض الأشخاص أثر من آثار هذا الماضي السحيق لم تستطع الديانة المسيحية ولا الإسلامية القضاء عليه في هذه المناطق، مع أن الاعتقاد في بركة القديسين المسيحيين مايزال راسخا في أذهان كثير من النصارى الذين يقطنون أرقى بلاد العالم وأكثرها ارتباطا بالحضارة المادية."[162]

ومادام الأمازيغ يسكنون منطقة تامازغا، أو ما يسمى أيضا بشمال أفريقيا المحاذية للبحر الأبيض المتوسط، فقد كان من الطبيعي أن يتشربوا معتقدات الشعوب المجاورة لهم تأثرا وتأثيرا. لذا، فقد تأثروا بالمعتقدات الفارسية، والفينيقية، والمصرية، واليونانية، والرومانية، والأيبيرية، والصقلية. كما أثر الأمازيغيون، بدورهم ، في الشعوب المجاورة من حيث المعتقد والدين والطقس. وكانت علاقة الأمازيغي باليونان وثيقة جدا ، فقد عبد الإغريق الإله بوصيدون ، وهو إله أمازيغي محض. وفي هذا، يقول هيرودوت:" لقد جاءت أسماء الأرباب كلها تقريبا من مصر إلى بلاد اليونان.أما أن هذه الأسماء قد جاءتنا بالفعل كلها من الخارج، فهذه قضية

---

[161] - ليون الأفريقي: نفسه، ص:67.

[162] - د.إبراهيم حركات: نفسه، ص:16.

وصلت إلى معرفتها أثناء بحثي. وأعتقد أنها جاءت من مصر على الخصوص؛ فإذا استثنينا اسمي (بوصيدون) و(الدير سكوري)[163]، فإن أسماء هيرا وهيستا وثميس وكارتييس ونيريد وجدت دائما في مصر ومنذ القديم.وهنا، أعيد هنا ما يقوله المصريون أنفسهم.ويبدو لي أن البلاسجيين[164] هم الذين أطلقوا هذه الأسماء على هذه الأرباب التي يعلن المصريون عدم معرفتها بها إلا الرب بوصيدون الذي اقتبسه اليونانيون عن الليبيين (الأمازيغ)، لأن اسم الرب بوصيدون لم يكن موجودا، ومنذ البداية ، عند أي شعب من الشعوب غير الليبيين الذين ظلوا على الدوام يعظمون هذا الرب."[165]

كما تأثر الأمازيغيون بالديانة المصرية، فقد عبدوا معبوداتهم، ولاسيما الربة المصرية إيزيس.لذا، فقد كانوا يحرمون أكل لحم البقرة وتربية الخنازير احتراما لهذه الربة. وفي هذا السياق، يقول هيرودوت:" فمن مصر على بحيرة تريطونيوس يعيش الليبيون الرحل الذين يأكلون اللحم، ويشربون اللبن. وللسبب نفسه الذي دفع المصريين إلى الامتناع عن أكل لحم البقرة، والامتناع عن تربية الخنازير؛ فالليبيون بدورهم يعرضون عن لحم البقرة وعن تربية الخنازير. بل إن نساء قورينة يعتبرون أكل لحم البقرة نوعا من الإثم احتراما لإيزيس الربة المصرية التي يكرمنها بالصيام والاحتفالات .كذلك تمتنع نساء برقة عن أكل لحم البقرة والخنزير بسواء."[166]

وقد عبدوا أيضا ديانة المجوس، كما قال ابن خلدون في (كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر):" وكان دينهم دين المجوسية شأن الأعاجم كلهم بالمشرق والمغرب إلا في بعض الأحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الأمم.فإن الأمم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم، فقد غزتهم ملوك اليمن ... مرارا على ما ذكر مؤرخوهم، فاستكانوا لغلبهم، ودانوا بدينهم."[167]

---

[163] - الديرسكوري: هما كاستور وبوليديكس من أبناء زيوس وزوجته ليدا.

[164] - البلاسجيون هم أقدم شعب سكن أرض هيلاس، قبل أن يغزوها الهيلينيون (أبناء هيلاس).

[165] - هيرودوت: نفسه، ص:30.

[166] - هيرودوت: نفسه، ص:68.

[167] - ابن خلدون: نفسه،ص:139.

وقد تأثروا كذلك بالفينيقيين حين الاحتكاك بهم في قرطاجنة. وقد كانوا يشكلون معا مجتمعا واحدا، وكانت لهم ديانة واحدة ومعتقدات وعادات وأعراف واحدة. وفي هذا الصدد، يقول محمد محيي الدين المشرفي:"هذا، ولم يحذ المغاربة حذو القرطاجنيين في الشؤون المادية والاقتصادية فحسب، بل اقتفوا آثارهم في سائر الميادين الأخرى، فأخذوا عنهم ماكانوا يتحلون به من أخلاق، وقلدوهم حتى في وثنيتهم، فجعلوا يعبدون الكبش(عمون)، كما كان يعبده القرطاجنيون من قبلهم، قلدوهم في كل شيء، وأخذوا عنهم كل شيء حتى كادت أن تبتلعهم تلك الحياة الجديدة."[168]

وقد عبدوا أيضا معبودات فينيقيا في قرطاجنة ، مثل: بعل وتانيت. وفي هذا الصدد، يقول اصطيفان اكصيل (Stéphane Gsell):" كان المعبودان الأكبران للقرطاجنيين هما بعل حمون وتانيت بني بعل اللذان يظهران أن أولهما كان إله الشمس، بينما كانت الثانية إلهة قمرية.وقد اختلط لدى الأهالي بعل حمون بأمون ...، ولكن ليس هناك مايؤكد أن بعل حمون هذا، الذي ورد من فينيقيا، لم يصبح إلها شمسيا إلا بعد طروئه على شمال أفريقيا.كما أنه يستحيل تأكيد كون تانيت بني بعل قد تحولت في هذه المنطقة إلى إلهة قمرية بعد تقمصها هي لإحدى الربات الأهلية، بل ربما يراودنا السؤال عن عبادة الشمس والقمر المنتشرة بين الليبيين في عهد هيرودوت حوالي وسط القرن الخامس ق.م، وهل لم تأتهم من الفينيقيين؟ أما فيما يتعلق بالقمر، فإن الوثائق تعوزنا لتبديد شكوكنا.

وليس الأمر كذلك فيما يخص الشمس، إذ هناك أسباب قوية تجعلنا نقبل أن عبادة هذا الكوكب بأرض المغارب قد سبقت توطيد الاستعمار الفينيقي."[169]

وقد تأثر أهل تامازغا بالرومان كذلك عندما غزوا شمال أفريقيا واحتلوها، وجعلوها مقاطعة استعمارية تابعة لهم، فقد تمثل الأمازيغ معتقداتهم ودياناتهم. كما تأثروا، بشكل من الأشكال، بديانات البيزنطيين

---

[168] - محمد محيي الدين المشرفي: **أفريقيا الشمالية في العصر القديم**، دار الكتب العربية، الطبعة الرابعة، سنة 1969م، ص:46.

[169] - اصطيفان اكصيل: نفسه، ص:210.

والونـدال.و بعـد ذلـك، تـأثروا بالديانـة الإسـلامية ، وصـارت هـي ديـانتهم الوحيدة إلى يومنا هذا.

المبحث الثاني: الأمازيغ والديانة اليهودية

كانت اليهودية هي الديانة السماوية الأولى التي تعرف إليها الأمـازيغ، بعد مرحلة الوثنية والطقوس وعبادة مظاهر الطبيعـة. وقد اعتنقوا هذه الديانـة طوال سنين عديدة[170]. ومن باب العلم، فقد هاجر اليهود إلـى تامازغـا فـي القرن الثالث قبل ميلاد المسيح، بعد خراب أورشليم من قبل الحاكم تيتوس في السنة السبعين . كمـا هاجروا إلـى منطقـة تامازغـا مـع هجرة الفنيقيين إليها بغية تحقيق أغراض سياسية واقتصادية. وفي هذا الصدد، يقول علـي محمد محمد الصلابي " لايخفى أن تواجد هذا العنصر في العصور الأولى كـان ضـئيلا جـدا، وسـبب تواجـده فـي منطقـة الشـمال الأفريقـي كـان لعـدة أسباب منها: سبب سياسي: وهو حب السيطرة، وتوسيع نفوذهم في أرجـاء المعمورة.وسبب اقتصادي: حيث كان الشمال الأفريقي ينعم بخيرات البر والبحر.كل هـذه الأسـباب والـدوافع مجتمعـة كانـت وراء مجـيء العنصـر اليهودي للمنطقـة، حيث وصـلوا علـى هيئـة جماعـات صـغيرة عن طريـق الفينيقيين قبل وصولهم الأخير إلى بلاد المغرب أيام الرومان.[171]"
ويقـرر ذلـك أيضـا الأسـتاذ محمـد شـيت خطـاب بقولـه:" وجـد العـرب- المسلمون- أيام الفتح جماعات من يهود في أفريقيـة، ويرى بعض الكتـاب أن الأفكار اليهودية بدأت تعرف طريقها إلى البلاد عن طريق الفينيقيين، وذلك قبل أن تهاجر جماعـات من يهود إلـى المغرب علـى أيـام الرومـان، وقـد عمـل هـؤلاء المهـاجرون علـى نشـر اليهوديـة بـين بعـض قبائـل البربر."[172]

---

[170] - ليون الأفريقي: نفسه، ص:67.

[171] - علي محمد محمد الصلابي: **صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الأفريقي**، دار البيارق،عمان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 1998م، ص:121-122.

[172] - محمد شيت خطاب: **قادة فتح بلاد المغرب**، الجزء الأول،دار الفكر، الطبعة السابعة، 1984م، ص:20.

ومن الصعب معرفة تاريخ اليهود في شمال أفريقيا بشكل دقيق وواضح. فهناك اختلافات حادة بين المؤرخين حول استقرار اليهود في هذه المنطقة. وقد استقروا بكثرة في مدينة قرطاجنة، وعددهم حوالي ثلاثين ألفا. ولم يأتوا فقط من أورشليم، بل أتوا أيضا من اليونان وإيطاليا، وتكاثرت أعدادهم مع غزو الرومان لهذه المنطقة الغنية بثرواتها. وقد استقر اليهود كذلك في تونس ، والجزائر ، وموريطانيا ، والمغرب (وليلي وسلا القديمة). وقد انصهر اليهود في المجتمع الأمازيغي، وتمثلوا لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وسكنوا جبالهم وسهولهم وبواديهم ومدنهم. وقد استقر اليهود أيضا في مصر ، وخاصة في مدينة الإسكندرية.
والدليل على وجود اليهود بكثرة في مجتمع تامازغا أن تارتولي قد كتب كتابا لاهوتيا سجاليا يرد فيه على معتقدات اليهود ، فيذكر انحرافاتهم الدينية . وقد كتب أوغستان كذلك كتابا مختصرا يرد فيه على اليهود الذين كانوا يستقرون في قسنطينة وتوات خصوصا.
وحينما دخل الفاتحون المسلمون إلى تامازغا، وجدوا مجموعة من القبائل تدين باليهودية، كقبيلة جراوة بالأوراس التي تقطنها الكاهنة(الجزائر)، وقبائل نفوسة بتونس، ومديونة، وغياثة، وبهلولة، وقندلاوة، وفزاز بالمغرب الأقصى. وقد قيل أيضا بأن جنود طارق بن زياد الأمازيغي كانت فيه طائفة يهودية. وفي هذا السياق، يرى ابن خلدون أن البربر قد " دانوا بدين اليهودية أخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم، لقرب الشام وسلطانه منهم كما كان جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح، وكما كانت نفوسة من برابر أفريقية وقندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو فازان من برابرة المغرب الأقصى حتى محا إدريس الأكبر الناجم بالمغرب من بني حسن بن الحسن جميع ما كان في نواحيه من بقايا الأديان والملل."[173]
ويعني هذا أن اليهود ، في شمال أفريقيا ، من أصول بربرية ، أو أصول فلسطينية، أو أصول يونانية، أو أصول إيطالية، أو أصول مصرية، أو أصول إسبانية. علاوة على ذلك، فقد كان الفاتحون للمغرب الكبير تجارا من يهود من اليمن ومصر. وقد استقروا بالقيروان خصوصا، وكانوا على اليهودية البابلية. وهناك من يقول بأن اليهود سفارديم هم الذين أصلهم

[173] - ابن خلدون: نفسه، ص:126.

عرب وبرابرة وأوروبيون شرقيون. وهناك من يقول بأن اليهود كانوا أقلية. وهناك من يقول عكس ذلك بأنهم كانوا أكثرية. وفي هذا الصدد، يقول إبراهيم حركات:" وكان يهود البربر من الذين يحرضون الوثنيين على الثورة ضد المسيحيين، وكان اليهود يدعون للديانة اليهودية.وقد كان مجيئهم إلى الشمال الأفريقي في هجرات متقطعة كانت أولاها صحبة الفينيقيين."[174]

والواقع أن اليهود تمكنوا من معايشة البربر المسالمين في أجزاء كثيرة من المغرب، بل واستطاعوا أن يجلبوا إلى دينهم عددا من البربر الذين لايزال أعقابهم يعيشون جنبا لجنب مع المسلمين في الأطلس وتافيلالت وغيرها.وكانوا يشكلون أحيانا دويلات مستقلة، كما فعلوا في كورارا شمال توات، حيث أنشأوا دويلة استمرت إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي.[175]

هذا، وقد كان البورغواطيون ، في المغرب، يؤمنون بالديانة اليهودية، "ويذهب ناحوم سلوش (Slouch) في مقاله عن إمبراطورية بورغواطة، ودفردان(Deverdun) في كتابه عن مراكش، إلى أن دولة برغواطة كانت يهودية، ويستندان إلى بعض المؤثرات اليهودية الموجودة في هذه الديانة، مثل: استعمال ياكش التي يرجعانها إلى يوشع اليهودي، ومثل استعمال الشعر على شكل ظفائر باعتبارها عادة متبعة عند يهود بولندا واليمن، ومثل تحريم البيض، والاعتقاد في تأثير اللعاب وهي عادة عند يهود طنجة. يضاف إلى ذلك اهتمام البرغواطيين بموسى، وتقديمه على عيسى، هذا إلى جانب الرأي القائل بأن مؤسس الديانة أصله يهودي."[176]

هذا، ويشير إبراهيم حركات " إلى الآثار اليهودية في هذه الديانة موضحا أن أسماء السور التي تضمنها قرآن صالح فيها الكثير من أسماء اليهود أي مايرتبط بذكريات التاريخ العبراني، وحتى أسماء ملوك غرناطة بينها الكثير من أسماء أنبياء بني إسرائيل كاليسع وإلياس ، وإن كانت هذه الأسماء توجد في إمارات مغربية خارجية، ويضيف إلى ذلك الانطلاق

---

[174] - ابن خلدون: نفسه، ص:126.

[175] - إبراهيم حركات: نفسه، ص:56-57.

[176] - محمد الطالبي وإبراهيم العبيدي: **البرغواطيون في المغرب**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 1999م، ص:54-55.

من التنجيم والكهانة مما اشتهر به العبرانيون في القديم، وأصبحت له مكانة بارزة لدى البرغواطيين.كما نصت تعاليم التوارة على قتل السارق، وتبنى البرغواطيون هذا الحكم ورجم الزاني رغم أنه إسلامي فإنه يتفق مع الشريعة الموسوية.غير إن إبراهيم حركات لايعتبر هذه الديانة يهودية بل تأثرت باليهودية.[177]"

وعليه، فقد اعتنق الأمازيغيون الديانة اليهودية الموسوية لأول مرة، بعد أن عبدوا الطقوس والوثنية والمجوسية . بيد أنهم سرعان ما سئموا هذه العقيدة المنحرفة، فانتقلوا إلى الديانة المسيحية الأريوسية أو الكاثوليكية.

المبحث الثالث: الأمازيغ والديانة المسيحية

عرف الأمازيغيون المسيحية مع دخول الرومان إلى شمال أفريقيا للهيمنة عليها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ، فاعتنق الأمازيغ هذه الديانة الجديدة، ورأوا فيها الخلاص من الذل والعبودية والظلم. وفي هذا الصدد، يقول أحمد توفيق المدني:" ظهرت بالشرق أنوار الديانة المسيحية في أول عهد القياصرة، فاعتنقها جم غفير من الرومان، وتسربت بواسطتهم إلى المغرب، وقدم مبشروها إليه؛ فأعجب البربر بهذا الدين الآمر بالأخوة والمساواة ومكارم الأخلاق، وتسارعوا إلى الدخول في دين الله أفواجا ، وأصبحت له بيع صغيرة في كافة أنحاء البلاد المغربية.[178]"

وكانت تامازغا ، بما فيها قرطاجنة ، تؤمن بالمسيحية ، بعد أن انتشرت أفكار الأريوسيين والدوناتيين من جهة، وأفكار أوغستان من جهة أخرى. وفي هذا الصدد، يقول ليون الأفريقي:" وظل سكان البربر وثنيين مدة من الزمن، واعتنقوا المسيحية قبل مولد محمد عليه السلام بمائتين وخمسين سنة، ذلك لأن المنطقة التي تقع فيها تونس وطرابلس كانت تحت سيطرة بعض أمراء بوي وصقلية، بينما كان ساحل القيصرية وموريطانيا خاضعا لملوك القوط، وفي الوقت نفسه أيضا هرب عدد كثير من الأمراء المسيحيين أمام هيجان القوط ، وتركوا بلادهم الجميلة ليسكنوا ضواحي

---

177 - محمد الطالبي وإبراهيم العبيدي: **البرغواطيون في المغرب**،ص:55.

178 - أحمد توفيق المدني: **قرطاجنة في أربعة عصور**، طبعة تونس، 1926م، ص:114-117.

قرطـاج حيث كونـوا لأنفسـهم ممتلكـات بعـد ذلـك. ومـن المعلـوم أن هـؤلاء المسيحيين كانوا على مذهب الأريوسيين ...ولما جـاء العـرب ليفتحـوا بـلاد البربر وجدوا المسيحيين يملكون هذه المناطق، فحاربوهم مـرارا وأبـى الله إلا أن يكون النصر حليف العرب، فهرب الآريون(الونـدال) بعضـهم إلـى إيطاليا، وبعضهم إلى إسبانيا."[179]

بيد أن الأمازيغ عـانوا الكثيـر بسـبب اعتنـاق الديانـة المسيحية؛ لأن الطبقـة الرومانيـة الحاكمـة كانـت تحـارب المسـيحية، وتعاقـب معتنقيهـا بوحشـية وقسوة وصرامة شديدة. علاوة على ذلك، فقد كـانوا " يبثـون العراقيـل فـي الديانـة المسيحية؛ فمـا أغنـت عنـهم تلـك العراقيـل شيئـا، واستفحل أمرهـا؛ فأخـذوا ينكلـون بـالمعتنقين تنكـيلا شـديدا، ولـم يقفـوا أمـام أي فظاعـة أو قوة.فكـانوا يسـجنون المسـيحيين سـواء بإيطاليـا أو بـالمغرب؛ ثـم يجمعـون الناس في يوم مشهور بإحدى الملاعب الكبيرة ، ويخرجون أولئك التعسـاء رجالا ونساء في وسط الملعب، ويطلقون عليهم الأسود الكاسـرة الجائعـة؛ فتمزقهم إربا إربا، وتأكلهم على مرأى ومسمع من الجموع المتفرجة؛ كان أولئك الشهداء، شهداء وحشية الإنسان، يموتون بكل جلد وثبات."[180]

ولم تتوقف الديانة المسيحية في امتدادها الروحاني والجغرافي، بل اعتنقها الناس شرقا وغربا، فتمثلها الأمازيغيون؛ لأنهـا كانـت سبيلا للخـلاص مـن الضيم والذل والعار، وسبيلا للتحرر من الاستغلال والاستعمار الرومانـي.

هذا، ويقـول ابـن خلـدون: " فكـان البربـر بأفريقيـة والمغـرب قبـل الإسـلام تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية الذي اجتمعوا عليـه مـع الـروم كمـا ذكرنـاه .حتـى إذا كـان الفتح وزحـف المسـلمون إلـى أفريقيـة زمـان عمـر رضـي الله عنـه سنة تسع وعشرين، وغلبهم عبد الله بن سعد بـن أبـي سـرح من بني عامر بن لؤي، فجمع لهم جريـر ملـك الفرنجـة يومئذ بأفريقيـة مـن كـان بأمصـارها مـن الفـرنج والـروم، ومـن بضـواحيها مـن جمـوع البربـر وملوكهم".[181]

وثمـة مجموعـة مـن الحركـات المسيحية الأمازيغيـة التـي تركـت بصـمات خالدة في تاريخ تامازغا، وهي على النحو التالي:

---

[179] - ليون الأفريقي: نفسه، ص:68.

[180] - أحمد توفيق المدني: **قرطاجنة في أربعة عصور**، ص:114-117.

[181] - ابن خلدون : نفسه، ص:126.

المطلب الأول: المذهب الأريوسي

ينتسب هذا المذهب إلى القس الأمازيغي أريوس الذي كان يعتبر المسيح نبيا من أنبياء الله ، فقد أرسله إلى الناس لهدايتهم. وبالتالي، فليس إلاها ولا ابن إله، فهو مجرد رسول أو واسطة بين البشر والله، تتمثل رسالته في التوحيد **(أشهد أن لا اله إلا الله، وأن عيسى رسول الله)** ، ونشر الفضيلة والمسيحية السمحة. وبذلك، كان أريوس مسيحيا موحدا، يبشر بالنبي محمد (صلعم).بيد أن دعوته لقيت معارضة شديدة من قبل المسيحية المتعددة. ويعني هذا أن الأريوسية قد شكلت مذهبا دينيا مستقلا عن الديانة المسيحية كما تمارس في روما. وقد انتشر هذا المذهب في شمال أفريقيا وفي مصر. وقد كانت هذه الدعوة ذائعة الصيت في القرن السادس الميلادي. وقد نكل الرومان ومسيحيو التثليث بهؤلاء الأريوسيين، أو الآريسيين الشهداء، تنكيلا شديدا، فاقترفوا مذابح بشعة في حق أتباع أريوس، وقتلوا منهم اثني عشر مليونا. وفي هذا ، يقول الرسول (صلعم) في رسالته إلى هرقل الروم:" أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ". ويعني هذا أن الأريسيين أو الأريوسيين هم موحدون قبل الإسلام ، ومبشرون بالدعوة المحمدية العادلة.
وللعلم، فقد كانت مصر موحدة لما دخلها المسلمون ، وقد كانت على دين الأريسيين، أو دين التوحيد، ولم تكن آنذاك قبطية. وحينما جاء الإسلام ، انضم إليه الموحدون الأريسيون.

المطلب الثاني: المـذهب الدوناتي

ولد دوناتوس في شمال إفريقيا إبان القرن الثالث الميلادي . ويعتبر من أهم الزعماء البرابرة الذين واجهوا الرومان بكل ما أوتي من قوة وعلم. وهو أيضا من أهم المدافعين عن العقيدة المسيحية في الوسط الأمازيغي. وهو قس وراهب واعظ في قرية بربرية. وبعد ذلك، صار أسقفا وزعيما دينيا كبيرا في أفريقيا الشمالية. وله أتباع كثيرون يدافعون عن المذهب الذي أسسه نظرية وممارسة. و هو كذلك مؤلف كتاب ديني بعنوان(الروح

القدس). بله عن كونه زعيم المذهب الديني الدوناتي الذي تشكل في خضم الصـراع الكنسـي الـدائر يومئـذ. وقـد انضـوى، تحـت هـذا المـذهب، كـل الرافضين للسيطرة الرومانية، بما فيهم مذهب (الدوارين) الذي رفع رايـة العصـيان والثـورة وشـعار التمـرد عـن الحكومـة الرومانيـة، وقـد تـوفي دونـاتوس في335م.

ولـم تظهـر الثـورة الدونـاتيـة فـي شمـال إفريقيـا، وبالضبط فـي نوميديا، إلا عنـدما تبنـى الإمبراطـور الرومـاني تيـودوز العقيـدة المسيحية دينـا رسـميا للدولـة الرومانيـة منـذ391م، فاستغل دونـاتوس الفرصـة، فأسـس مـذهبا مسيحيا أمازيغيا مستقلا هو (المذهب الدوناتي). فأقبل الأمـازيغيون علـى هذا المذهب الجديد للتخلص من نير الاستعمار الرومـاني، والتحرر من ربقـة الظلـم والضـيم والعبوديـة والـذل والعـار. هـذا ماجعـل الأمـازيغيين يعطـون لكنيسـتهم صـبغة قوميـة لتـدافع عـن مطالـب السـكان المحليـين، وتحمـيهم مـن تجبـر القـوات الرومانيـة، وطغيـان المسـتغلين مـن الأرستقراطيين ورجال الدين الكاثوليك الرومانيين.
ومن ثم، فقد أنشأ القس دونـاتوس - كمـا قلنـا سـابقا - حركـة ثوريـة دينيـة واجتماعية وسياسية، قامت بدور تاريخي هام ما بين 4 قبل الميلاد و429 ميلادية. وقد انشق دونـاتوس عن المذهب المسيحي الذي أراد الإمبراطـور الروماني تيودوز فرضه على الشعوب الخاضعة لحكمه، منذ تبنيه لـه سـنة 391م ،" وقد تسبب هذا الانشقاق فـي مجابهـات دمويـة كثيـرة، استمرت تقريبا حتى مجيء الوندال لشمال إفريقيا سنة439م [182]"
وقـاد دونـاتوس ، فـي إطـار ثورتـه الدينيـة ، مجموعـة من رجـال الكنيسـة الأمازيغيين الرافضين للسلطة الرومانية ، وسـاهموا فـي ظهـور مـا يسـمى بالثورة الدونـاتية نسبة إلى دونـاتوس([183]Donatus). وتمتاز هذه الحركـة الدونـاتيـة الدينية بكونها ذات صبغة أمازيغية متمردة عن الحكم الرومـانـي، ورافضة لتعاليم الكنيسة الرسمية.
وعليه، فقد كان دونـاتوس يـدعو إلـى مـذهب دينـي جديـد، يقوم علـى إقـرار المساواة بين الناس، ويعمل على مساعدة الفقراء. ولا يعتـرف بأيـة سلطة

[182] - العربي اكنينح: **في المسألة الأمازيغية،أصول المغاربة**، ص:24.
[183] - عباس الجراري: نفسه، ص:27.

غير سلطة الإله الخالق. وكان يأمر الأمازيغيين بطرد كبار الملاكين من تامازغا ، وإخراج أصحاب النفوذ من المسيحيين الكاثوليك من هذه المنطقة.
وقد انتشرت الدوناتية في الكثير من الولايات والممالك الأمازيغية، ولاسيما في ولاية أفريكا وولاية نوميديا . وقد ترتب عن ذلك أن تشكلت، ميدانيا، مجموعة من التنظيمات العسكرية التي كانت تهاجم مزارع الأرستقراطيين الرومان بغية تحرير عبيدها وأقنانها المظلومين.
بيد أن هناك من الباحثين من يقسم الحركة الدوناتية إلى مجموعتين: مجموعة دوناتية كانت تستغل الدين لتحقيق مصالحها ومآربها الشخصية، وهي عصابة من العبيد الأمازيغيين المتوحشين الذين يثورون ويغتصبون وينهبون قصد الوصول إلى أطماعهم المادية.وهناك قسم آخر من الدوناتيين الذين حافظوا على مبادئهم الأخلاقية ومعتقداتهم الدينية، ينتهزون الفرصة السانحة لمجابهة الرومان ضمن رؤية دينية وسياسية معقولة ومقبولة. وفي هذا، يقول الباحث الجزائري أحمد توفيق المدني: " عندما مات أسقف المغرب المدعى مانسوريوس وقع الخلاف في تسمية خليفته، وترشح لذلك الراهب ساسليان، لكن أنصار الفتنة أبوا الموافقة على هذه التسمية، وكان زعيم المعارضين راهب قرية بربرية يدعى دونات(Donate) ، وتألف عندئذ جند من أشد الدوناتيين تعصبا، وأخذوا يجوبون أطراف البلاد بدعوى ضم جميع المسيحيين إليهم، وكان أغلب هؤلاء الدوناتيين من العبيد الآبقين، وممن لا يملكون في هذه الدنيا غير أجسامهم، فاتخذوا لنفسهم مذهبا اجتماعيا هو خليط من الشيوعية والفوضوية. ويقولون: إنهم يريدون أن يقروا مبدأ المساواة التامة في الرزق بين الناس، وأنهم لا يعترفون بأية سلطة، وطفقوا كذلك يتجولون، وانقلبوا عصابة نهب وسلب ترتكب الفظائع، وتقوم بالذبائح، ولم يبق لهم من الصبغة الدينية أي شيء، فتعقبتهم الجنود الرومانية، وقطعت ، في آخر القرن الرابع، دابرهم، لكن الدوناتيين الحقيقيين، وأغلبهم من أبناء البربر، ظلوا محافظين على قوتهم وصلابتهم، يترقبون سنوح فرصة للانقضاض على أعدائهم، وكانت حركتهم سياسية ترمي إلى التحرير، متقمصة في ثوب حركة دينية.

وأعظم أسباب هذا الهيجان هو النظام الاستعماري الروماني الذي ملك الأرض بيد ثلة منتفعة، وحرم منها جماعة الناس."[184].

ويتبين لنا ، من هذا كله، أن الدوناتية كانت تنقسم، في طبيعتها، إلى حركتين: حركة ثورية إرهابية شيوعية فوضوية، وحركة دينية معتدلة مناضلة متعقلة في خططها الإستراتيجية حين تعاملها مع القوات الرومانية. لكن الدوناتية ،في جوهرها ، حركة اجتماعية تدافع عن الفقراء والمظلومين، وتقف في وجه الإقطاعيين الأرستقراطيين الذين استحوذوا على أجود الأراضي، فحولوا أصحابها الأمازيغيين إلى عبيد أرقاء.

كما استغل رجال الدين الكاثوليك سلطتهم الدينية في شمال إفريقيا ، فبدأوا في نهب خيرات البرابرة، والسيطرة على ممتلكات الأمازيغيين وثرواتهم، وحولوهم إلى عبيد أذلاء بدون أرض ولا مأوى، وتركوهم بطونا جائعة تبحث عن الخبز بدون جدوى. وهذا ما أفرز حركة (الدوارين) . ومن جهة أخرى، فقد جاءت الثورة الدوناتية لتنادي إلى المساواة والتغيير الجذري، بطرد المستغلين من أراضي تامازغا. بيد أن المستغلين الرومان قد سارعوا إلى الدفاع عن المذهب الكاثوليكي - الذي كان يمثله القديس أغسطنيوس - ضد المذهب الدوناتي الذي كان مذهبا عقائديا اجتماعيا وثوريا، يؤمن بالفعل والتغيير، مع فضح "التسلطن" الروماني.

هذا، وقد سبب هذا الصراع الديني في مواجهات دموية، "عكست بوضوح الصراع الاجتماعي في ولايات روما الشمال إفريقية، ويتجلى ذلك في كون الإمبراطور والدولة الرومانية ومن ورائهما الملاك الكبار ساندوا الكنيسة الكاثوليكية الرسمية ضد دوناتوس وأتباعه الأمازيغ، وقاموا باضطهادهم لما شكلته المبادئ التي اعتنقوها من خطر على امتيازاتهم، ذلك أن دوناتوس الذي عانق قضايا الفقراء والمضطهدين نادى بإبعاد وطرد الأشرار- وقصد بهم كبار الملاك والمرابين وذوي النفوذ- من الجماعة المسيحية، فكانت الدوناتية بذلك عقيدة الثورة التي فجرها الأمازيغ، واستمر لهيبها إلى زوال الحكم الروماني، ولم يزد التنكيل والاضطهاد الرومانيين الدوناتوسية إلا تجذرا وأتباعها إلا تشبثا بتعاليمها، لكونها تعبر عن آلامهم وآمالهم في العدل والمساواة."[185]

---

184 - أحمد توفيق المدني: نفسه، صص:114-117.

185 - محمد بوكبوط: نفسه، ص: 73.

ومع اكتساح الثورة الدوناتية لكثير من ولايات شمال أفريقيا، وسرعة انتشارها بين الفقراء والضعفاء الأمازيغيين، قررت الحكومة الرومانية الضرب على أيدي الدوناتيين، والقضاء عليهم نهائيا. لذلك، أرسلت روما أحسن قواد جيشها رفقة قوات عسكرية عاتية سنة 411 م للتنكيل بالدوناتيين، فشتتتهم بقوة وعنف. وقضت على أتباع هذه الحركة الدينية ، وسلمت أملاكها وكنائسها للمسيحيين الكاثوليك. في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية الرومانية على وشك التداعي و السقوط والاضمحلال.

ومن النتائج التي حققتها الثورة الدوناتية أن المقاومة الأمازيغية في شمال إفريقيا دق تجاوزت المقاومة العسكرية إلى نوع آخر من المقاومة تتمثل في النضال الديني والاجتماعي. وقد حارب الأمازيغيون الإمبراطورية الرومانية المسيحية بالسلاح العقدي نفسه للتخلص من نير الاستعمار، ومناهضة الاضطهاد والاستغلال .وقد أشعلت الثورة الدوناتية الكثير من الثورات والفتن ، وساهمت في ظهور الكثير من الجماعات المتمردة عن السلطة الرومانية، ولاسيما ما يعرف بالثوار(الدوارين) الذين كانوا يدورون حول مخازن الحبوب رغبة في سرقتها بسبب الجوع، وكثرة الفاقة.

هذا، وقد ساهمت هذه الحركة الدوناتية - كذلك- في اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، وتأجيج الصراع الديني، وتناحر السلطتين: الدينية والسياسية على المستوى المركزي في العاصمة الرومانية، وانبثاق الصراع العقائدي بين الدوناتية والعقيدة الكاثوليكية. وفي هذا الصدد، يقول عبد الله العروي:"تهافت المغاربة على الحركة الدوناتية (نسبة إلى الأسقف دونات) المنشقة ، وأعطوا لكنيستهم صبغة قومية واضحة، دون أي اعتبار لمفهوم الكثلكة. أي: الجماعة، محور كل مسيحية تكيفت مع واقع التفاوت الاجتماعي.

تسبب الانشقاق الدوناتي مدة قرن كامل في مجابهات دموية كثيرة. قاد المعركة من الجانب الكاثوليكي أوغسطين، متكلا كليا على السلطة المدنية، ومستفيدا من الرعب الذي استولى على كبار الملاكين بسبب ما احتوت عليه الحركة الدوناتية من أهداف ثورية اجتماعية. انتصر أوغسطين سنة 412 لكنه لم يتلذذ بالانتصار إلا مدة قصيرة. استولى على أفريقيا الشمالية سنة 439 الوندال الموالون لبدعة أريوس، فاستغلوا ضد

الكاثوليكيين تلك الوسائل العنيفة التي استعملها هؤلاء ضد الدوناتيين. انتقمت الكنيسة الإفريقية لنفسها في النهاية، باستدعاء البيزنطيين، وإعانتهم على طرد الوندال، لكن بعودة المنطقة إلى حظيرة الإمبراطورية، فقدت الكنيسة الاستقلال الذي ما فتئت تحارب من أجله منذ أواسط القرن الثالث."[186]

وعلى الرغم من هجوم الرومان على الدوناتيين للقضاء عليهم ، وما ترتب عن ذلك من تشتيت لوحدتهم، والتنكيل بثوارهم، إلا أن الدوناتية ظلت نزعة دينية، وثورة قومية عارمة، يؤمن بها كل الأمازيغيين. ومن ثم، لم تستطع القوات الرومانية أن تمحي الدوناتية من قلوب الأمازيغيين الذين آمنوا بها ذهنا ووجدانا وعاطفة وممارسة. وفي هذا السياق، يقول محمد بوكبوط :" شن الرومان حربا لاهوادة فيها ضد الدوناتيين باعتبارهم محرضي الثوار، لكن النتيجة كانت عكس ما سعى إليه الرومان، إذ تجذرت الدوناتية في أوساط الأمازيغ تعبيرا منهم على الإصرار على التمسك بهويتهم، والحفاظ على كينونتهم المتميزة عن المحتلين الرومان، ومن ثم، كانت الدوناتية رد فعل مذهبي واجتماعي من جانب الأمازيغ ضد القوالب الفكرية والدينية التي كانت تسعى مؤسسات الاحتلال، دولة وكنيسة ، صهر الأمازيغ فيها لاحتوائهم وطمس هويتهم."[187]

وهكذا، يبدو لنا أن الحركة الدوناتية قد ساهمت بشكل كبير في تدهور الإمبراطورية الرومانية ، و اضمحلالها بكل سرعة ليحل محلها الوندال الغزاة والبيزنطيون العداة.

وعلى العموم، دقف قاد دوناتوس- الزعيم الديني الأمازيغي- الحركة الدوناتية في بلاد تامازغا، باعتبارها حركة ثورية اجتماعية مناهضة للاحتلال الروماني، ورافضة لسياسة الرومنة ونزعة التمسيح .

وعلى أي حال، فقد استهدف دوناتوس مقاومة القوات الرومانية ورجال الدين الكاثوليك الذين كانوا يباركون الاحتلال، ويعترفون بشرعية الاستغلال واسترقاق الساكنة المحلية، ويناصرون الأرستقراطيين الذين كانوا يحتكرون ثروات الأمازيغيين. وفي الوقت نفسه، يعرضونهم للجوع والفقر والاضطهاد.

---

[186] - عبد الله العروي: نفسه،59-60.

[187] - محمد بوكبوط: نفسه،ص:76.

وعليـه، فالحركـة الدوناتيـة حركـة ثوريـة اجتماعيـة اشـتراكية، وثـورة راديكاليـة جماهيريـة، تـؤمن بفعل التغييـر الميداني ، وتـرفض الاسـتلاب الـديني المسـيحي، وتحـارب كـل أشـكال الرومنـة والاسـتغلال الفـاحش.

المطلب الثالث: أوغستـــــان

ولـد القـديس والكاتـب الأمـازيغي الكبيـر أوريليـوس أغسـطينوس، أو أغسـطين، أو أوغسـتـان ، (Saint.Augustin)فـي 13نـوفمبرمن سـنة 354م ، من أم بربرية مسيحية اسمها مونيكـا، وأب وثنـي رومـانـي عبـارة عـن موثـق بسـيط، كـان يسـمى باتريسـيوس فـي مدينـة تاگيسـته (سـوق الهـراس) بـالجزائر (نوميـديا). وقـد دافـع أوغسـطين كثيـرا عـن هويتـه الأمازيغية، وكنعانيته السامية، في رسالة له إلى أهل روما، وكـان يقول:" إذا سألتم سكان البوادي عندنا فـي نوميـديا، قـالوا: نحـن كنعـانيون". ويعنـي هذا أن لغـة أوغسطين هـي النوميديـة المتـأثرة باللغـة الفينيقيـة الكنعانيـة أو هـي الأمازيغيـة النوبيـة ذات الجـذور الكنعانيـة. بيـد أن ثقافتـه لاتينيـة ، ولايتقن من الإغريقية إلا النزر القليل[188]."

وقد تلقى أوغسطين تعليمه في تاگيسته و مودوروس منذ السادسـة عشـرة من عمـره، وسـافر إلـى قرطـاج ليستكمل دراسـاته . وبعد ذلـك، انتقل إلـى إيطاليـا ، فـي مرحلـة الغـزو اللاتينـي لشـمال أفريقيـا، للـتعلم والدراسـة فـي روما وميلانو. وقبل سفره، كان متأثرا بـالأفلاطونية المحدثة .

وقد مارس أوغسطين مهنـة التعليم، و كـان يعطـي دروسـا فـي البلاغـة فـي مدينـة قرطـاج و مدن إيطاليا. وانتقل حيال مدينـة عنابـة سنة 388م ، حيـث أقام فيهـا ديـرا للتعبـد والاعتكـاف الـديني، ليتقلـد - فيمـا بعـد- عـدة مناصـب دينية، إلى أن عين في منصب أسقف مدينة عنابة سنة 395 م. وبعد ذلـك، صـار أبـا للكنيسـة اللاتينيـة. وقـد تـوفي أوغسـتان فـي29/08/ 430 م بمدينـة عنابة(Hippone).

هذا، وقد تشبع أوغسطين بالمعتقد المسيحي تـأثرا بأمـه القديسـة مونيكـا، وتأثر كذلك بأسقف ميلانو القديس أومبرواز(Ambroise) سنة386م.

---

[188] - عز الدين المناصرة: نفسه،ص:80.

هذا، وقد دافع أوغسطين كثيرا عن مبادئ المسيحية الكاثوليكية الرسمية التابعة للكنيسة الرومانية، ووقف في وجه الحركة الدوناتية ذات الملامح الثورية الشعبية. وكان" خطيبا وكاتبا من طراز عال، فلم يتح للمسيحية أن رزقت زعيما في مرتبته قط."[189]
ويعرف أوغيسطينيوس بأنه في بداية حياته كان ماجنا متهتكا وشابا عربيدا، إلا أنه تاب، بعد ذلك، وأصبح متدينا وزاهدا متقشفا .ومن ثم، فقد كان القديس أوغسطين"ثاقب الذهن، واسع الفكر، غزير العلم، ارتوى من مبادئ الديانة المسيحية، فأصبح من أكبر القسيسين ورجالات الكنيسة الكاثوليكية. وقد كرس حياته الصالحة في مقاومة الزنادقة، ومكافحة المذاهب الأخرى التي من شأنها أن تقف حجر عثرة في سبيل تقدم الديانة المسيحية؛ وكان يستعمل سائر الوسائل لمحاربة المذهب الدوناتي (donatisme)الذي كان يرمي الكاثوليكيين بتسرب الضعف إلى عقيدتهم الدينية، كما كان يحارب المذهب المانكي(Manichéism) الآري الذي سينتحله، فيما بعد، القائد جنسريق، ملك الوندال."[190]
وعلى الرغم من ثقافة أوغسطين اللاتينية ، فإنه كان يقدم قداسه ومواعظه باللغة المحلية أو اللغة الفينيقية ؛ لأن الأمازيغيين، في شمال أفريقيا ، كانوا يجهلون اللغة اللاتينية التي تعد لغة المثقفين الذين درسوا بروما، وأصبحوا من مؤيدي الحكومة الرومانية، بل كانوا يرفضونها؛ لأنها لغة المستعمر. وكان الهدف ، من نشرها في الأوساط الأمازيغية، هو العمل على نشر سياسة الرومنة و"الترومن". وفي هذا، يقول الأستاذ الحسن السايح:" وعلى الرغم من هذا التأثير الروماني، فقد ظل الشعب المغربي يتكلم ، ويحدثنا القديس(أوغسطونيوس) وهو أحد رجال الدين المغاربة، أنه كان يستحيل عليه أن يلقي قداسه باللغة اللاتينية؛ لأن معظم الناس الذين يستمعون إليه لايعرفون حرفا واحدا من اللاتينية، وإنما كانوا يعرفون اللغة الفينيقية، التي كانت منتشرة انتشارا واسعا، حتى إن العرب الذين جاؤوا المغرب وجدوا الناس يتكلمون اللغة الفينيقية، وهي لغة سامية أخت

[189] - شارل أندري جوليان:نفسه،ص:305.
[190] - محمد محيي الدين المشرفي: نفسه، ص:102-103.

العربية، بل إنها لهجة من اللهجات العربية، فكان الانتقال منها إلى لغة ، كالانتقال من اللهجة المغربية إلى المشرقية."[191]
هذا، وقد كان أوغسطينيوس شخصا مثقفا وفيلسوفا لاهوتيا موسوعيا، لم يستطع أحد أن يصل إلى مستوى هذا العالم إبان العصر القديم . فقد امتلك ثقافة لاتينية عميقة وواسعة المدارك ومتنوعة المستويات والمفاصل. ولا يمكن أن نستحضر ، إلى جانب أوغستان الجزائري، إلا شخصا واحدا يقترب منه فكريا هو المثقف المغربي الكبير يوبا الثاني الذي نهل من معارف عدة. وتمكن من لغات مختلفة. وتبحر في الكثير من المعارف العلمية، والأدبية، والفنية، والسياسية، والإدارية.
ومن جهة أخرى، فقد ترك لنا أوغسطين نظرية فلسفية دينية متكاملة مازالت تدرس وتناقش إلى يومنا هذا في الملتقيات اللاهوتية والفكرية، وتنسب إليه تحت اسم(الأوغسطينية / Augustinienne).
وعليه، فثمة عوامل عدة تحكمت في توجيه شخصية أوغسطين، ويمكن إجمالها في: خطابة شيشرون، وقراءة الإنجيل، و الاطلاع على تأويلاته، وفحص لغة كتابته، وخاصة الإنجيل الإفريقي، والانسياق وراء العقيدة الثنائية التي تسمى بالمانيكية. كما تأثر كثيرا بفلسفة أفلاطون والفلسفة الأفلوطينية المحدثة.
ومن مرتكزات نظرية أوغسطين: الإيمان الروحي، والحب، والعقل، والحكم العادل، والقدر الإلهي، والإرادة، والخير، و التذكر بدل الجهل والنسيان، والحرب العادلة، والخطيئة الأصلية، والطبيعة، والتعويض، والتجسيد الحلولي ، والملكية الخاصة.
وينضاف إلى هذا، أن أوغيسطينوس قد كتب أكثر من مائتي كتاب باللاتينية . وتصنف كتبه وردوده ضمن إطار الثورات الدينية والأدبية التي كانت تشتعل في نوميديا، وبالخصوص بين الدوناتية والكنيسة الأفريقية المسيحية. وكان المناضل الأمازيغي دوناتوس هو الذي يقود الحركة الدوناتية . ومن المعلوم أن هذه الحركة ذات طابع ديني شعبي ثوري راديكالي، تتشكل من الفقراء والمعدمين والبؤساء والثوار المحليين والعبيد الضعفاء، تدافع عن هوية الساكنة، واستقلال دولة تامازغا،

---

[191] ـ الحسن السايح: **الحضارة المغربية،** الجزء الأول، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى ، 2000م، ص:122.

وتحارب الرومان، وتطالب السكان المحليين بطردهم بالقوة من شمال أفريقيا.
أما الكنيسة الكاثوليكية الأمازيغية التي يتزعمها أوغستان، فقد استهدفت نشر العقيدة المسيحية، كما هو متعارف عليها في الكنيسة المركزية الرومانية . بيد أن هذه الكنيسة كانت في خدمة الإمبراطور الروماني قسطنطين، تهادن الحكومة الرومانية في حالات السلم والحرب، وتعطي المشروعية الدينية للمعمرين الأجانب والمرابين وأصحاب النفوذ، وتبرر استغلال الإقطاع الروماني لساكنة نوميديا بصفة خاصة، وشمال أفريقيا بصفة عامة.
وعليه، فلابد من وضع مؤلفات أوغيسطينوس ضمن هذا السياق التاريخي الذي ينحصر في الصراع الأمازيغي ضد الرومان والوندال، وضمن الصراع الديني والاجتماعي والعسكري الذي كانت تخوضه الكنيسة الكاثوليكية ضد المذهب الدوناتي وحركة الدوارين الاجتماعية. وكانت لا تناصر سوى القوات الرومانية، مؤيدة كل القرارات التي تصدرها الحكومة اللاتينية لإبادة المعارضين الأمازيغيين.
و على العموم، فجل الكتب التي ألفها القديس أوغسطينيوس كانت باللغة اللاتينية. لكن قداسه الديني كان يقدمه أوغستان باللغة الفينيقية، أو اللغة المحلية التي كان يفهمها الشعب الأمازيغي. لأن اللاتينية مقصورة فقط على كبار المثقفين والموظفين الإداريين التابعية لحكومة روما. وفي هذا، يقول القديس أوغسطين:" إن الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب؛ لم تفرض على المغلوبة منها سيطرتها فحسب، بل لغتها أيضا."[192]
وعلى أي حال، فالقديس أوغسطين عميق التفكير، ورجل دبلوماسي في تعامله مع الرومان، كثير الجدال والمناظرة. وهو كذلك" فيلسوف قبل كل شيء، رجل يحلل الآراء ، ويرى كل ماتحوي ومبدأها الأول ومداها ونتائجها النهائية. وهو فوق ذلك خطيب عظيم مؤرخ، أو بالأحرى فيلسوف للتاريخ في كتابه(مدينة الله)، وهو أخيرا شاعر للقلب والوجدان

[192] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:248.

الممتع في(اعترافاته) الخالدة. وربما كان هذا الرجل أغرب رجل في العالم القديم كله."[193]
ومن أهم كتب أوغسطين: اعترافاتي، ومدينة الله، والثالوث المقدس، والنعمة. وتبقى سيرته (اعترافاتي/ Mes confessions) بمثابة البداية الحقيقية للكتابة الأوطبيوغرافية في الفكر الإنساني. ويعني هذا أن المؤلف هو أول كتاب وصل إلينا في باب السيرة الذاتية الروحية، ذات الطابع الديني الذي يشتبك بالطابع التاريخي ، حيث يقدم فيه الكاتب اعترافاته بكل صدق وصراحة، ويفصل حياته الغريبة، ويوضح انسياقه وراء الأهواء والشهوات، ولاسيما في مدينة قرطاج ، حيث كان مولعا بالمسرح والحب والجنس. ويبين لنا كيف تعرف إلى الله ، وكيف انتقل - بعد ذلك- إلى الفكر المسيحي. كما يكشف لنا عن تصوره وموقفه من الصراع العقائدي والاجتماعي والتاريخي الذي كان يعيش فيه أوغسطين إبان مرحلة الصراع الأمازيغي / الروماني.
وفي الأخير، يدعو الكاتب ، في هذا المؤلف الديني، إلى سلام الروح، ومحبة الإله، والارتماء في أحضان الرب من أجل الاستراحة النورانية.وتعني الاعترافات، في المفهوم المسيحي، بوح الإنسان، واعترافه للراهب بأخطائه وذنوبه قصد الحصول على العفو. ويسير الكتاب ، في هذا المنحى الاعترافي المسيحي، فيعترف أوغسطين بكل جرأة بأخطائه ومجونه من أجل الظفر بالتوبة والغفران الرباني.
ومن المعروف، أن هذا الكتاب قد صنف ما بين391 و400م في حياة الكاتب أوغسطين ، بينما لم يكتب كتاب (مدينة الله) و(الثالوث المقدس) إلا بعد وفاته، وبالضبط في 400 م.
والدليل على ريادة سيرة أوغسطين ومكانتها في الأدب الإنساني والعالمي ما قاله الباحث العراقي إحسان عباس في كتابه(فن السيرة):" وفي السير الذاتية بالغرب معالم كبيرة، كان لكل معلم منها أثره في كتابة السيرة الذاتية وطريقتها، وفي طليعة تلك السير(اعترافات القديس أوغسطيس)، فإنها فتحت أمام الكتاب مجالا جديدا من الصراحة الاعترافية، وشجعت

---

[193] - إميل فوگيه: **مدخل إلى الأدب،** ترجمة مصطفى ماهر،رقم الكتاب201 ، طبع ملتزمة الطبع والنشر لجنة البيان العربي، مصر، الطبعة الأولى، 1958، ص:51.

الميل إلى تعرية النفس، في حالات كثيرة تلتبس بالآثام، أو يثقل فيها عناء الضمير."[194]
ومن أهم مميزات كتاب(**اعترافاتي**) أنه كتب بطريقة شاعرية روحانية وجدانية، يستقطر فيها الكاتب دموع المعاصي و الذنوب ليعوضها براحة التوبة والغفران، مقابلا بين الحياة والموت، والدنيا والآخرة.

المطلب الرابع: تارتولي أو ترتوليانوس Tertullianus

يعد تارتولي من أهم علماء اللاهوت في منطقة تامازغا القديمة، وقد توفي سنة 240م. وقد تخلى عن عبادة الوثنية، فاعتنق دين النصرانية. ثم تحمس له حماسا شديدا. ثم دافع عن المسيحية أيما دفاع واستماتة، فوقف في وجه الكنيسة الرومانية الداعية إلى الاستغلال ، وتكريس التفاوت الطبقي ، في كتابه(**دفاعا عن الدين Apologeticus**)، فحرض الأمازيغ على التخلص من الخدمة العسكرية في الجيش الروماني. وقد تناول تارتولي، في كتابه الديني ، مجموعة من القضايا الخلقية في ضوء العقيدة المسيحية الجديدة ، حيث كان يدعو إلى العفة والأخلاق الفاضلة، ويحارب اليهود وأهل البدع الضالة والمنحرفة.[195]

المطلب الخامس: أرنوبي الأكبر Arnobius

ولد أرنوبي بنوميديا في منتصف القرن الثالث الميلادي. وقد تنصر في شيخوخته، بعد أن قضى جل حياته في الوثنية. ومن أهم كتبه في هذا المجال(**ضدا على الوثنيين Adversus nations**)، وقد ألفه سنة 300 ميلادية، متحاملا فيه على الوثنية وعبادة الأصنام. مع التأكيد، في الوقت نفسه، أن الفوز بالنجاة في الدنيا والآخرة لن يتم ذلك إلا بعبادة الله، والإيمان به قولا وفعلا وسلوكا. وقد عد أرنوبي، في الثقافة المسيحية المتوسطية، من أهم آباء الكنيسة المسيحية وأجلهم؛ لأنه كرس كل حياته

---

[194] - إحسان عباس: **فن السيرة**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص:114.
[195] - محمد شفيق: نفسه، ص:79.

لخدمة النصرانية، والتبشير بها، فترك عمله، بسبب ذلك، ليتفاني في الدفاع عن الدين الجديد، وتقويض أركان الوثنية .

❻المطلب السادس: مينوسيوس فيليكس

يعد مينوسيسوس فيليكس من أهم علماء اللاهوت الأمازيغين في شمال أفريقيا. وقد ألف كتابا بعنوان(**OCTAVIUS**)، وهو عبارة عن حوارات ومناظرات دينية وعقدية ، يدافع فيها الكاتب عن المسيحية ضد الاعتراضات المألوفة الموجهة ضد هذا الدين الجديد في تلك الفترة بالذات.
إذاً، تلكم هي نظرة مختصرة إلى امتداد المسيحية وانتشارها في أرجاء تامازغا شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا.

المبحث الرابع: الأمازيـــغ والإســـلام

لم يدخل الإسلام شمال أفريقيا إلا مع الفتوحات الإسلامية التي سن سياستها الخلفاء الراشدون ، وامتدت مع خلفاء الدولة الأموية. فقد انشغل عمرو بن العاص كثيرا، عندما فتح مصر في عهد عمر بن الخطاب، بمواصلة نشر الإسلام في شمال أفريقيا، فاستأذن الخليفة عمر بن الخطاب (ض) في فتح برقة وطرابلس، فكتب إليه قائلا:" إنا قد بلغنا طرابلس، وبينها وبين أفريقية تسعة أيام،فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوة فعل"، فكتب إليه عمر:"لا...إنها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة،غادرة مغدور بها،لا يغزوها أحد مابقيت". [196]
وقد استصعب عمر بن الخطاب فتح بلاد البربر لقوة شكيمة الأمازيغيين، وصعوبة إخضاعهم، وسرعة تقلب مزاجهم، ووعورة بلادهم، ومخافة من تعسف الولاة في معاملاتهم للبربر عن طريق المغالاة في الضرائب والجبايات، وسوء التصرف مع كبراء القوم وأسيادهم.

---

[196] - البلاذري: **فتوح البلدان**، دار الكتاب، بيروت، 1982، ص:266.

ويروي لنا كل من البلاذري وابن عبد الحكم أن عمرا بن العاص، لما فتح الإسكندرية ، سار في جيشه يريد المغرب حتى قدم برقة، فصالح أهلها ، بعد أن انهزموا في المعركة أمام قوة جيشه العتيد، ثم فرض عليهم أن يهيئوا له" ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم" [197]. وكانت برقة يومئذ من أخصب أراضي القارة الأفريقية، حتى إن سكانها كانوا يرسلون الخراج بكل طواعية إلى والي مصر بدون حاجة إلى الجابي. ومن ثم، كان فتح برقة سنة 21هـ، فتابع عمرو بن العاص فتوحه، ثم غزا طرابلس التي افتتحها عنوة سنة22هـ.[198]

ولما تولى عثمان بن عفان (ض) إمامة المسلمين، قرر نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية. لكن هذه المرة ليس في اتجاه الشرق كما فعل عمر بن الخطاب(ض)، بل الاتجاه غربا نحو البحر الأبيض المتوسط، وبالضبط إلى ربوع أفريقيا الشمالية. وهكذا، بدأ التفكير في إحياء مشروع نشر الإسلام نحو غرب مصر عبر مراحل اتسمت بالمد والجزر[199].

وعليه، فأول ما قام به عثمان بن عفان أن عزل عمرو بن العاص ، وولى مكانه عبد الله بن أبي سرح على مصر الذي أرسل بعض السرايا لمهاجمة أطراف أفريقيا، فكانت لا ترجع إلا بعد حصولها على الغنائم. وبعد ذلك، فكر ابن أبي سرح جديا في فتح شمال أفريقيا، فاستأذن في ذلك عثمان بن عفان الذي أذن له ذلك سنة 27هـ، فخرج في جيش، قوامه عشرون ألف جندي من عرب الجزيرة العربية، وقبط مصر ، وبربر من أفريقيا. كما شارك فيه بعض الصحابة رضوان الله عليهم، كمروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فخاض القائد المسلم معركة ضد البطريق جورجيوس حاكم أفريقيا القسطنطيني الذي ولاه هرقل واليا على الشمال الأفريقي، حيث استبد بالحكم لصالحه،

---

[197] - ابن عبد الحكم: **فتوح افريقية والأندلس**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987م، ص:29؛ وانظر كذلك: خليفة بن الخياط: **تاريخ خليفة بن الخياط**، دار طيبة، الرياض، السعودية، 1985م، ص:144.

[198] - انظر البلاذري**: فتوح البلدان**،ص:314؛ وابن عبد الحكم: **فتوح أفريقية والأندلس**، ص:34.

[199] - المالكي: **رياض النفوس**، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، مصر، 1951، صص:10-15.

فانهزم الروم في هذه المعركة شر هزيمة. لكن القواد البيزنطيين صالحوا عبد الله بن أبي سرح على مبالغ طائلة من الذهب ، على أن ينسحب بجيشه من أفريقية، وعاد بن أبي سرح إلى مصر دون أن يولي أحدا لمدة 17 سنة.
"وعلى الرغم من أن عثمان بن عفان لم يمانع في فتح الشمال الأفريقي، إذ أرسل جيشا دخل تونس بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح قبل سنة 30هـ، فإن الاهتمام الحق بهذه المنطقة لم يبدأ إلا على عهد الأمويين الذين لم يقنعوا بفتحها، بل حاولوا إقامة حكمهم عليها، وربطها بمركز الخلافة. والحق أنه كان لابد لدولة الإسلام على عهد الأمويين، وقد ذهبت بعيدا في الفتوح، أن توجه اهتمامها لحوض المتوسط ، وما يحيط به من بلاد ، وما يزخر به من تجارة، خاصة وأنهم كانوا- على عكس الخلفاء الراشدين- مهتمين بشؤون البحر. ولكن الأمر لم يكن يسيرا على الإطلاق، ففي الوقت الذي استطاع المسلمون أن يقيموا خلال بضع سنوات دولة واسعة الرقعة في المشرق، فإنهم ظلوا زهاء قرن من الزمان يحاولون أن يثبتوا دعائم الدين الجديد في بلاد الشمال الأفريقي".[200]
ولم يفتح المسلمون شمال أفريقيا ، في عهد الخلفاء الراشدين وسلاطين الدولة الأموية، إلا لعوامل عدة تتمثل: في يسر الإسلام ، ونبل أخلاقه، وسوء الإدارة البيزنطية، بعد وفاة الإمبراطور جوستنيان ، وعدم وجود روابط سياسية أو دينية بين البربر، ورغبة الأمازيغ في التخلص من نير الاحتلال البيزنطي.
ومن هنا، فقد عين معاوية بن سفيان سنة45 هـ ابن حديج؛ والي مصر، قائدا للفتوحات الإسلامية في أفريقيا. وكان ابن حديج تابعا لسلطة الخليفة مباشرة. وقد دخل هذا القائد شمال أفريقيا لإغاثة هباهيا(Habahia) الذي طالبه هرقل بالغنيمة نفسها التي قدمت للمسلمين (300 قنطار من الذهب)، ولما امتنع أرسل هرقل قائده نقفور لمقاتلته، فالتجأ هباهيا إلى معاوية بن أبي سفيان للتحالف معه ضد هرقل، فأرسل الخليفة معه جيشا جرارا ، فدخل الجنود تونس، فالتقى الجيش العربي مع جيش هرقل في مدينة قونية التي ستبنى عوضها مدينة القيروان، فانتصر المسلمون في المعركة، وهرب الجيش البيزنطي إلى سوسة، فلحقه المسلمون هناك،

[200] - عباس الجراري: نفسه، ص:42.

فاستولوا على المدينة كما استولوا على بنزرت. وفتح ابن حديج ، في هذه الحملة العسكرية، بنزرت وجلولا وجربة وسوسة، ثم عاد متنصرا إلى القاعدة العسكرية والإدارية بمصر.
ولم تكن هذه المناوشات إلا امتدادا لفتح أفريقية الشمالية، و قد دام هذا النوع من المد والجزر على مستوى الفتوحات الإسلامية من سنة 27هـ إلى سنة 45هـ.
وعليه، فقد عين عقبة بن نافع واليا على أفريقية سنة 46هـ. وبقي، في حملته الأولى، خمس سنوات. ودخل ، أثناء توليته، مجموعة من الحصون والمدن في طريقه لفتح أفريقيا، خاصة في ليبيا وتونس. وأسس مدينة القيروان سنة 62هـ، لتكون عاصمة لحكمه، ومركزا استراتيجيا لانطلاق قواته العسكرية في نشر الإسلام عبر ربوع شمال أفريقيا. وقد استعان عقبة بن نافع، في تحركاته العسكرية، بجيش يتكون من القوات العربية والقوات البربرية التي كانت تحارب المرتدين عن الإسلام والمتمردين المتعصبين والمنشقين عن سلطة الخلافة جنبا إلى جنب.
وفي 51هـ، عين معاوية بن أبي سفيان سلمة بن مخلد الأنصاري واليا على مصر والمغرب العربي، فعين هذا الأخير بدوره أبا المهاجر دينار واليا على أفريقيا لمدة سبع سنوات بسبب خوف سلمة بن مخلد من قوة عقبة بن نافع القيادية، وخشيته من مكانته الكبيرة، وحظوته لدى الخليفة الأموي، وكان بين أبي المهاجر وعقبة بن نافع عداوة كبيرة أدت إلى عزل عقبة من منصب قائد الجيوش، وحامل لواء الفتوحات الإسلامية في المغرب العربي.
وقد واصل أبو مهاجر دينار فتوحات عقبة بن نافع، فوصل إلى غرب الجزائر، ولم يلق مقاومة تذكر، سواء من قبل الروم أم من البربر، وأسلم كسيلا وقبيلته أوربة عند دخول أبي المهاجر إلى الجزائر لنشر الإسلام.
لكن عقبة بن نافع قد احتج لدى الخليفة يزيد بن معاوية، ومن عليه بما قام به من خدمات جليلة لصالح الخلافة الأموية، فعينه يزيد مرة أخرى واليا على أفريقيا، ليواصل حملته الثانية سنة 62هـ، ووصل ، في فتوحاته، إلى بحر الظلمات غربا و إلى حدود الجزيرة الخضراء شمالا ، بعد أن فتح ربوع تونس والجزائر والمغرب. كما انتقم من أبي المهاجر بأسره إذلالا ، وتقييده تعذيبا طوال مسيرته التي خصصها لفتح شمال أفريقيا ،

وقد وصلت إلى حدود سوس المغربية جنوبا. وفي الوقت نفسه، كان يهين صديقه البربري الملك كسيلا . بيد أن أكسيل، قد انتفض ضده، وقتله قرب نهر الزاب بالجزائر.
وبعد مقتل عقبة بن نافع، أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان زهير بن قيس البلوي لفتح شمال أفريقيا ، ومجابهة كسيلا . وقد انتهت المعركة بانتصار المسلمين في معركة ممش بتونس، ومقتل الثائر المتمرد عن السلطة المركزية الملك البربري كسيلا.
وبعد استشهاد زهير بن قيس البلوي في معركته التي خاضها ضد الروم في معركة برقة سنة 71هـ، عين حسان بن النعمان واليا على المغرب، وقضى على الكاهنة الأوراسية **ديهيا** زعيمة البربر في نوميديا. وبعد ذلك، عين موسى بن نصير واليا على المغرب العربي. وفي عهده، فتح المسلمون الأندلس على يد طارق بن زياد.
ويعني هذا أنه بعد فتوحات حسان بن النعمان المظفرة في أفريقية، وانتصاره على آخر مقاومة في بلاد تامازغا بقيادة الكاهنة ديهيا، واصل موسى بن نصير اللخمي فتوحات حسان بن النعمان، ودخل إلى المغرب تقريبا بدون مقاومة تذكر . والسبب في ذلك أن حسان بن النعمان قد هيأ له الأرضية الكاملة، وأخمد كل الثورات الأمازيغية والمناوشات الرومية والثورات المضادة، وأسكت كل المتمردين .
هذا، وقد أحضر موسى بن نصير معه ألف فقيه ليعلموا البربر أصول الدين الإسلامي والفقه والحديث. وقد تأثر البربر - فعلا - بحضارة العرب ولغتهم ودينهم بكل سهولة، وتطبعوا بسلوكهم، وتمثلوا مبادئ الإسلام السمحة. وفي هذا، يقول جوستاف لوبون:" للبربر لغة عريقة يحتمل أن تكون مشتقة من الفينيقية الكنعانية. ويدين البربر بالإسلام، ولكنهم كانوا يدينون بآلهة قرطاجنة الكنعانية. وقد تعربت البربرية حيث تتألف لغة بلاد القبائل الأمازيغية بنسبة الثلث من العربية. فتأثير العرب في شمال أفريقيا أكبر وأقوى من الرومان والإغريق الذين لم يتركوا أثرا في اللغة البربرية."[201]
ومن ثم، فقد اتخذت فتوحات موسى بن نصير وجهتين أساسيتين: وجهة بحرية للهيمنة على البحر الأبيض المتوسط وجزره، ووجهة برية لفتح

[201] - نقلا عن عز الدين المناصرة: نفسه، ص:88.

جميع الثغور والمناطق التي استعصت على الفتح من قبل حسان بن النعمان من أجل نشر الإسلام، والتعريف بدين محمد (صلعم).
وعليه، إذا كان الفتح العربي الإسلامي في الشرق قد تم بسرعة لافتة للانتباه، حيث أخضع المسلمون، في عهد عمر بن الخطاب (ض)، مجموعة من البلدان، كالشام ، ومصر، والعراق، وفارس . فقد ظلت أفريقيا الشمالية منطقة عسيرة، وأرضا خطيرة بسبب وعورة التضاريس الأفريقية. كما أن الأمازيغ يعرفون بشدة المقاومة لكل من حاول الاعتداء على حريتهم وممتلكاتهم.علاوة على صلابة عودهم، وكثرة شجاعتهم ، وقوة شكيمتهم. أضف إلى ذلك رفضهم للضيم، وعدم رضاهم عن الذل والعار نظرا لاعتزازهم الكبير بأنفسهم أنفة وكرامة واستعلاء . لذا، بقيت أفريقيا الشمالية وعرة التطويع من قبل الفاتحين المسلمين ، وصعبة الإخضاع لمدة تتراوح بين 22هـ و82هـ. أي: فترة زمنية تقدر بـ60 سنة من تاريخ المد والجزر من أجل نشر الإسلام بين ساكنة تامازغا التي أظهرت العناد، وعدم الانقياد بسهولة لسلطة الخلافة الأموية . ومن ثم، كان إسلامهم يتأرجح بين الاعتناق الطوعي و الردة المؤقتة .
وقد قيل: "إن البربر ارتدوا بإفريقية المغرب اثنتي عشرة مرة، وزحفوا في كلها للمسلمين، ولم يثبت إسلامهم إلا في أيام موسى بن نصير، وقيل بعدها.[202]"
وفي الأخير، لقد اعتنق الأمازيغيون الإسلام عن حب وإيمان واقتناع ، ووجدوا فيه ضالتهم للتخلص من الضيم والظلم والاستعباد. كما كان ذلك منتشرا في عهود الرومان والوندال والبيزنطيين، فاندمجوا في المجتمع الإسلامي الكبير بكل سهولة ويسر ومرونة، وصاروا دعاة له في كل زمان ومكان.

وخلاصة القول، فقد عرف الأمازيغيون بتدينهم الشديد اللافت للانتباه، وتمسكهم الرصين بعقائدهم التي نشأوا عليها فطرة أو اكتسابا. وفي هذا ، يقول اصطيفان اكصيل :" إن البربر في غالبيتهم متدينون، ويشعرون أن لهم رسالة. وهم يدافعون عن معتقدهم بحمية، تشهد بها على الخصوص

[202] - ابن خلدون: نفسه، ص:103.

تلك السلسلة الطويلة من الفتن والحروب التي جرت في القرون الأخيرة من أعصر التاريخ القديم، وكذلك في القرون التي تلت الفتح العربي."[203] .
ومن هنا، فقد عبد الأمازيغ ، في البداية، الحيوانات والأوثان والأصنام والملوك . وقدسوا مظاهر الطبيعة من شمس، وقمر، وأرض، ومطر...، وتأثروا بديانات القرطاجنيين والفينيقيين والفراعنة واليونان والرومان، فعبدوا تانيت ، وبعل، وأمون، وبوسيدون، ومارس، وهرمس، وايزيس، وأوزيريس، ومترا، وباخوس، وأسكولاب... كما انساقوا وراء اليهودية والنصرانية، لينتقلوا - فيما بعد- إلى تمثل عقيدة الإسلام إلى يومنا هذا.
وقد نشأ ، في وسط الأمازيغيين، مجموعة من علماء الدين واللاهوت الذين تمكنوا من اللغات والثقافات المجاورة، فتسلحوا بعلوم الدين والمنطق والفلسفة والجدل والمناظرة، ثم أصبحت لهم مكانة كبيرة في تاريخ العقيدة وأصول الدين والفكر إلى يومنا هذا.

---

[203] - اصطيفان اگصيل: نفسه، ص:112-113.

الفصل التاسع:

الثقافة الأمازيغية القديمة والبعد المتوسطي

من المعروف أن الثقافة الأمازيغية قد انتشرت جغرافيا بين ضفاف حوض البحر الأبيض المتوسط ووراء الصحراء الكبرى ، كما في الوثائق التاريخية القديمة والحديثة والمعاصرة، بعد أن استفادت هذه الثقافة من ثمار مجموعة من الحضارات المجاورة ، مثل: الحضارة الفينيقية، والحضارة المصرية،والحضارة اليونانية، والحضارة القرطاجنية، والحضارة الرومانية. وبعد ذلك، استفادت هذه الثقافة الأمازيغية من نتائج الحضارة العربية الإسلامية فكرا، ودينا، وعقيدة، وقيما . بل يمكن القول : إن الكثير من المثقفين والأعلام الأمازيغيين قد ألحقوا، عن حسن نية أو سوء نية، بثقافات متوسطية نسبا وتجنيسا ولغة ومركزا . فقد رومنت الثقافة الرومانية أو اللاتينية - مثلا - الكثير من المبدعين والمفكرين والمثقفين الأمازيغ اعتزازا بهم ، وإشادة بأعمالهم، كما هو الحال مع أغسطينيوس النوميدي، وترنيوس الأفريقي ... وهناك الكثير من المثقفين الأمازيغيين أدمجوا في الحضارة القرطاجنية، أو الحضارة المصرية، أو الحضارة اليونانية، حتى اختلطت الأسماء والأمور على الباحثين والدارسين في تاريخ شمال أفريقيا.

وعلى الرغم من ذلك، فقد ساعدت هذه الثقافات المتوسطية المجاورة الثقافة الأمازيغية المحلية على الانفتاح والازدهار والانتعاش والتقدم في جميع المجالات والميادين. بل حققت الثقافة الأمازيغية، في فترة من الفترات، نوعا من التعايش بين الأنا والآخر، في أثناء التعايش مع الثقافة الفينيقية، والثقافة المصرية، والثقافة اليونانية،والثقافة القرطاجنية، والثقافة العربية الإسلامية . بيد أن هذه الثقافة الأمازيغية المحلية قد دخلت، في فترات أخرى، في مرحلة الصراع الجدلي المرير مع ثقافات مضادة

أخرى ، مثل: الثقافة الرومانية ، والثقافة البيزنطية ، والثقافة الوندالية، والثقافة الغربية الحديثة والمعاصرة. فقد كانت هذه الثقافات مبنية، في جوهرها، على النهب، والإقصاء، والعدوان، والقهر، والتغريب، والاستعمار، والاستغلال، والاسترقاق، والازدراء.
إذاً، ما تجليات البعد المتوسطي في الثقافة الأمازيغية القديمة؟ وماخصائص هذه العلاقة التي كانت تستند إليها الثقافة الأمازيغية في تعاملها مع الثقافات الأخرى؟ هذا ما سنوضحه في هذه الأسطر التالية:

المبحث الأول: الثقافـــة الأمازيغيـة ثقافـة متوسطيـــة

استوطن الأمازيغيون شمال أفريقيا، أو ما كان يسمى بمنطقة تامازغا المحاذية لحوض البحر الأبيض المتوسط شمالا وشرقا، والمجاورة للصحراء الكبرى جنوبا. وكانت تامازغا ممتدة من موريتانيا والمحيط الأطلسي غربا إلى حدود مصر وشمال السودان شرقا، ومن شريط البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى النيجر ومالي وبوركينافاسو جنوبا.
وبعد مرحلة الانعزال والانطواء والانكماش في شمال أفريقيا، انتعشت الثقافة الأمازيغية المحلية أيما انتعاش بفضل مثاقفتها واحتكاكها مع مجموعة من الشعوب التي استقرت بضفاف حوض البحر الأبيض المتوسط، فتعرف المثقفون الأمازيغ إلى العديد من الحضارات الزاهية، كالحضارات الأفريقية الجنوبية، والحضارة الفينيقية ، والحضارة القرطاجنية، والحضارة الفرعونية، والحضارة اليونانية، والحضارة اللاتينية، والحضارة العربية الإسلامية. ومن ثم، فقد كتب المثقفون الأمازيغ بعدة لغات كانت معروفة في تلك الفترة، فكتبوا بالإغريقية، واللاتينية، والبونيقية، والعربية. ولم ينسوا أن يكتبوا بخط تيفيناغ، كما تدل على ذلك مجموعة من الآثار الموجودة بصحراء الطوارق بالجزائر ومالي على سبيل التمثيل. بيد أن ما وصلنا من كتابات وشذرات المثقفين الأمازيغ كانت باليونانية، واللاتينية، والبونيقية، واللغة العربية. وفي هذا الصدد، يقول محمد شفيق في كتابه (**لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين)**:" نتج عن مفعول المثاقفة المفروضة من قبل روما على أفريقية الشمالية أن نبغ في الكتابة باللاتينية أجيال متتابعة من

الأمازيغيين، فأسهموا إسهاما مهما في إغناء الفكر والأدب الرومانيين"[204].
هذا، ومن أهم مظاهر الازدهار الحضاري والثقافي في منطقة تامازغا ، إبان المرحلة اللاتينية ، هو تشييد الكثير من المسارح والملاعب الرياضية (رياضة المصارعة على سبيل المثال) ، وبناء المكتبات الثقافية الخاصة (مكتبات الملوك والنبلاء كمكتبة يوبا الثاني مثلا)، وإرساء المكتبات العامة كما يقول أندري جوليان:" لقد عثر لأول مرة في تيمقاد على آثار إحدى تلك المكتبات العمومية التي كثيرا ما ورد ذكرها في النقوش والنصوص اللاتينية ، ويرجع الفضل في تأسيسها إلى كرم مواطن ثري. وكانت هذه المكتبة عبارة عن قاعة في شكل نصف دائرة، تواجه الداخل إليها مشكاة كبيرة، وضع فيها ولاشك تمثال الآلهة مينرفا. وكانت الخزائن الكثيرة المشدودة إلى جدرانها وقاعات المستودعات الإضافية الثلاثة مشحونة بالمخطوطات، بحيث كان في الإمكان بهذه الطريقة وضع 2300 مجلد في مكان ضيق نسبيا."[205]
ومن المعروف أن لغة التثاقف التي استعملها المفكرون والمبدعون الأمازيغ بالمدن والمناطق الحضرية، في تلك المرحلة التاريخية، هي اللغة اللاتينية، واللغة اليونانية، واللغة البونيقية. أما الذين كانوا يسكنون البوادي، فقد كانوا يستعملون لغتهم الأمازيغية المحلية، ويجهلون لغات الشعوب الأخرى. علاوة على ذلك، فكبار المثقفين والمبدعين ، وأخص المتعلمين الأغنياء والأرستقراطيين، قد تعلموا في المراكز والعواصم الحضارية الكبرى للشعوب المجاورة، كروما، وأثينا، وقرطاج ... وفي هذا الصدد، يقول شارل أندري حوليان في كتابه(**تاريخ أفريقيا الشمالية**):" لم تعرف روما الحقد العنصري ولا التعصب الديني، ولكنها لم ترض لأسباب سياسية بأن تعوض اللغة اللاتينية لغة أخرى. قال القديس أغسطينيوس:" إن الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب لم تفرض على المغلوبة منها سيطرتها السياسية فحسب، بل لغتها أيضا".
وقد اضطرت الحياة الحضرية عددا كبيرا من البربر إلى تعلم اللغة اللاتينية المفروضة في المحاكم والمجالس البلدية والكتائب، وبقي الكثير

---

[204] - محمد شفيق: نفسه، ص:78.
[205] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:245.

منهم يتخاطبون فيما بينهم باللغة الليبية، ولمدة معينة اللغة البونيقية، ولكنهم كانوا يستعملون اللاتينية في علاقاتهم الرسمية أو لقضاء حاجاتهم. أما في الأرياف، فليس من شك في أن القوم ظلوا دهرا طويلا يجهلون لغة المغيرين."[206]

ويلاحظ ، بكل موضوعية، أن منطقة تامازغا، بكل تجلياتها الثقافية والحضارية والعمرانية والاقتصادية، أقرب إلى البحر الأبيض المتوسط منها إلى أفريقيا التي لا تفصلها عنها سوى الصحراء الكبرى. وفي هذا النطاق، يقول شارل أندري حوليان:" إن بلاد البربر جزء من الأبيض المتوسط الغربي، أكثر مما هي جزء من أفريقيا. فقد كانت لهما العلاقات الأكثر عددا والأكثر غنى مع إيطاليا وإسبانيا... حتى إن من بين القدماء من يجعلها في أوروبا. ويقول لوكان Lucain :" إذا أردت أن تصدق القول المشهور، فإن القسم الثالث من العالم هو ليبيا. ولكن إذا اعتبرت الرياح والسماء، فستنظر إليها كجزء من أوروبا"[207].

يتبين لنا ، من هذا كله، أن الثقافة الأمازيغية ، قديما وحديثا، هي ثقافة متوسطية المصادر والملامح والأبعاد، كانت تحمل في طياتها، بكل وضوح وجلاء ، آثار جدلية التأثير والتأثر.

المبحث الثاني: تجليـــات البعــد المتوسطي في الثقافـــة الأمازيغيـــة

يتجلى البعد المتوسطي في الثقافة الأمازيغية القديمة، بشكل ظاهر، في مجموعة من الإسهامات الفكرية والأدبية والفنية والعلمية والدينية التي قام بها أبناء منطقة تامازغا، بالانفتاح على ثقافات وحضارات ولغات وعادات وتقاليد وأعراف ومنجزات شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط، عبر جدلية التأثير والتأثر...

المطلب الأول: الثقافـــة الأدبيـــة

[206] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:248.

[207] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:48.

من يتصفح ما كتبه المبدعون الأمازيغيون في المرحلة اللاتينية، فسيندهش لما تركه هؤلاء المثقفون الجهابذة، والعلماء الفحول، من بصمات ثقافية جلية في مجال الشعر والخطابة والبلاغة والسرديات. وكان لذلك تأثير كبير واضح في جل المثقفين والمبدعين الذين يستقرون بدول حوض البحر الأبيض المتوسط، ولاسيما روما العاصمة الإدارية والثقافية للإمبراطورية الرومانية. وهذا ما جعل الثقافة الأمازيغية القديمة تتبوأ مكانة متميزة إلى جانب الثقافات المتوسطية الأخرى. بل يمكن القول، بدون مبالغة، بأنها كانت أيضا ثقافة ذات بعد عالمي وإنساني في تلك الفترة، مادامت تتوسل بمجموعة من القنوات التعبيرية ، مثل: اللغة اليونانية ، واللغة البونيقية، واللغة اللاتينية .

ومن أهم الشعراء الذين كان لهم باع كبير في مجال الشعر **منيليوس** الذي اشتهر بقصائده الشعرية في تناول مواضيع ميتافيزيقية تتعلق بالغيب، ومعرفة الطالع. وكانت منظوماته الشعرية تجمع بين الأسلوب الخطابي والتدفق الحماسي . وهناك أيضا الشاعر **فلوروس** الذي كاد أن يجن عندما لم يحرز على جائزة الشعر في مهرجانات الكابيتول[208] .ولا ننسى أيضا المثقف الأمازيغي الكبير **أفولاي أو أبوليوس** النوميدي الذي كان شاعرا متنوع الأغراض والمقاصد، كما يتضح ذلك في ديوانه الشعري(**الأزاهير**). ويعترف أفولاي بموهبته الشعرية بقوله:" أعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط؛ أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة لروح الملحمة أو فيض الوجدان؛ لمرح الملهاة، أو جلال المأساة. وكذلك لا أقصر؛ لا في الهجاء، ولا في الأحاجي؛ ولا أعجز عن مختلف الروايات، والخطب يثني عليها البلغاء؛ والحوارات يتذوقها الفلاسفة؛ ثم ماذا بعد هذا كله؟ إني أنشئ في كل شيء؛ سواء باليونانية أم باللاتينية؛ بنفس الأمل، ونفس الحماس، ونفس الأسلوب".[209]

و إذا انتقلنا إلى مجال السرديات، فلابد من ذكر أفولاي أو أبوليوس(Apuleius) النوميدي مرة أخرى، وقد تأثر كثيرا بالثقافتين: اليونانية والرومانية. فكتب أول رواية في تاريخ الفكر الإنساني هي رواية(**الحمار**

---

[208] - شارل أندري جوليان: نفسه،ص:250.

[209] - أندري جوليان: نفسه، ص:252.

الذهبي) في أحد عشر جزءا. وتتخذ هذه الرواية طابعا اجتماعيا فانطاستيكيا قائما على السخرية والنقد والامتساخ والتحول، والتعريض بممارسة السحر، كما يدل على ذلك كتابه المشهور (**في السحر)**.

ولا يعني هذا أن رواية (**الحمار الذهبي)** لأبوليوس، باعتبارها أول نص سردي ظهر في تاريخ الفكر الإنساني، لم يوجد مثلها في الفكر اليوناني، بل إن أبوليوس يشير ، داخل متنه الروائي، إلى مجموعة من النصوص السردية الروائية والقصصية والمستنسخات الحكائية الإغريقية التي تأثر بها تناصا واستلهاما وامتصاصا واستفادة. بيد أن تلك النصوص السردية اليونانية ضاعت، ولم يصلنا أي شيء منها مع الأسف. لذلك، ظل نص أبوليوس، في مجال السرديات، أول عمل روائي، كان له إشعاع كبير في الثقافتين: المتوسطية والعالمية . مع العلم، أن هذه الرواية قد طرحت جدالا ثقافيا فكريا على مستوى الكتابة: فهل كتبت الرواية باللغة اليونانية أو باللغة اللاتينية أو باللغة البونيقية أو كتبت باللغة الأمازيغية المحلية؟!!![210]

وفي هذا المجال، نستحضر أيضا يوبا الثاني الذي أورد في موسوعته **(ليبيكا)** قصة أو حكاية أمازيغية مشهورة تسمى بــقصة (**الأسد الحقود)**. وفي هذا السياق، يرى محمد شفيق أن تلك القصة الأمازيغية ما تزال الجدات في البوادي المغربية، إلى يومنا هذا، يقصصنها على أحفادهن باللغة الأمازيغية في ليالي السمر من فصل الشتاء [211]. ويعني هذا أن المبدعين الأمازيغ كانوا سباقين في مجال السرديات بصفة عامة، بما فيها القصة، والحكاية، ، والأحجية، والأسطورة، والرواية.

ويشتهر القديس أغسطينيوس في مجال السيرة الذاتية بكتابه**(اعترافات التوبة)** الذي أصبح، في تاريخ الثقافة الإنسانية، أول كتاب في الأوطوبيوغرافيا. وقد أثر تأثيرا واضحا في (**اعترافات)** جان جاك روسو. وفي هذا الصدد، يقول شارل أندري حوليان:" ومما يؤسف له أنه لم يبق لنا من مئات عديدة من خطب القديس أغسطينيوس إلا مائتان وست وسبعون (276) رسالة لها أهمية كبيرة بالنسبة للتاريخ الديني، ولفهم نفسية صاحبها. غير أننا نجد القديس أغسطينيوس بكليته في

---

[210] - جميل حمداوي: (الحمار الذهبي لأبوليوس أول عمل روائي في الفكر الإنساني والأمازيغي)، **جريدة البديل**، الناظور، المغرب، العدد74،السنة 2007م ، ص:13.

[211] - محمد شفيق: نفسه، ص:77.

كتابه(**اعترافات**) النابض صدقا وشعورا ، الطافح وجدانا، وإن لم يخل في بعض الأحيان من أسلوب خطابي . وقد كتب هذا الكتاب في السنوات الأخيرة من القرن الرابع، ولاشك أن يكون كتب في أواخر سنة 397 أو أوائل سنة 398. وليس هو أول تأليف يترجم الكاتب فيه عن نفسه، سواء في الأدب الروماني المطبوع بطابع الدين أم بطابع الدنيا، لكنه لم يسبق أن كتب كاتب صحائف في مثل تلك العاطفة المتأججة، وبذاك الأسلوب الخالي من كل تصنع. فجان جاك روسو وحده هو الذي مضى إلى أبعد من ذلك في الاعتراف بخطاياه. وإن كان روسو قد أراد الكشف إلى إخوانه البشر عن رجل في أجلى مجالي الطبيعة، فإن القديس طمح إلى أسمى من ذلك، فلقد اعترف بمساويه في خضوع متناه، ليبين أن الإنسان إذا هو اعتمد على قواه الذاتية وحدها وقع في الخطيئة لا محالة ، فكان تأليفه تمجيدا للذات الإلهية، يسوده حق من التوتر لا يرحم تتحطم معه الأعصاب. غير أن نجاح هذا التأليف لم يبله الدهر منذ خمسة عشر قرنا."[212]

وهكذا، نستنتج أن أغسطينيوس أول من كتب السيرة الذاتية في الثقافة الإنسانية. وقد اعترف الغرب بذلك أيما اعتراف، بكتابه(**اعترافات التوبة**)، وقد ساهم ، بهذا الكتاب، في انتشار جنس السيرة الذاتية، وانتعاش الأطوبيوغرافيا بين مثقفي ومبدعي دول حوض البحر الأبيض المتوسط، بل أصبح كتاب(**الاعترافات**) مرجعا يحتذى في كتابة السيرة الذاتية والسيرة الغيرية في الآداب الإنسانية بصفة عامة.

أما إذا تحدثنا عن أهم الخطباء الأمازيغ الذين عرفوا بقوة الفصاحة ، وسلاسة الكلمة، ونصاعة البيان، وروعة البلاغة، فلابد من استدعاء مجموعة من الأسماء والشخصيات الفذة ، مثل: كرنيتوس، وأفولاي، وسبيتيموس سواريوس، وفلوروس، وفرونتيوس، وأغسطينيوس...

المطلب الثاني: الثقافـــــة الفنيـــة

[212] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:215.

ساهم الأمازيغ، سواء أكانوا مثقفين أم ملوكا، في خدمة الفنون الجميلة، فأسسوا البنيات التحتية لذلك، حيث وجدنا مجموعة من المسارح التي بناها الرومان في منطقة تامازغا، كمسرح قرطاج بتونس، ومسرح صبرانة بليبيا، ومسرح تيمكاد ودقة وتيبازة بالجزائر، ومسرح ليكسوس بالعرائش. بل أكثر من ذلك فقد أعطى يوبا الثاني اهتماما كبيرا للفنون الجميلة. وفي هذا الصدد، يقول شارل أندري حوليان في كتابه(**تاريخ أفريقيا الشمالية):"** كان عدد المسارح في أفريقية يفوق عدد الملاعب ، وكان مسرحا **تيمقاد ودقة** منحوتين في ربوة كما هو الشأن في اليونان، أما مسرح **تيبازة** فقد كان بالعكس مبنيا ، ومن الممكن أن يتبين المرء إلى اليوم في مسرح تيمقاد الثقب المستطيلة الشكل التي كانت تمكن من تحريك الستار. وكان مسرح دقة المشيد في عهد مرقس أوريليوس يحتوي على 21 مدرجا تنقسم إلى ثلاثة أقسام بواسطة درابزين. وتوجد في مؤخر الركح خمس درجات كبرى توضع فوقها مقاعد متنقلة. ويتركب الجانب الأمامي من الركح من مشاك عديدة لا تزال ماثلة إلى اليوم. وكان طول الركح 75.36م وعرضه 50.5م مفروشا بفسيفساء، تحملها ترابة معتمدة على أقبية. وكانت توجد ثلاثة أبواب في الجدار الخلفي من الركح، كما يوجد بابان على جانبي الركح، يمكن منهما التوصل مباشرة إلى مجموعة من الأعمدة قائمة أمام المسرح".[213]

وكان الشباب والطلبة الأمازيغ من الطبقة الثرية والأرستقراطية، في المرحلة اللاتينية، يقضون معظم وقتهم في المسارح، كما هو الحال في مدينة قرطاج المعروفة بمسارحها وملاعبها ومدارسها العديدة،" وكان الطلبة – يقول شارل أندري حوليان- ينحدرون بصفة عامة من الطبقة الأرستقراطية القاطنة في البلديات. وكان بعض الأغنياء يشمل أحيانا برعايته أحد الشبان البربر النجباء، فيمكنه من تنمية ملكاته في قرطاج. ولم يكن هؤلاء الشبان جميعهم، مثلا يحتذى في المواظبة والفضيلة. فكانوا يرتادون المسارح والملاهي، وينغمسون فيما سماه القديس أغسطينيوس متندما مرجل الأهواء التي يندى لها الجبين."[214]

---

[213] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:242.

[214] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:249.

كما أنشأ يوبا الثاني عدة مؤسسات فنية وثقافية، كالمكتبات ومعاهد الموسيقا والتمثيل والرسم والنحت بكل من شرشال ووليلي، وكان يتقن اللغات اليونانية والبونيقية واللاتينية. وهذا كله هو الذي دفع الشيخ پلين(Pline L'Ancien)إلى القول :" كانت شهرة يوبا بخدماته العلمية تفوق شهرته بملكه" [215]. ولم يكن يوبا الثاني" هو الوحيد المهتم بالفنون الجميلة ببلاد المغرب آنئذ؛ فثمة آخرون كانت لهم الاهتمامات نفسها؛ لأن التأثير الإغريقي والفينيقي والروماني لابد أن يولد اهتماما معينا بين السكان؛ وإذا لم يهتم بذلك السكان كلهم ، فقد يهتم بعضهم..."[216]
هذا، وقد اهتم يوبا الثاني بالنحت والموسيقا كما في موسوعته الموسيقية الضخمة. وأولى أهمية كبرى للرسم كما في كتابه(**فن الرسم**) أو (**عن الرسامين)**، ولم ينس رعايته لفن المسرح كما في كتابه(**تاريخ المسرح**). بل أكثر من هذا، فقد عني أيما عناية بالكوريغرافيا المسرحية، من خلال الجمع بين الرقص والموسيقا والتمثيل . والدليل على ذلك أن فقرات كتاب(**تاريخ المسرح**) تشير إلى " آلات موسيقية وقع اختراعها في بلدان مختلفة، وبرقصات إغريقية وأجنبية، وبالطريقة التي يحسن أن توزع بها الأدوار على الممثلين."[217]
ولم تظل مكانة يوبا الثاني الثقافية والعلمية حبيسة تامازغا فقط، بل انتشر صيتها متوسطيا، ولاسيما في بلاد اليونان والرومان. وهذا ما يؤكده اصطيفان اكصيل(Gsell Stéphane) بقوله:" وفعلا، فإن أدبه وعلمه جعلاه على الخصوص أهلا لمدح أهل عصره والأجيال التي جاءت بعده. ولما قرر أهل أثينا، وهم قوم لا يشق غبارهم في المجاملات، أن يكرموا هذا العاهل الذي يسود منطقة واسعة أقاموا تمثاله بالقرب من إحدى خزانات الكتب، ويرى فيه بلوتراك:" أفضل المؤرخين الذين وجدوا من الملوك"، ولكن يلاحظ بواسيي Boissier إن كلمة بلوتارك هذه ليس فيها مدح كبير ليوبا. ثم يضيف بلوتراك قائلا:" وهو يعد من أعلم

[215] - اصطيفان اكصيل: **تاريخ شمال أفريقيا القديم**، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة تاريخ المغرب، الجزء الثامن والأخير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى سنة 2007م، ص:219.
[216] - بوزياني الدراجي: نفسه، ص:55.
[217] - اصطيفان اكصيل: نفسه، ص:235.

المؤرخين الإغريقيين" . وهذا مديح لا يشوبه خبث. ويثني الغير على علمه المتنوع وحياته التي كرست بأجمعها لدراسة الآداب".[218]

ومن أهم المبدعين المتميزين في مجال الفن المسرحي ، وهم ينتمون إلى الثقافة الأمازيغية ، أفولاي وتيرينتيوس آفر. فقد كان أفولاي - مثلا- مولعا بكتابة المسرحيات التراجيدية والمسرحيات الكوميدية معتمدا في ذلك على اللغتين اليونانية والرومانية. وفي هذا السياق يقول أفولاي:" اعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط؛ أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة لروح الملحمة أو فيض الوجدان؛ **لمرح الملهاة، أو جلال المأساة**. وكذلك لا أقصر؛ لا في الهجاء، ولا في الأحاجي؛ ولا أعجز عن مختلف الروايات، والخطب يثني عليها البلغاء؛ والحوارات يتذوقها الفلاسفة؛ ثم ماذا بعد هذا كله؟ إني أنشئ في كل شيء؛ سواء باليونانية أم باللاتينية؛ بنفس الأمل، ونفس الحماس، ونفس الأسلوب".[219]

هذا، ويعد تيرنشي آفر أو تيرينتيوس آفر Terentius Afer من كبار المثقفين الأمازيغ في مجال المسرح، وهو من أصل أفريقي ليبي، كما تدل على ذلك كلمة (آفر المشتقة من أفريقيا) . وقد سباه الرومان في معاركهم المظفرة على القرطاجنيين، فحملوه معهم إلى روما ، ثم تسمى باسم سيده تيرينتيوس الذي تكلف برعايته منذ طفولته ، ثم رباه تربية أرستقراطية نبيلة إلى أن صار شابا بالغا، فعلما ثقافيا بارزا في ميدان المسرح والدراما. وقد اغترف تيرينتيوس من الثقافتين اليونانية والرومانية على غرار الكثير من مثقفي زمانه. وبالتالي، فقد كتب ست مسرحيات مشهورة في الأدب الروماني أو اللاتيني. لذا، أدمجه مؤرخو الأدب الغربي ضمن الأدب اللاتيني. وكان ترنتيوس يكتب كل سنة مسرحية واحدة، أو ما يمكن تسميته شخصيا بالمسرحيات الحولية، من سنة 166 إلى سنة 160 ق.م . ومن أهم مسرحياته الست: الأخوان، ومعذب نفسه، والخصي، وفتاة أندروس، والحماة، وفورميو.[220]

---

[218] - اصطيفان اكصيل: نفسه، ص:219.

[219] - أندري جوليان: نفسه، الجزء الأول، ص:252.

[220] - جميل حمداوي: **المسرح الأمازيغي**، منشورات الزمن، الرباط، الطبعة الأولى، سنة 2008م، ص:22.

علاوة على ذلك، فقد" طارت له شهرة كبيرة دفعة واحدة، ونال الجوائز؛ فحسده الحساد، واتهموه بالسرقة الأدبية، فدافع عن نفسه بما كان له من قوة. فأنصفه التاريخ من بعد، ورد إليه نقاد العصور المتعاقبة اعتباره كاملا، وبينوا أن تأثيره في الأدب المسرحي بقي ظاهرا إلى حدود القرن السابع عشر."[221]

وقد مات تيرينتيوس ببلاد اليونان من شدة حزنه وكمده، وإفراطه في حب الأدب، وهو مازال في ريعان شبابه ، في الثلاثين من عمره ، بعد أن ضاعت مخطوطاته العديدة والمتنوعة في البحر.

هذا، ويرى عثمان الكعاك، في كتابه (البربر)، أن الأمازيغ كانوا يشاركون في تمثيل مسرحيات فوق خشبات المسرح اليوناني والمسرح الروماني والمسرح القرطاجني. وفي هذا الصدد، يقول الباحث:" التمثيل قديم عند البربر جاؤوا به من الهند ، وأسس له يوبا الثاني معهدا لتدريسه بشرشال، وألف فيه التصانيف، والتمثيل البربري إما ديني على الطريقة الهندية واليونانية القديمة، فهو أناشيد ورقص وحركات وتصاوير تمثيلية لاسترضاء الآلهة أو إبعاد غضبهم، أو خزعبلات مضحكة للسخرية من بعض الشخصيات البارزة، وإظهار عيوب الناس المنتقدة، وشارك البربر في التمثيل اليوناني ثم الروماني، لاسيما وقد نبغ منهم **طيرستيوس القرطاجني** أكبر مسرحي باللغة الرومانية، وقد بنى ابن جلدتهم غورديانوس مسرح الجم وهو من أكبر المسارح الرومانية، والمسارح منبثة في شمال أفريقيا يدل على ولوع البربر بالفن المسرحي."[222]

وهكذا، يتبين لنا أن الأمازيغ كانوا سباقين إلى الاهتمام بالفعل المسرحي تنظيرا وتشخيصا وتأليفا وإخراجا.

المطلب الثالث: الثقافـــة اللاهوتيـــة

عرف الأمازيغ بتدينهم الشديد اللافت للانتباه، وتمسكهم الرصين بعقائدهم التي نشأوا عليها فطرة أو اكتسابا. وفي هذا ، يقول اصطيفان اكصيل :"إن البربر في غالبيتهم متدينون، ويشعرون أن لهم رسالة. وهم يدافعون عن

[221] - محمد شفيق: نفسه، ص:78.

[222] - عثمان الكعاك: نفسه، ص:117.

معتقدهم بحمية، تشهد بها على الخصوص تلك السلسلة الطويلة من الفتن والحروب التي جرت في القرون الأخيرة من أعصر التاريخ القديم، وكذلك في القرون التي تلت الفتح العربي."[223] .

ومن هنا، فقد عبد الأمازيغ، في البداية، الحيوانات، والأوثان، والأصنام، والملوك . وقدسوا مظاهر الطبيعة من شمس، وقمر، وأرض، ومطر... وتأثروا بديانات القرطاجنيين والفينيقيين والفراعنة واليونان والرومان . فعبدوا آلهتهم كتانيت ، وبعل، وأمون، وبوسيدون، ومارس، وهرمس، وايزيس، وأوزيريس، ومترا، وباخوس، وأسكولاب... كما انساقوا وراء اليهودية والنصرانية، لينتقلوا - فيما بعد- إلى تمثل عقيدة الإسلام إلى يومنا هذا.

وقد نشأ ، في وسط الأمازيغيين ، مجموعة من علماء اللاهوت الذين تمكنوا من اللغات والثقافات المجاورة، فتسلحوا بعلوم الدين والمنطق والفلسفة والجدل والمناظرة.

ومن بين هؤلاء اللاهوتيين **تارتولي أو ترتوليانوس Tertullianus** (المتوفى سنة 240م) الذي تخلى عن عبادة الوثنية، فاعتنق دين النصرانية. ثم تحمس له حماسا شديدا، ثم دافع عن المسيحية أيما دفاع واستماتة، فوقف في وجه الكنيسة الرومانية الداعية إلى الاستغلال ، وتكريس التفاوت الطبقي ، في كتابه(**دفاعا عن الدين Apologeticus**)، فحرض الأمازيغ على التخلص من الخدمة العسكرية في الجيش الروماني. وقد تناول تارتولي في كتابه مجموعة من القضايا الخلقية، في ضوء العقيدة المسيحية الجديدة ، حيث كان يدعو إلى العفة والأخلاق الفاضلة، ويحارب اليهود وأهل البدع الضالة والمنحرفة.[224]

وإلى جانب تارتولي، نذكر العالم اللاهوتي **أرنوبي الأكبر Arnobius** الذي ولد بنوميديا في منتصف القرن الثالث الميلادي. وقد تنصر في شيخوخته، بعد أن قضى جل حياته في الوثنية. ومن أهم كتبه في هذا المجال(**ضدا على الوثنيين Adversus nations**) الذي ألفه سنة 300 ميلادية، متحاملا فيه على الوثنية وعبادة الأصنام، مع التأكيد، في الوقت نفسه، أن الفوز بالنجاة في الدنيا والآخرة لن يتم ذلك إلا بعبادة الله،

---

[223] - اصطيفان اكصيل: نفسه، ص:112-113.

[224] - محمد شفيق: نفسه،ص:79.

والإيمان به قولا وفعلا وسلوكا. وقد عد أرنوبي في الثقافة المسيحية المتوسطية أنه من آباء الكنيسة؛ لأنه كرس كل حياته لخدمة النصرانية، والتبشير بها، فترك عمله ، بسبب ذلك، للتفاني في الدفاع عن الدين الجديد، وتقويض أركان الوثنية .

ويمكن الحديث عن شخصية دينية أخرى ثائرة هي شخصية **دوناتوس** المتوفى سنة 335 ميلادية، فقد ألف كتابا عن (**الروح القدس**) ، وخاض ثورة دينية بنوميديا ضد الرومان وكنسيتهم الطبقية ، وتسمى هذه الانتفاضة بالثورة الدوناتية.

وهناك عالم لاهوتي آخر يسمى **بمينوسيوس فيليكس** الذي ألف كتابا بعنوان(**OCTAVIUS**). وهو عبارة عن حوارات دينية سجالية، يدافع فيها الكاتب عن المسيحية في وجه الاعتراضات المألوفة الموجهة ضد هذا الدين الجديد في تلك الفترة.

بيد أن أهم عالم لاهوتي أمازيغي هو القديس **أوغستان أو أوغوسطينوس Augustinus** النوميدي، فقد كانت له مكانة دينية كبرى لدى الأمازيغ والرومان على حد سواء. فقد كان يمثل الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية القيصرية. ثم ، تبحر كثيرا في علم اللاهوت المسيحي. ثم ، ترقى في مناصب كنسية عالية في ظرف تسع سنوات فقط، إلى أن أصبح أسقفا في مدينة عنابة سنة 396م. ومن هنا، فقد كرس أوغيسطينوس حياته لتنظيم الكنيسة الأمازيغية والأفريقية ، وتأليف الكتب الدينية واللاهوتية .

ومن أهم كتبه اللاهوتية القيمة، كتاب (**مدينة الله**) الذي دافع فيه عن المسيحية، مع انتقاد الدوناتيين بشدة، وكتاب(**اعترافات التوبة**) ، وكتاب (**المراسلات**)....

المطلب الرابع: الثقافـــة الفلسفيـــة

من المعلوم، أن العديد من المفكرين والمثقفين وعلماء اللاهوت الأمازيغ، في كتب تاريخ شمال أفريقيا، قد انشغلوا بالفلسفة والتصوف، متأثرين في ذلك بالمدارس الفلسفية اليونانية، ولاسيما فلسفة المدرسة الرواقية ، وفلسفة المدرسة الإسكندرية بمصر...

ومن بين هؤلاء الفلاسفة المتمذهبين **كرنيتوس** الذي تمثل الفلسفة الرواقية، وأسس بروما مدرسة له ليشرح فيها تلك الفلسفة الأخلاقية القائمة على نشدان القيم والفضيلة الكاملة، وأوغسطينوس صاحب الفلسفة اللاهوتية ذات التوجه المسيحي والأخلاقي، وترتيليوس الذي كان يجمع بين اللاهوت والفلسفة...

ومن أهم المدارس الفلسفية الأمازيغية المشهورة في تاريخ الفكر الفلسفي القديم المدرسة القورينائية (L'école cyrénaïque) التي ارتبطت بالفيلسوف الأمازيغي المغاربي أرستبوس (Aristippe)(425-355ق.) الذي ولد في قورينة بليبيا[225]، ثم رحل إلى أثينا، ثم اتصل بفلاسفتها المعروفين في تلك الفترة كسقراط. ويعني هذا أن المدرسة القورينائية أمازيغية النشأة. في حين، تعد المدرسة الرواقية فينيقية الأصل.

وقد أسس أريستبوس مدرسة فلسفية تولت ابنته أريتي (Arété) الإشراف عليها.وبعد ذلك، تولى إدارتها حفيده أرستبوس الشاب(Aristippe Metrodidactos) المعروف بمذهب اللذة[226]. ولم تصلنا كتابات هذه المدرسة الفلسفية، بل ضاعت، ولم يبق منها سوى شذرات و روايات حول نظريتهم الفلسفية غير المعروفة بدقة، يتناقلها الفلاسفة الذين جاؤوا بعد اندحار المدرسة القورينائية. وتدور نظريتهم الفلسفية، في عمومها، حول أخلاق اللذة، والمعرفة الحسية النسبية، والفلسفة الذاتية الجذرية، والتقابل بين اللذة والألم.

وكان الفيلسوف أرستبوس يبحث عن سعادته بالبحث عن اللذات الحسية التي تذهب عنه الألم. ومن ثم، تنقسم اللذات عنده إلى قسمين: لذات الجسد الحسي ولذات الروح، و كان يعد اللذات المادية والحسية أفضل من اللذات العقلية والروحية، أو متساوية في بعض الروايات الفلسفية الأخرى. وفي هذا، يشبه ريستبوس الفيلسوف أبيقور إلى حد كبير. وهذه اللذة الحسية هي التي تحرره من عالم الأشياء والزمان.وبالتالي، فاللذة هي أساس الوجود الإنساني.

---

[225] - توجد قورينة بليبيا، وهي تابعة لمقاطعة أو محافظة بنغازي.

[226]- M. Onfray, **L'Invention du plaisir : Fragments cyrénaïques**, Livre de poche / Biblio essais, 2002.

ومن جهة أخرى، تقوم المعرفة عند أرستبوس على الحس التصوري كبروتاغوراس.ومن ثم، فالإحساس نسبي، لايمكن أن يتفق عليه الجميع.على عكس اللغة التي يتفق عليها الكل، فتستعمل للتواصل والتفاهم والتحاور[227]. ومن ثم، يقول أريستبوس :إننا لاندرك سوى إحساساتنا، ولا نعرف سبب هذه الإحساسات، ونختلف في تلك الأحاسيس التي تختلف من شخص إلى آخر. ومن ثم، فالإحساس منعزل عن العالم الخارجي، كأنه محصور في فضاء ضيق بعيدا عن أحاسيس الآخرين. وهذا ما دفعه إلى القول بعدم معرفة إن كانت أحاسيس غيرنا تشبه أحاسيسنا؛ لأنهم يستخدمون الألفاظ فقط للتعبير عن أحاسيسهم.

وقد ازدرى أرستبوس القورينائي العلوم والمعارف النظرية كالكلبيين.وترتبط الأخلاق عنده على الشعور باللذة والألم. وبعده، جاء أرستبوس الشاب، ودافع عن مذهب اللذة والحسية. وقد ساهم الفلاسفة القورينائيون في انتشار الإلحاد بين الناس.

هذا، ويعد هاجياس (Hêgêsias Péisithanatos) آخر فيلسوف قورينائي، فقد كان يؤمن باللذة، ويعدها الخير الوحيد، ولكن يصعب الحديث عن لذة خالصة بدون ألم وشقاء وعناء؛ لأن الألم يصاحب حياة الإنسان[228]. لذلك، نادى هاجياس إلى ضرورة التخلص من اللذة والآلام مستشفيا بالموت.ولقب هاجياس بالناصح بالموت،واقتنع البعض بأقواله وانتحروا.بيد أن الملك بطليموس أغلق المدرسة القورينائية، ونفى هاجياس مخافة أن تنتقل عدوى الموت إلى الآخرين[229].

المطلب الخامس: الثقافــة اللغويــة أو الفيلولوجية

يعد يوبا الثاني من أكثر المثقفين الأمازيغ اهتماما باللغات والفيلولوجيا التاريخية والاشتقاقية، فكان يبحث في مصادر اللغة اللاتينية، ويرجع

---

[227] - أميرة حلمي مطر: **الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، طبعة 1998م، ص:350.

[228] - أميرة حلمي مطر: نفسه، ص:350.

[229] - يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة اليونانية**، مطبعة لجنة التأليف والنشر والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة 1953م، ص:283-285.

كلماتها إلى أصولها اليونانية اعتمادا على الاشتقاق. وقد تحامل عليه المؤرخ الفرنسي اصطيفان اكصيل كثيرا في كتابه(**تاريخ شمال أفريقيا القديم)** بقوله:" وله غرام شديد بالدراسات اللغوية (فقه اللغة/ الفيلولوجيا)، وكان مقتنعا أن اللاتينية كانت من قبل هي الإغريقية، ولكن اعتراها شيئا فشيئا التحريف بسبب اختلاطها باللغة الإيطالية، فكان هو يجتهد في الكشف عن الأصول الإغريقية للعديد من الألفاظ اللاتينية، الأمر الذي دفع به ليقول حماقات ربما كانت أكثر مما قالها غيره ممن يتمسكون بهذا الرأي الواهي. وكان يحب جمع الألفاظ الآتية أو التي قيل إنها أتت من اللغات الأجنبية، مثل لهجات الهند، وبلاد العرب وآسيا الصغرى، وأثيوبيا. ويحتمل أن يكون پلين Pline نقل عنه الألفاظ المستعملة عند سكان شمال أفريقيا."[230]

ومن أهم كتب يوبا الثاني في مجال اللغويات كتاب(**التحريف في اللغة)**، وقد بحث فيه يوبا الثاني عن التحريفات اللغوية والدلالية التي تعتري معاني الكلمات. وعلى الرغم من انتقادات اصطيفان اكصيل غير الموضوعية ، فقد كان يوبا الثاني ملكا مثقفا موسوعيا، يعنى كثيرا بالبحث العلمي مسحا واستقراء واستقصاء، ويشتغل في عدة ميادين ومجالات علمية متنوعة ، معتمدا في ذلك على مكتبته الخاصة الزاخرة بالكتب الثمينة والنادرة، والاتكاء أيضا على البعثات العلمية التي كان يرسلها من فينة إلى أخرى إلى بقاع العالم بغية استكشاف مجموعة من الحقائق العلمية والفكرية والفنية واللغوية؛ مما أهله ذلك لتناول مسائل اللغة والفيلولوجيا بكل يسر وسهولة.

ويمكن الحديث أيضا عن أقدم موسوعة إنسانية لمارتيانوس **مينيوس فيلكس** كابيلا(**Martianus Capella)** الذي عاش في القرن الخامس الميلادي. وقد ولد في الجزائر بسوق هراس، وتسمى موسوعته ساتريكون أو الهجائيات (Satyricon) التي ظهرت في أجزاء تسعة بعنوان (اقتران عطارد بالفيلولوجيا)، وقد تناول فيها علم الكواكب، والفلسفة، والنفس، والفيلولوجيا، والهندسة، والنحو، والبلاغة، والفلك، والإيقاع الموسيقي، والحساب،والهندسة، والجغرافيا، والمنطق.

---

[230] - اصطيفان اگصيل: نفسه، ص: 220-221.

ومن ثم، لا يقدم الكتاب محتويات أو مضامين علمية ، بل يقدم معارف أدبية وأسطورية من خلال استعمال النثر والمقاطع الشعرية.

المطلب السادس: الثقافـــة العلميــــة

اهتم كثير من المثقفين الأمازيغ بالمعارف العلمية التي تتعلق بالطبيعة والتاريخ والجغرافيا والفلك والرياضيات. و من بين هؤلاء الملك الأمازيغي يوبا الثاني الذي كتب موسوعة علمية في ثلاثة أجزاء تحت عنوان(**ليبيكا Lybica/ الليبيات**). وتتعلق هذه الموسوعة العلمية باستعراض عادات المجتمع الأمازيغي، وتقاليده، ولغته، وثقافته، وبيئته. كما خصص كتابا آخر لتاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها سماه(**آرابيكا/ Arabica**).

ويرى المؤرخ الفرنسي اصطيفان أگصيل، في كتابه(تاريخ شمال أفريقيا القديم)، أن كتاب (الليبيكا) ليوبا الثاني يتكون من " ثلاثة كتب على الأقل، تشمل على ما يحتمل مواد مختلفة جدا، من الجغرافيا، إلى التاريخ، إلى التاريخ الطبيعي، إلى الميثولوجيا وغير ذلك. وكان يوبا في مؤلفه هذا يقتبس من رحلة حانون، فنستنتج نحن أنه قد وصف سواحل القارة، ويمكن أن نفرض من خلال نص پلين إنه وصف جبال الأطلس كذلك. ولاشك أنه في هذا الكتاب قد ذكر نتائج بحثه عن النيل وعن جزائر كناريا ، كما ذكر المصبغات التي أنشئت بأمر منه في الجزائر الفرفورية."[231]

وكان يوبا الثاني، كما قلنا سابقا ، يرسل مجموعة من البعثات العلمية للبحث في عدة مجالات وميادين، كالبحث عن أصل النيل، وعن جزائر كناريا، والبحث في الكتب البونيقية عن المعلومات العلمية المتعلقة بالتاريخ والجغرافيا[232]. وهناك في كتابه (**ليبيكا**) إشارات إلى هذه البعثات العلمية ، واهتمامات كبيرة بدراسة الحيوانات والنباتات والمياه والجبال...

هذا، ولا نعرف من مؤلفات يوبا الثاني " سوى تسعة عناوين . ولاشك أنه نشر كثيرا غيرها. وكانت كلها باللغة الإغريقية، ولم يصلنا أي واحد منها. ولكن بقيت لنا منها مقتطفات كثيرة بفضل الاستشهادات المروية عنه

---

[231] - اصطيفان اگصيل: نفسه، ص: 229.

[232] - اصطيفان اگصيل: نفسه، ص: 222-221.

بنصها إلى حد ما، والمبعثرة في كتب مختلف المؤلفين، مثل: بلين، وبلوتراك، وأثيني وغيرهم. والحق أن جل هذه المقتطفات قصيرة جدا، كما تعسر معرفة الكتاب الذي أخذت الفقرة منه، عندما ينعدم ذكر المرجع..."[233]

ومن أهم هذه الكتب التي ألفها يوبا الثاني، نذكر: ليبيكا، وأرابيكا، وموسوعة الموسيقا الضخمة، وكتاب تاريخ روما أو الأركيولوجيا الرومانية، وكتاب الأشباه(15 جزءا) ، ومختصر الآشوريين (جزءان)، ورسالة صغيرة عن نبات أوفورب، وكتاب عن فن الرسم أو الرسامين (ثمانية أجزاء)، وتاريخ المسرح...

وعليه، فقد كان يوبا الثاني يحسن - حسب شارل أندري حوليان في كتابه(**تاريخ شمال أفريقيا**)-:" اليونانية واللاتينية والبونيقية، وكان في تآليفه آخذا من كل شيء بطرف ، فلم يبق علم واحد غريبا عنه، وكان في إمكانه أن يكتب في كل موضوع بفضل مكتبته الثرية ونساخه الذين لا يعرفون التعب .غير أن تآليفه لم تبق بعده ، ولعله من المؤسف أن يكون كتاب ليبيكا قد ضاع، إذ ربما وجدنا في كتاباته عرضا لبعض المعلومات عن التقاليد المحلية."[234]

ومن أهم العلماء الأمازيغ الآخرين في المجال العلمي أوفوربوس الذي اشتهر في مجال الطب والصيدلة. وكان طبيب يوبا الثاني، وقد اكتشف دواء ضد السموم قادرا على تنشيط الفكر وترويح النفس. " وباسم ذلك الطبيب يسمى ذلك النبات، في اللغات الإفرنجية، إلى اليوم : Euphorbia,Euphorbe...، وهو الفربيون، أحد أنواع اليتوع أو التيوع المعروف بـ" تاناغوت " و"تاناخوت" في الأمازيغية."[235]

ويشير اصطيفان كصيل إلى هذا الاكتشاف قائلا:" كان أوفورب طبيب الملك (يوبا الثاني) يتبقل في جبال الأطلس، فعثر على نبات له خواص عجيبة. إذ كان الدماع Suc الذي يشتمل عليه هذا النبات يقوي النظر ويعطل مفعول سم الحيات والسموم الأخرى...الخ. فسر الملك بهذا

---

[233] - اصطيفان اگصيل:نفسه، ص: 228.

[234] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:173.

[235] - محمد شفيق: نفسه، ص:77.

الاكتشاف، وأطلق على النبات اسم أوفورب، الذي صار يعرف به، ثم كتب عنه رسالة صغيرة...".[236]

وهكذا، يتبين لنا أن المثقفين الأمازيغ كانت لهم إنجازات وإسهامات علمية زاخرة في كل ميادين المعرفة الإنسانية قديما وحديثا. ومازالت هذه العطاءات تشع في سماء الغرب بصفة خاصة ، وتينع في عنان سماء الثقافة الإنسانية بصفة عامة.

المبحث الثالث: الثقافة الأمازيغية رافد للثقافة العربية الإسلامية

من أهم الثقافات المتوسطية التي اندمجت فيها الثقافة الأمازيغية، بكل يسر وسهولة، الثقافة العربية الإسلامية التي كانت مبنية على عقيدة ربانية شاملة ومتوازنة، قائمة على توحيد الله والعدل والمساواة بين الناس. و" لم يندمج قط الأمازيغيون- يقول محمد شفيق- اندماجا كليا في إطار حضارة معينة كما اندمجوا في إطار الحضارة الإسلامية، وذلك لأسباب لا مجال لشرحها في هذه العجالة. ويمكن القول بأن ذلك الاندماج الكلي تم بصفة نهائية في أوائل العهد الموحدي، لما اندثرت البقايا الأخيرة من دولة البرغواطيين، أي بعد عهد الفتوحات الإسلامية الأولى بخمسة قرون على وجه التقريب. وقد كان اندماجهم، في جملته، نتيجة لعملهم الذاتي، بتعاون مع أفراد أو جماعات قليلة من المشارقة الذين قدموا أفريقيا الشمالية مسالمين، خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، فبعدما حملت جنودهم راية الإسلام إلى قلب أوربا الغربية، وبعدما تخلصوا من السيطرة السياسية المشرقية، اتجهت أنظارهم إلى أنفسهم أولا، ثم إلى غربي أفريقية السوداء، ابتداء من عهد المرابطين. فعلى أيديهم أسلمت القبائل الأولى من الزنوج في وادي السينيغال، حيث لا تزال الصلوات الخمس تسمى إلى اليوم بأسمائها " البربرية""[237]

[236] - اصطيفان اگصيل: نفسه، ص: 234.

[237] - محمد شفيق: نفسه، ص:81.

ومن أهم المثقفين الأمازيغ الذين أغنوا الحضارة العربية الإسلامية مجموعة من الأعلام البارزين ،على سبيل التمثيل، لا على سبيل الحصر. فنستدعي ابن خلدون صاحب(**المقدمة)** في مجال علم العمران والاجتماع، وطارق بن زياد الذي امتلك ناصية الفصاحة وقوة البلاغة ، واشتهر بخطبته المشهورة في فتح الأندلس سنة 921هـ.

ومن أهم العلماء الأمازيغ في مجال التصوف أبو الحسن الشاذلي الغماري (ت656هـ) صاحب(**مجموعة الأحزاب)**، وتابعه الصوفي أبو عبد الله الجزولي (ت 870هـ) صاحب(**دليل الخيرات)**، وأبو العباس بن العريف الصنهاجي، وأبو شعيب الدكالي، وأبو يعزى...

ونذكر في مجال الفقه : وجاج، وعبد الله بن ياسين، ومحمد بن تومرت، وابن أبي زيد القيرواني النفزاوي صاحب الرسالة المشهورة، والإمام المكودي، وابن عرفة الورغمي، وابن مرزوق العجيسي، وأبا العباس أحمد البرنوصي المعروف باسم (زروق)، وأبا العباس أحمد الونشريسي، وأحمد بابا الصنهاجي...

ونستدعي في مجال النحو العربي عيسى بن عبد العزيز يللبخت الجزولي صاحب(**المقدمة الجزولية)** و(**الأمالي)**، وأبا الحسن بن معطي الزواوي صاحب(**الدرة الألفية في علم العربية)**، وابن معطي، وأبا حيان الغرناطي البربري، وأبا عبد الله بن أجروم الصنهاجي صاحب(**الأجرومية)**...

ومن أهم علمائهم في التاريخ أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق، وابن عذاري، والجزنائي، وابن غازي الكتامي، والفشتالي، والإفراني، والزياني، وأكنسوس، وغيرهم...

و نذكر، في مجال الرحلة ، ابن بطوطة، وأبا عبد الله العبدري الحيحي، وعبد الله أبا سالم العياشي...

وفي مجال الأدب، يحضر أبو علي الحسن اليوسي، ومحمد المختار السوسي...[238]

وهكذا، فقد ساهم العلماء والمثقفون والمبدعون الأمازيغ بإنجازات هامة، وأبحاث قيمة ، وأعمال مشرفة، في شتى العلوم والفنون والمعارف المتنوعة والمختلفة بغية إثراء الثقافة العربية الإسلامية مشرقا ومغربا،

[238] - محمد شفيق: نفسه، ص:84-85.

وأيضا من أجل رفع راية الإسلام دائما مرفرفة عالية على جنبات حوض البحر الأبيض المتوسط.

وخلاصة القول، نستنتج ، مما سبق ذكره، أن الثقافة الأمازيغية، بعد أن كانت تعيش فترات الانعزال والانكماش والانطواء كدول ماوراء الصحراء الكبرى. فقد استطاعت ، عبر جدلية التأثير والتأثر، أن تحقق طفرات حضارية كبرى على مستوى حوض البحر الأبيض المتوسط بصفة خاصة، وعلى مستوى الثقافة العالمية والإنسانية بصفة عامة.
ومن هنا، فقد اتخذت الثقافة الأمازيغية بعدا متوسطيا على سبيل التميز والاختصاص، حيث انفتحت قديما على الثقافة المصرية الفرعونية، والثقافة الفينيقية، والثقافة القرطاجنية البونيقية، والثقافة الإغريقية، والثقافة اللاتينية الرومانية. كما انفتحت ، في العصور الوسطى، على الثقافة العربية الإسلامية. و قد استفادت - حديثا- من مكتسبات الحضارة الغربية، ومنجزات الحضارة العالمية الإنسانية.
هذا، وقد كانت العلاقات بين الثقافة الأمازيغية والثقافات الأخرى، عبر مختلف العصور التاريخية، مبنية على الأخذ والعطاء، وقائمة على ثنائية التأثير والتأثر. بيد أن هذه العلاقات الثقافية خضعت للصراع الجدلي تارة، وللتعايش السلمي والحضاري والإنساني تارة أخرى.
وعلي أي حال، فقد كانت الثقافة الأمازيغية، عبر تطورها التاريخي، في الوقت نفسه، ثقافة متوسطية، وثقافة أفريقية، وثقافة عالمية وكونية وإنسانية.

الفصل العاشر:
شخصيات ثقافية أمازيغية قديمة

عرفت الممالك الأمازيغية القديمة، في شمال أفريقيا، نهضة ثقافية وفكرية ودينية نشيطة بفضل أبنائها الذين كرسوا كل جهودهم من أجل خدمة الهوية الأمازيغية، والدفاع عن لغتها وحضارتها، والوقوف ضد الغزاة والمحتلين الرومان والوندال والبيزنطيين الذين استهدفوا السيطرة على شعوب تامازغا، وتقسيم الأمازيغيين إلى ليبيين، ونوميديين، وموريين؛ أو تقسيم البلاد إلى أفريكا، ونوميديا، وموريتانيا . وتنقسم موريتانيا ، بدورها، إلى موريتانيا القيصرية (الجزائر) من جهة، وموريتانيا الطنجية (المغرب) من جهة أخرى. وهذا كله من أجل استغلال ثروات هذه البلدان، وإذلال شعوبها، وتركيعها إهانة وعارا، ومسخ هويتها الأصيلة. بيد أن الأمازيغ حاربوا هؤلاء المستعمرين القساة الطامعين، فصدوهم بقوة وصمود . وقد أظهر كل من ماسينيسا، ويوغورطة، وتاكفاريناس، وإيدمون، ودوناتوس، شجاعة نادرة وبسالة كبيرة في التصدي والمقاومة والمواجهة، مازال التاريخ القديم يشهد بذلك عبر صفحاته الناطقة. سنحاول، في هذه الدراسة المقتضبة، التركيز على بعض الجوانب الثقافية والأدبية والدينية والعلمية في الحضارة الأمازيغية القديمة، مستعرضين بعض الشخصيات الأمازيغية التي خدمت الساحة الفكرية المحلية والجهوية والعالمية.

المبحث الأول: المثقفون السياسيون الأمازيغيون

يعتبر يوبا أو جوبا الثاني من كبار العلماء والمثقفين الأمازيغ، إذ كان يمتاز بسعة العلم والاطلاع، وكان كثير السفر والبحث والتجوال، وموسوعي المعارف والفنون. وقد ألف كثيرا من الكتب والبحوث

والمصنفات، لكنها لم تصل إلينا سليمة، بل ثمة إشارات إليها في كتب المؤرخين مبثوثة هنا وهناك...

هذا، وقد تمكن يوبا الثاني، ومن بعده ابنه بطليموس، من توحيد القبائل الموريتانية في إطار مملكة مورية. ويعني هذا أن يوبا الثاني قد وحد القبائل الامازيغية في المغرب، واتخذ عاصمتين لمنطقة نفوذه (شرشال) في الجزائر، أو ما يسمى بـ(قيصرية) إرضاء للروم، و(وليلي) عاصمة له في المغرب . وأنشأ حكما ديمقراطيا نيابيا تمثيليا، وشجع الزراعة والصناعة والتجارة. كما اهتم بالجانب الثقافي والعلمي والفكري ، فأعد خزانة ضخمة، جمع فيها أنواعا من الكتب والوثائق العلمية والتاريخية. واستقطب، نحو عاصمته، كبار العلماء والأطباء من اليونان والرومان، وأمر بجمع النباتات الطبية والأعشاب. وشارك في رحلات علمية استكشافية داخل جبال الأطلس، ونحو جزر كناريا الحالية. وجمع رحلاته العلمية وكشوفاته الطبيعية والجغرافية وأحاديثه عن المغرب في ثلاثة مجلدات ضخمة سميت(ليبيكا). ومن أحسن ما تضمنته ليبيكا قصة (الأسد الحقود) التي مازالت تروى من قبل الجدات في عدة مناطق أمازيغية في المغرب باللغة البربرية، كما ورد في كتاب(لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين) لمحمد شفيق[239] .

ويقول الباحث المغربي محمد شفيق عن يوبا الثاني بأنه كان يكتب" باليونانية في التاريخ والجغرافيا والفلسفة والأدب وفقه اللغة المقارن، فتعجب من نبوغه " فلوتارخوسPlutarkhos" ومن كونه" بربريا نوميديا ومن أكثر الأدباء ظرفا ورهافة حس"....ونصب له الأثينيون تمثالا في أحد مراكزهم الثقافية..تقديرا لكفاءته الفكرية. وقد نقل عنه علماء العصر القديم، وحسده معاصروه منهم، ونفسوا عليه نبوغه، بصفته بربريا barbarus ، وكأن نفاستهم عليه تسربت إلى نفس المؤرخ الفرنسي Stéphane Gsell ، إذ ما فتئ Gsell يحاول أن يغض من قيمة أعمال يوبا الفكرية، فتبعه في ذلك تلامذته من الأوربيين الذين أرخوا للمغرب الكبير في عهد الاستعمار الفرنسي، كما تبعوه في تحاملهم على أبيه يوبا الأول من أجل حرصه على سيادة مملكته. والدافع عند Gsell ومن تبعوه هو أنهم كانوا يعتبرون الفرنسيين ورثة للرومان في أفريقية

[239] - محمد شفيق : نفسه، ص:77.

الشمالية، ويرون أن "الأهالي Les indigènes" لا يمكن أن يكونوا إلا "أهالي" في الماضي والحاضر على السواء، بما أشربته الكلمة في لغتهم إذاك من معاني الاحتقار."[240]

وإذا انتقلنا إلى مؤلفات يوبا الثاني، فهي كثيرة، إذ لا يمكن عدها أو حصرها، ومنها: (تاريخ بلاد العرب) الذي وضعه لتعليم يوليوس قيصر إمبراطور الرومان، و(آثار آشور)، وقد كتبه بعد أن رأى بلاد الأشوريين، واستمتع بحضارتهم وثقافة بلاد الهلال الخصيب. كما كتب عن (آثار الرومان القديمة) . وهناك (تاريخ المسرح) الذي تحدث فيه عن الرقص وآلاته الموسيقية ومخترعي هذه الفنون، وكتاب (تاريخ الرسم والرسامين) ، وكتاب (منابع النيل)، بله عن كتاب (النحو) و(النبات)[241].

ويظهر لنا هذا الكم الهائل من الكتب أن يوبا الثاني كان من المثقفين الأمازيغيين الكبار الذين تعتمد عليهم الإمبراطورية الرومانية في التكوين والتأطير والتدريس، وجمع المادة المعرفية المتنوعة التي تتمثل في الجغرافيا، والحفريات، واللغويات، والفنون، والتاريخ، والطبيعيات... وكانت ليوبا الثاني مكانة كبيرة في المجتمع الروماني، والدليل على ذلك أنه حظي بتدريس يوليوس قيصر الروماني، وسهر على تثقيفه وتعليمه.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان يوبا الثاني مهتما بتجميل الحواضر وتزيينها على غرار الحواضر الرومانية تقليدا لفن عمارتها، وهندسة مبانيها، وجمال مدنها، كما يقول المؤرخون "خاصة عاصمتيه أيول(قيصرية) وأوليلي، مما يعكس ذوقه ومدى الرخاء الذي شهدته مملكته، فضلا عما يمكن استنتاجه من كون تشجيع الحياة الحضرية يدخل في إطار السياسة الرومانية الرامية إلى تدجين الأمازيغ."[242]

خلاصة القول: إن يوبا الثاني أيضا " حكم موريتانية تحت مراقبة روما، وبالنيابة عنها طوال الفترة بين 25 قبل الميلاد و23 قبل الميلاد، قام خلالها بتمهيد السبيل أمام الحكم الروماني."[243]

---

240 - محمد شفيق : نفسه، ص:77.

241 - عن لاكروا: نفسه، ص:143.

242 - محمد بوكبوط: نفسه، ص:45.

243 - محمد بوكبوط: نفسه، ص:45.

وعلى الرغم من ذلك، فقد خدم يوبا الثاني الثقافة الأمازيغية حتى أصبح نموذجا يحتذى به في البحث الجغرافي، ومجال الاستكشاف الطبيعي، والتنقيب الميداني.

المبحث الثاني: الأدباء الأمازيغيون

عرفت تامازغا مجموعة من الأدباء الذين كانت لهم مكانة كبيرة في الأدب العالمي، منهم: أفولاي وترنيوس آفر. بيد أننا سنتوقف عند ترنيوس آفر.

المطلب الأول: المسرحي ترنتــيوس آفر

ولد ترينيس آفر في مدينة قرطاج التونسية سنة 184م. وهو من أهم كتاب المسرح في الثقافة الأمازيغية القديمة، وتوفي سنة 159م. وأخذ أسيرا في الحرب البونيقية الثانية التي خاضتها روما ضد قرطاجنة، و التي انتهت بهزيمة تونس، وإخضاع شمال أفريقيا كله للسيطرة الرومانية البشعة. وقد اختار أحد أعضاء مجلس الشيوخ الروماني هذا الغلام خادما له، وأعطاه نسبه " ترنتيوس لوكانوس". وعاش في وسط طبقي اجتماعي أرستقراطي. أما كلمة آفر، فتحيل على أصله الإفريقي. ويبدو أن سيده قد توسم فيه خيرا، فعلمه، ثم أحسن تربيته، ثم أعتقه إلى أن مات ترنيوس في سن الخامسة والثلاثين، وهذا ما أجمعت عليه معظم الروايات. بيد أن سويتونيوس يقول: إنه مات في سن الخامسة والعشرين. وعلى أي حال، فإن الروايات التي تتحدث عن حياة ترنتيوس الفنية غير محققة ولا موثقة. ومن ثم، فليست صادقة تماما. أما بالنسبة لحياة ترنتيوس الفنية، فقد وصلنا أفضل مصدر وأوثقه ألا وهو مسرحياته الست بمقدماتها التي رد فيها على نقاده."[244]

هذا، وقد تبحر ترنتيوس في العلوم والفنون والآداب، وأصبح فريد زمانه، وكاتبا مسرحيا كبيرا، مازالت آثار أعماله راسخة في الريبرتوار الروماني واللاتيني والغربي، وعرف كذلك بكونه شاعرا كوميديا هزليا.

ومن جهة أخرى، فقد أتقن ترنتيوس اللغتين اليونانية واللاتينية. علاوة على لغته الأمازيغية التي لم يفرط فيها قيد أنملة. وألف الكثير من المسرحيات، ولم يبق منها إلا ستة أعمال فقط. وفي كل سنة، كان يطلع

---

[244] - أحمد عثمان: **الأدب اللاتيني ودوره الحضاري**، عالم المعرفة، الكويت، العدد141، طبعة 1989، ص:67.

على الجمهور بنص مسرحي ما بين 166 و160 قبل الميلاد. وطارت شهرته الكبيرة " دفعة واحدة، ونال الجوائز، فحسده الحساد، واتهموه بالسرقة الأدبية، فدافع عن نفسه بما كان له من قوة. فأنصفه التاريخ من بعد، ورد إليه نقاد العصور المتعاقبة اعتباره كاملا، وبينوا أن تأثيره في الأدب المسرحي بقي ظاهرا إلى حدود القرن السابع عشر... وهو صاحب القولة المشهورة " أنا إنسان؛ لا يخفى عني أي شيء مما هو إنساني!". ومن إفراطه في حب الأدب أنه مات حزنا بأرض اليونان، بعد أن ضيع في البحر مخطوطات له، وهو ابن الثلاثين"[245]، أو الخامسة والثلاثين.
ومن مسرحياته الست المشهورة: (فتاة أندروس)، و(الحماة)، و(المعذب نفسه)، و(الخصي)، و(فورميو)، و(الأخوان).

المطلب الثاني: الشاعـر فلوروس

ولد فلوروس(Florus) الأمازيغي في أفريقيا ، وسافر إلى روما التي ظل فيها خطيبا مفلقا ومؤرخا وشاعرا، وكان يشارك في المهرجانات الشعرية التي كانت تقام بالكابيتول، ومن كتبه(ملخص التاريخ الروماني).

المبحث الثالث: الخطباء والبلاغيون الأمازيغ

عرفت تامازغا ، عبر تاريخها الطويل، مجموعة من الخطباء والبلاغيين الأمازيغيين من هؤلاء:

المطلب الأول: فرونـتون

ولد فرونتون، أو مرقص كورنيليوس فرونتو(Marcus Cornelius fronto) ، بسيرتا بنوميديا (الجزائر) . وهو من أهم علماء البلاغة الأمازيغ الذين كانوا يكتبون باللاتينية. ومن أهم النحاة والمحامين الأفارقة الذين عاشوا بروما اللاتينية. وعرف عنه بكتابة الرسائل باللاتينية

245 - محمد شفيق: نفسه، ص:78.

واليونانية، واستبدالها مع تلامذته وأسياده الأباطرة الحاكمين على الإمبراطورية الرومانية، ومع أفراد الأسر المرموقة والعائلات الأرستقراطية المعروفة آنذاك. و كان فرونتو يعتبر البلاغة مدخل كل علم وفن، ومصدر كل معرفة، ولو كانت معرفة فلسفية.

المبحث الرابع: المثقفون الدينيون الأمازيغ

تميزت تامازغا بمجموعة من المثقفين وعلماء اللاهوت الذين كان لهم باع طويل في هذا المجال، وهم:

المطلب الأول: ترتوليانوس(Tertullianus)

ولد تارتولي، أو تارتوليان، أو ترتوليانوس، أو توتوليانوس، في قرطاج مابين 150 و160م. وهو من أهم المقاومين الأمازيغيين للمحتل الروماني. وكان سلاحه في ذلك هو الفكر الديني، ونشر الديانة المسيحية . في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية الرومانية ترزح تحت نير الحكم القيصري، وظلمة الوثنية، ومصادرة حريات المسيحيين النصارى. وقد عايش هذا الكاتب المسيحي عهد المحنة، إذ كان الرومان يعذبون النصارى، وكل معتنق للديانة المسيحية الجديدة.

وكان تارتوليان، في بداية حياته، وثني العقيدة . وبعد ذلك، تنصر وتحمس لدينه الجديد أيما حماسة. ومن أهم كتبه الدينية(دفاعا عن الدين المسيحي Apologectus) الذي صدر سنة 197م، وفيه يتحدث تارتوليان عن مقومات العقيدة النصرانية والأدب المسيحي، مركزا على الجوانب الخلقية والروحية، والإشادة بالعفة والأخلاق الفاضلة، ومحاربة اليهود وأهل البدع، وكانت وفاة هذا المفكر الديني سنة 240م.

وقد دعا تارتولي، في إطار مذهبه الديني، إلى التمسك بتعاليم المسيحية القويمة، والتخلي عن مبادئ الكنيسة الرومانية الطبقية، مع تحريض الناس على التخلص من الخدمة العسكرية في الجيش الروماني.[246]

[246] - محمد شفيق: نفسه، ص:79.

هذا ما جعل دعوة تارتولي دينية سياسية، يرفعها ضد "حاكم روما الدجال"، وقد اعتنق أصحابه الأمازيغ المسيحية للتخلص من القهر الروماني، وظلمه البشع، وتجبره الفظ ، وهذا ما يوضحه توتوليانوس سنة197م بقوله:" إنك تلاحظ بنفسك كثرة عددنا، إن الناس يتضجرون من احتلال المدينة، ومن أن المسيحيين في كل مكان، حتى في الحقول والقرى المحصنة والجزر، وأن كل الأسماء أصبحت مسيحية، ثم إنهم يتألمون كما لو أن خسارة لحقت بالدولة".[247]

ويبدو أن تارتولي كان مناضلا دينيا ثائرا وخطيبا مفوها يتزعم " تيار التطرف المسيحي بالدعوة إلى الاستشهاد، ومقاطعة الألعاب العمومية، والجندية، والإدارة الرومانية. وأكيد أن مثل تلك التعاليم كانت تشكل خطرا حقيقيا على الوجود الروماني، مما يفسر حملات الاضطهاد التي شنها الرومان ضد الأمازيغ خلال حكم فاليريانوس وديوقليانوس(القرن الثالث)، إذ نكل بالمسيحيين الأمازيغ وسقط ضحايا كثيرون. وفي ذلك، يقول القديس أغسطينوس...." إن أرض أفريقيا مملوءة بأحباء القديسين الشهداء". كما أصدر الإمبراطور ديوقليسيانوس قرارا بهدم الكنائس، ومنع عبادة المسيح، وإعدام كل من لم يرتد عن المسيحية."[248]

المطلب الثاني: أرنوب الأكبر Arnobius

ولد أرنوب الأكبر، أو أرنوبيوس(Arnobius) باللاتينية، في إحدى قرى نوميديا (الجزائر)، في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي. وعرف بكونه كاتبا وخطيبا وشاعرا. في البداية، كان وثني العقيدة، فقد تنصر كهلا ، وتفقه في المسيحية، والمناظرة العقائدية، وعلم الكلام، والجدل الديني. وعايش عهد المحنة عن صدق وقلق ؛ إذ كان المسيحيون يتعرضون فيه للأذى والعذاب، من قبل أتباع قيصر وجنود الرومان .

ومن أهم مؤلفات أرنوب كتاب (ضدا على الوثنيين Adversus nationes) الذي أخرجه إلى الناس سنة 300ميلادية، في سبعة أجزاء. وهو مكتوب بطريقة نثرية شاعرية.وقد تحامل في هذا الكتاب على

---

[247] - محمد بوكبوط: نفسه، ص: 71.

[248] - محمد بوكبوط: نفسه، ص: 71.

الوثنيين وعباد الأصنام ، وبين فيه أن عبادة الله هي السبيل للفوز ، وضمان حسن الآخرة، والنجاة الآمنة.

وقد عد أرنوب ، في الكتابات الدينية المسيحية، من آباء الكنيسة[249]، وكانت ثقافته تجمع بين التطرف والأرثوذوكسية، وتوفي سنة 327 ميلادية.

وقد ذهب كثير من المفكرين الفرنسيين إلى استلهام أفكاره، مثل: مونتاني Montaigne ، وبوسويه Bossuet ، ولافونتين La Fontaine .

المطلب الثالث: لكتانسيوس

ولد لكتانسيوس Lactantius (كايسليوس فيرميانوس Caecilius Firmianus) بإفريقيا الشمالية سنة 250، وتوفي سنة 325 م. وهو من أهم تلامذة أرنوب الأكبر. وقد ألف عدة كتب دينية عن (عقاب المذنبين)، و(الأموات المضطهدين)، و(الزندقة والحكمة)، وتتمحور جل كتاباته الدينية حول العناية الربانية.

المطلب الرابع: مينوسيوس فيليكس

يعد مرقص مينوسيوس فيليكس(Marcus Minicius Félix) من العلماء الأمازيغ في ميدان الدعوة الدينية المسيحية في القرن الثاني، أو الثالث الميلادي. وعرف بكتابه الديني المشهور (**الدفاع عن المسيحية**). ويعود، في أصوله، إلى أفريقيا الشمالية، على الرغم من لاتينية معرفته، ورومانية جنسيته ولغته وكتابته . وقد صنف فيليكس ضمن آباء الكنيسة المحترمين.

المطلب الخامس: القديس أغسطين

ولد القديس أغسطين، أو أوغستينوس، أو أوغستان(Augustinus)، في تاجسته أو تاگاست بنوميديا / الجزائر (مدينة سوق أهراس حاليا)، من أم

249 ـ محمد شفيق: نفسه، ص:80.

مسيحية، وأب وثني. ونهل من الفلسفة اليونانية، وتشبع بفكر المدرسة الإسكندرية، خاصة بعد سفره إلى روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية القيصرية. وهناك أيضا تمثل الفلسفة الأفلاطونية الجديدة التي تجمع بين مثالية أفلاطون، وروحانيات المشرق، والفكر الغنوصي لدى أفلوطين. وبعد عودته سنة 388م إلى سوق أهراس، أنشأ ديرا للتعبد، والدعوة إلى الديانة المسيحية ، بعد أن تنصر في الثالثة والثلاثين من عمره. وبعد ذلك، عين أسقفا في مدينة عنابة التي روج فيها أغسطين أفكاره الدينية ومعتقداته الإنجيلية التي كان لها أثر عميق في الكنيسة المسيحية، دون أن ينسى هويته الأمازيغية التي كان يدافع عنها كثيرا بالفكر والممارسة.
ويعرف عن أغسطينيوس أنه كان أستاذا نابها، درّس البلاغة في القرية التي ولد فيها، وفي قرطاجة، فروما، ثم ميلانو[250].
وبعد اعتناقه للمسيحية،" رقي الدرجات الكنسية في ظرف تسع سنوات فقط، فأصبح أسقفا سنة 396م، وكرس حياته لتنظيم الكنيسة الإفريقية والتأليف الديني. وقد ترك للمسيحيين مؤلفات لا تزال حتى اليوم مرجعا لهم، يعتبرونها قاعدة صلدة لفلسفة أقانيمهم الثلاثة."[251]
و للقديس أوغسطينيوس أكثر من مائتي كتاب باللاتينية أشهرها: كتاب (اعترافاتي) الذي يعد - على حد علمي- أول كتاب في الاعترافات، وأول خطاب أوطبيوغرافي في تاريخ الإنسانية . وقد قيل في حق هذا الكتاب كثير من الأقوال التي تشيد بكتاب الاعترافات، وتجعله في مصاف الكتب القيمة والمؤلفات السباقة إلى وضع أسس أدب الاعتراف، وتأسيس جنس السيرة الذاتية. ويدرج إحسان عباس أوغسطينيون ضمن الأدب الغربي اللاتيني، متجاهلا هويته الأمازيغية .
وعلى الرغم من ذلك، فإنه يضعه على قمة هرم أدب الاعتراف والسيرة الأوطبيوغرافية:" وفي السير الغربية معالم كبيرة، كان لكل معلم منها أثره في كتاب السيرة الذاتية وطريقتها، وفي طليعة تلك السير (اعترافات القديس أوغسطين)، فإنها فتحت أمام الكتاب مجالا جديدا من الصراحة

---

[250] - محمد شفيق: نفسه، ص: 80.
[251] - محمد شفيق: نفسه، ص: 80.

الاعترافية، وشجعت الميل إلى تعرية النفس، في حالات كثيرة تلتبس بالآثام، أو يثقل فيها عناء الضمير."[252]

ومن أهم الكتب الأخرى التي ألفها أغسطينيوس كتاب(مدينة الإله) الذي دافع فيه عن المسيحية، وانتقد فيه المذهب الدوناتي، وكذلك كتاب(اعترافات التوبة)، وكتاب (المراسلات).

وكان القديس أغوسطينيوس متعاطفا " مع الأفارقة. أي: مع الأمازيغيين، ويدافع عن هويتهم، ولكن في نطاق العمل التبشيري الرسمي. ومما يلفت النظر أنه هو المؤلف الأفريقي اللاتيني الوحيد الذي ضبط تاريخ ولادته، كما ضبط تاريخ وفاته. والسبب في نظرنا- يقول الباحث المغربي محمد شفيق- هو أن أحد أبويه كان رومانيا، كما هو معلوم. وليس من المستبعد أن تكون هجنته هي سبب موالاته للسلطة الرومانية الدينية..." [253]

وهنا، نفتح قوسا لنقول بأن أغسطينيوس كان يحارب من قبل الأمازيغيين بسبب ميله الكبير إلى الدولة الرومانية، خاصة من قبل رجال الدين الدوناتيين الذين انشقوا عن الكنيسة الرومانية الرسمية. ومن الذين رفضوا خط أغسطينيوس في تمثل تعاليم كنيسة روما القيصرية أوغستنيوس الدوناتي الذي عرض على القضاء في أوائل القرن الخامس الميلادي .[254]

هذا، وقد مات أغسطين شهيدا في 430/08/29م، مدافعا عن مدينته عنابة ضد الغزاة الونداليين الهمج. ونقول في حقه ماقال شارل أندري جوليان الذي اعتبره" خطيبا وكاتبا من طراز عال، فلم يتح للمسيحية أن رزقت زعيما في مرتبته قط".[255]

أما إميل فاگيه(Emile faguet)، فقد قال في حقه كلاما رائعا يبين مكانته الكبيرة في الثقافة القديمة:" والقديس أوغسطينوس فيلسوف قبل كل شيء، رجل يحلل الآراء ... وهو فوق ذلك خطيب عظيم مؤرخ أو بالأحرى فيلسوف للتاريخ في كتابه(مدينة الله) ، وهو أخيرا شاعر للقلب

---

[252] - إحسان عباس: نفسه، ص:114.

[253] - محمد شفيق: نفسه ، ص: 80.

[254] - محمد شفيق: نفسه ، ص: 80.

[255] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:305.

والوجدان الممتع في(اعترافاته) الخالدة. وربما كان هذا الرجل أغرب رجل في العالم القديم كله."[256]
ويتبين لنا ، من خلال مؤلفات النصارى الأفارقة، أن الكنيسة " كانت، أيام ترتوليان، تعارض السلطة الرومانية معارضة عنيفة إلى حد رفض الانخراط في الجندية، ثم انتهت أيام أوغسطين إلى التفاهم والتعايش معها. فأصبحت كل من السلطتين المدنية والدينية، تعترف بنفوذ الأخرى المطلق داخل النطاق المحدد لها."[257].

المطلب السادس: القس دوناتوس

يعرف القس دوناتوس في التاريخ الأمازيغي بأنه من أبرز المفكرين الدينيين الأمازيغ المعروفين بمقاومتهم الشرسة للاحتلال الروماني، وألف كتابا بعنوان(الروح القدس). وشكل حركة ثورية دينية واجتماعية وسياسية، قامت بدور تاريخي هام ما بين 4 قبل الميلاد و429 ميلادية.
هذا، وقد انشق دوناتوس عن المذهب المسيحي الذي أراد الإمبراطور الروماني تيودوز فرضه على الشعوب الخاضعة لحكمه، منذ تبنيه له سنة 391م . وقاد دوناتوس، في إطار ثورته الدينية، مجموعة من رجال الكنيسة الأمازيغيين الرافضين للسلطة الرومانية، والتي أدت إلى ما يسمى بالثورة الدوناتية، نسبة إلى دوناتوس . وتمتاز هذه الحركة الدوناتية الدينية بأنها ذات صبغة أمازيغية متمردة عن الحكم الروماني، ومنشقة عن تعاليم الكنيسة الرسمية.
وعليه، فقد كان دوناتوس داعيا إلى مذهب ديني جديد، يقوم على إقرار المساواة بين الناس، ويعمل على مساعدة الفقراء، ولا يعترف بأية سلطة غير سلطة الإله الخالق. وكان يأمر الأمازيغيين بطرد كبار الملاك من أراضيهم وأصحاب النفوذ من المسيحيين الكاثوليك من بلادهم.
وقد انتشرت الدوناتية في الكثير من الولايات والممالك الأمازيغية، خاصة في ولاية أفريكا وولاية نوميديا . وتشكلت مجموعة من التنظيمات العسكرية التي كانت تهاجم مزارع الأرستقراطيين الرومان لتحرير عبيدها وأقنانها المظلومين. لكن الحكومة الرومانية أرسلت أحسن قواد

[256] - إميل فاگيه: نفسه، ،ص:51.
[257] - عبد الله العروي: نفسه،ص:59.

جيشها رفقة قوات عسكرية عاتية سنة 411 م للتنكيل بالدوناتيين، فشتتهم بقوة وعنف، وقضت على أتباع هذه الحركة الدينية ، وسلمت أملاكها وكنائسها للمسيحيين الكاثوليك. في الوقت نفسه الذي كانت فيه الإمبراطورية الرومانية على وشك التداعي والسقوط والاضمحلال.

المطلب السابع: برمانيوس

يعد برمانيوس من أهم المثقفين الدينيين الأمازيغيين في أفريقيا الشمالية، وهو صاحب كتاب ضخم تحت عنوان(في الدفاع عن الدوناتية). وله أيضا مجموعة من(المزامير) الدينية.

المطلب الثامن: أبتا الميلي

إذا كان برمانيوس من أهم المدافعين عن الحركة الدينية الدوناتية، فإن أبتا الميلي الكاثوليكي على العكس، فقد اشتهر بين الناس والمثقفين المسيحيين بانتقاده الشديد للمذهب الدوناتي، وبموالاته للرومان والكنيسة المسيحية الرسمية.

المطلب التاسع: تيكونيوس

ولد تيكونيوس في أفريقيا الشمالية، على الرغم من جنسيته اللاتينية، واسمه الروماني. وهو من أشهر العلماء الأمازيغ في مجال الدين. وقد كان علمانيا لائكيا، يدعو إلى فصل الدين عن الدولة ؛ مما جعل الدوناتيين ينتقدونه انتقادا شديدا. وكان أيضا فقيها وأديبا، فقد نشر شرحا للجليان(Apocalypse) الذي به نال شهرة كبيرة. كما وضع كتابا في (تفسير الكتاب المقدس)، تبنى فيه طريقة جديدة في الشرح والتحليل والتأويل.[258]

المطلب العاشر: قبريانوس

[258] - عبد الله العروي: نفسه،ص:59.

ولد القديس الشهيد قبريانوس الأمازيغي في أفريقيا الشمالية في القرن الثالث الميلادي. وعرف بكونه كثير الدفاع عن المسيحية. وفي المقابل، عرف بعدائه الشديد للنحل المخالفة لملته، وتصديه للعقائد الضالة التي تتنافى مع الديانة الإنجيلية ذات الطابع المسيحي. ومن أهم مصنفاته الفكرية والدينية كتابه في(الرد على اليهودية، والاحتجاج للمسيحية).

المبحث الخامس: العلماء الأمازيغ

خلفت تامازغا مجموعة من العلماء في تخصصات معرفية شتى، وفروع علمية متنوعة.ومن هؤلاء:

المطلب الأول: ماركوس مانيليوس

ولد ماركوس مانيلوس(Marcus Manilius) في أفريقيا الشمالية. وهو شاعر وعالم فلكي يكتب باللاتينية. واشتهر في الفكر اللاتيني بأنه كتب قصيدة شعرية تعليمية في خمسة أجزاء حول علم الفلك القديم وعلم التنجيم. وقد وصف ، في قصيدته الفلكية، مجموعة من العناصر الطبيعية والكونية ، مثل: السماء، والأرض، والكواكب، والمجرات، والأبراج، والنجوم.واستجلى ، بشكل علمي وتنجيمي، أثر الأفلاك وتلك المظاهر الكونية والطبيعية في حياة الإنسان، وأثرها كذلك في سعادته النفسية والروحية سلبا وإيجابا.

وخلاصة القول، هذه هي أهم الشخصيات الثقافية التي أفرزتها الممالك الأمازيغية القديمة في تخصصات شتى، ومعارف متنوعة. وقد لاحظنا، بشكل جلي، أن منطقة شمال إفريقيا كان تعج بالشعراء والكتاب والخطباء والبلاغيين والعلماء والفنانين. كما كان تزخر أيضا برجال الدين الذين حملوا شعار التنوير والمقاومة والاستشهاد في سبيل تحرير شعوب تامازغا، وتخليصها من قبضة الاحتلال الروماني، والغزو الوندالي، والاعتداء البيزنطي.

ونستنتج كذلك أن الأمازيغيين كانوا متحمسين لفكرة التدين، واعتناق المسيحية. وكانوا يرفضون الوثنية، والاستغلال الكنسي، والاحتلال غير الشرعي. كما نستخلص أن الأمازيغيين كانوا من السباقين إلى كتابة الرواية، والسيرة الذاتية، وأدب الاعتراف، والكتابة الدينية، وتأليف الموسوعات. بيد أن كل ما كتبه الأمازيغيون كان باسم اللاتينية، والفكر اللاتيني، واللغة اللاتينية . لأن الرومان في الحقيقة هجّروا المثقفين الأمازيغيين المتميزين إلى روما، وفرضوا عليهم الجنسية الرومانية، والكتابة اللاتينية، مقابل النعيم المادي والرفاهية الارستقراطية. دون أن ننسى أن الرومان قد زيفوا عناوين مؤلفات الكتاب الأمازيغيين، ورومنوا أسماءهم وعطاءاتهم الفكرية. والهدف من ذلك كله هو القضاء على هويتهم الأمازيغية، وطمس جذورهم الإفريقية ، ومحو كتابتهم الأصلية.

الفصل الحادي عشر:

يوبا الثاني الملك المثقـــف

" كانت شهرة يوبا الثاني بخدماته العلمية تفوق شهرته بملكه."
المؤرخ پلين الأكبر[259]

259 - ستيفان أگصيل: نفسه، ص:219.

من يتأمل الدراسات التاريخية المغربية، فلن يجد ما يشفي غليله فيما يخص تاريخ المغرب القديم، أو ما يسمى بتاريخ الأمازيغيين وثقافتهم وحضارتهم. فقد انصبت هذه الدراسات على التاريخ الوسيط، والتاريخ الحديث، والتاريخ المعاصر، مع غض الطرف عن أهم مرحلة حضارية في تاريخ المغرب هي فترة الممالك الأمازيغية في صراعها مع الرومان والوندال والبيزنطيين. وتسمى هذه المرحلة التاريخية أيضا عند الدارسين الغربيين بتاريخ شمال أفريقيا، أو تاريخ البربر، أو تاريخ الأمازيغ قبل دخول المسلمين إلى تامازغا. بل وصفت هذه المرحلة بالجاهلية في بعض الدراسات العربية؛ لأنها فترة سبقت دخول الإسلام إلى المغرب، كما يبدو ذلك جليا في كتاب (الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه) لعباس الجراري، حيث عنون الفصل الأول بـ(وجود المغرب الحضاري والثقافي في العصر الجاهلي)[260]. علاوة على ذلك، فقد كانت أغلب الدراسات التاريخية والأدبية تبدأ بعصر الفتوح في تحقيب تاريخ المغرب وتدوينه، كما فعل عبد الله كنون في كتابه (النبوغ المغربي في الأدب العربي)[261]، حيث استهل كتابه القيم بعصر الفتوحات الإسلامية، منتقلا من دولة الأدارسة ، مرورا بالمرابطين والموحدين والمرينيين والوطاسيين والسعديين، وصولا إلى الدولة العلوية في مختلف مراحلها التاريخية،

---

260 ـ عباس الجراري: نفسه، ص:11.

261 ـ عبد الله كنون: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ثلاثة أجزاء، بدون ذكر المطبعة ومكانها، الطبعة الثانية، 1960م، ص:37.

ناسيا أهم فترة في تاريخ المغرب، وهي فترة الأمازيغيين التي تعد مرحلة مهمة للتعرف إلى حضارة المغرب القديم، ورصد إسهامات الأمازيغ الحقيقية في بناء الحضارة الإنسانية بصفة عامة، والحضارة المتوسطية بصفة خاصة. وفي هذا الإطار، يقول عباس الجراري:" من بين قضايانا التاريخية والفكرية، تبدو قضية مغرب ما قبل الإسلام ذات أهمية كبيرة، لما صادف هذا المغرب عند المؤرخين المغاربة والمسلمين عامة من إهمال يكاد أن يكون تاما.والسبب في هذا الإهمال راجع إلى الفكرة التي انطلقوا منها في التأريخ له، والتي وهموا فيها أنه ولد مع الفتح الإسلامي، وإنه لم يكن له من قبل أي وجود. فكان أن عرضوا عن تلك الفترة، وغدا التاريخ عندهم بالنسبة للمغرب لايبدأ إلا مع الفتح.

وعلى الرغم من أننا لانشك في أن الإسلام أعاد خلق المغرب، وغير مجرى الحياة فيه، وفتح له آفاق حضارة وثقافة جديدتين، وجعله في نطاق هذه الآفاق يتحمل رسالة نهض بها خلال التاريخ.ومازال، فإن وهم المؤرخين في فكرتهم يبدو سافرا لمن يطالع في أبحاث الدارسين من الأجانب، فيتعرف إلى تاريخ المغرب في المرحلة السابقة على الإسلام، ويجده حافلا بالأحداث وملامح الحياة، وبما يستحق أن ينظر فيه ويعنى به، على الرغم مما يكتنفه من غموض واضطراب يعزيان إلى عدم تطور هذا التاريخ في خط طبيعي وباطراد، إذ تعرض لانتكاسات ساهمت في خلق فجوات تمثلها الحلقات المفقودة التي نصادفها باستمرار، ونحن نتتبع تاريخنا القديم، وما تعرض له من تغيرات حضارية وثقافية تحمل معها من الغموض والإبهام بقدر ما يكون فيها من مدى وعمق."[262]

وإذا كان تاريخ المغرب القديم، بكل مراحله وحقبه التاريخية، قد أهمله المؤرخون المغاربة القدامى (ابن خلدون، والناصري، وابن عذارى المراكشي، وعبد الواحد المراكشي، وليون الأفريقي، و غيرهم...)، وينطبق هذا الحكم نفسه على كثير من المؤرخين المعاصرين، فماذا نقول عن شخصية الحاكم الأمازيغي يوبا الثاني؟ إذ لم نعثر لها على أثر جلي وبين في كتابات المؤرخين المغاربة، سواء أكانوا قدامى أم محدثين ومعاصرين، على الرغم من فرادة هذه الشخصية المثقفة الموسوعية ، وتميز نبوغها في تاريخنا المغربي القديم بإسهاماتها الثقافية، وإنجازاتها

[262] - عباس الجراري: نفسه ، ص:13-14.

المتنوعة في مختلف الميادين والأصعدة والمستويات ، مع استثناء بعض المصادر والمراجع القليلة جدا التي أشارت إليها بشكل سريع ومقتضب، مثلما هو شأن كتاب: عباس الجراري (الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه)[263]، وكتاب (الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات) لمحمد بوكبوط[264]، ومحمد شفيق في كتابه (لمحمة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين)[265]، والعربي اكنينح في كتابه (في المسألة الأمازيغية)[266]، وجميل حمداوي في كتابه(المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ)[267]...

وأدهى من ذلك وأمر أن إبراهيم حركات يذهب، في كتابه (المغرب عبر التاريخ)، إلى أن المغرب ، في عهد المرحلة الرومانية، لم يعرف مفكرا أو مثقفا بارزا إلا بعد الفتوحات الإسلامية. وفي هذا المنحى، يقول الدارس:"لكن المغرب لم ينتج من المفكرين البارزين في عهد الرومان أحدا، أو على الأقل من الذين أنتجوا في حقل الفكر شيئا مشرفا.وعلى العكس من ذلك بعد الفتح الإسلامي ببضعة عقود حيث ظهر علماء ومثقفون بارزون من البربر."[268]

إذاً، يصدر إبراهيم حركات أحكاما مطلقة وعامة خالية من الدقة العلمية؛ لأنه يتناسى أن يوبا الثاني قد خدم الفكر الإنساني أكثر من مثقف أمازيغي إلى يومنا هذا. فقد ألف كتبا شتى لا يمكن عدها ولا إحصاؤها في مختلف المعارف والعلوم والفنون، يعجز المثقفون الأمازيغيون المحدثون والمعاصرون أن يجاروه في ذلك شأوا وسبقا وموسوعية، مهما كان باعهم العلمي أو شأنهم الفكري والثقافي.

أما الكتابات الكولونيالية (الاستعمارية)، فقد اهتمت اهتماما كبيرا بيوبا الثاني، مثل: كتاب (المغرب القديم) لجيروم كركوبينو (Jérôme

---

263 - انظر: عباس الجراري: نفسه، مرجع سبق ذكره.

264 - محمد بوكبوط: **الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات**، مرجع سبق ذكره.

265 - محمد شفيق : **لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين**، مرجع سبق ذكره.

266 - العربي أكنيح: نفسه، ص:21.

267 - جميل حمداوي: **المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ**، منشورات المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2013م.

268 - إبراهيم حركات: نفسه، ص: 61.

Carcopino)[269]، وكتاب(تاريخ شمال أفريقيا القديم) لستيفان أگصيل(Stephane Gsell)[270]، وكتاب (تاريخ شمال أفريقيا) لشارل أندري جوليان (CH.André Julien)...[271]
بيد أن عبد الله العروي قد شكك في هذه الكتابات الكولونيالية، وسفه منهجها الاستعماري، مادام هدفها الحقيقي هو الدفاع المستميت عن التفوق الحضاري الغربي مقارنة بالتفوق الحضاري الأمازيغي أو العربي. وفي هذا الإطار، يقول عبد الله العروي في كتابه(مجمل تاريخ المغرب):" من المعلوم أن معرفة التاريخ تتبع طريقا معاكسا لاتجاه توالي الأحداث، يعرف الإنسان مباشرة الوقائع المعاصرة له، ولا يعرف إلا بمشقة الأحداث البعيدة عنه. وهكذا لم تدرس، في تاريخ المغرب، الحقبة التي سبقت تأسيس محطات فينيقية، أواخر القرن العاشر ق.م، إلا في العقود الأخيرة من القرن الماضي، وهو موضوع تخصص فيه الدارسون الاستعماريون، وجالوا فيه بدون منازع، حيث لم يكن للمغاربة، قدامى ومحدثين، ما يقولونه في شأنه.أمر طبيعي حيث إن علم أصل الإنسان حديث جدا.
كانت دراسات الحقبة المذكورة، إلى غاية الحرب العالمية الأولى، مرتبطة بالكلاسيكيات (أي بالأدبيات اليونانية والرومانية)، كان **ستيفان أكصيل** من جامعة الجزائر هو شيخ مؤرخي المغرب القديم في تلك الفترة.وكانت نتائج الحفريات، التي تقدمت مناهجها تقدما باهرا في أوروبا، وطبقت في الشمال الأفريقي، لاتستعمل إلا لمراجعة وتدقيق المعطيات الأدبية التي كانت تحتل دائما المرتبة الأولى. بعد 1930م، دخلت دراسات المغرب القديم طورا جديدا عندما حل **ليونيل بالو** محل أكصيل، فحصل فعلا تغيير عام، وقدمت الوثيقة الأثرية على الوثيقة الأدبية، غير أن الاتجاهين كانا يخضعان معا للخلفيات الإيديولوجية نفسها، مما حد من تأثير التجديد المنهجي.إن أمثال أكصيل وبالو هم الذين روجوا، باسم العلم الموضوعي، تلك الأفكار المشوهة عن ماضي المغرب التي سنعرض لها بالنقد مرارا

---

269 - جيروم كركوبينو: **المغرب العتيق**، ترجمة: محمد التازي سعود، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2008م.
270 - ستيفان أگصيل: **تاريخ شمال أفريقيا**،مرجع سبق ذكره.
271 - أندري جوليان:نفسه، ص:252.

في الصفحات اللاحقة. ليس في هذا الأمر ما يدعو إلى الاستغراب حيث إن المتخصصين في ما قبل التاريخ جاءوا بعد المؤرخين.أي: بعد أن رسخت في الأذهان دعاوى الاستعمار."[272]
ويتبين لنا، مما سبق ذكره، أن الدراسات الكولونيالية التي درست المغرب القديم بصفة عامة، وتاريخ يوبا الثاني بصفة خاصة، تحمل ، في طياتها، خلفيات سياسية وإيديولوجية وعرقية حتى وإن غلفت في ثوب علمي موضوعي ، مستندة في ذلك إلى الوثائق والحفريات والنصوص والاستكشافات الدقيقة.

المبحث الأول: شخصية يوبـــا الثانـــي

ولد أغسطس، أو يوبا، أو جوبا الثاني (Juba2)، في مملكة نوميديا. وهو ابن ملك يوبا الأول الذي قاوم الرومان مقاومة شرسة، ووقف في وجه خصمين لدودين من أبناء تمازغا هما: بوگود وبوكوس. وقد استولى على مملكتيهما، واسترجع أملاك أبيه يوبا الأول[273].
وبعد هزيمة يوبا الأول أمام القوات الرومانية، أسر يوليوس قيصر ابنه يوبا الثاني الذي كان طفلا صغيرا بين خمس وسبع سنوات، فحمله إلى روما ، حيث نشأ في البلاط الفاخر، وعاش في كنف الإمبراطور أغسطس خلف قيصر، فعلمه الفنون والآداب والعلوم وشؤون الحكم في مدارس روما وأثينا ومعاهدهما .
ونظرا لمكانة يوبا الثاني الثقافية، وصدق ولائه، وإخلاصه للإمبراطور الروماني القيصر أوكتافيوس، فقد أجلسه هذا الأخير على عرش موريطانيا الغربية؛ نظرا لما قام به من خدمات جليلة لصالح شعبه. وبالتالي، حكم يوبا الثاني خمسين سنة في ظل الحماية الرومانية. ولم يضيع هذه السنوات إلا فيما يعود على شعبه الوفي بالخير والسؤدد والهناء. ومن ثم، فقد "عرفت أيامه بالاستقرار والهدوء حتى توفي سنة23م، ليخلفه ابنه بطليموس الذي نهج سياسة أبيه في توحيد الأمازيغيين، وتحقيق آمالهم وطموحاتهم.

---

[272] - عبد الله العروي: نفسه، ص:37.
[273] - ستيفان أگصيل: نفسه، ص:184.

وقد توطدت العلاقات الإدارية والشخصية بين يوبا الثاني وقياصرة روما حتى استصحبه "كايوس قيصر، ولي عهد الإمبراطورية الرومانية،... إلى الشرق، وزوجه هناك من الأميرة كليوبترا (**La princesse Cléopâtre**)[274]، ابنة أنطوان وكليوبترا ملكة مصر".[275]

وما يلاحظ على شخصية يوبا الثاني أنها شخصية متميزة بموسوعيتها الفكرية والثقافية ، وذات خبرة محنكة في مجال السياسة والتدبير الإداري. بله عن نبل أخلاقها، ووفائها الشهم، وإيثارها التضحية من أجل الشعب ولمصلحة الشعب. وفي هذا الصدد، يقول الباحث المغربي محمد بوكبوط:" لعله من المفيد الإشارة إلى شخصية هذا الملك المتميزة، فعلاوة على أصله النوميدي الأمازيغي، وتربيته الرومانية، فهو بونيقي بما ورثه مع قومه من حضارة قرطاج، وإغريقي بثقافته وذوقه الفني، ومصري بزواجه من ابنة كليوباترة ملكة مصر، كل هذه الجوانب روعيت بدون شك من طرف الإمبراطور عند اختيار يوبا لاعتلاء عرش موريطانيا.".[276]

وعلى الرغم من الازدهار الحضاري الذي عاشته تمازغا في عهد يوبا الثاني، فقد كانت هناك ثورات أمازيغية تطالب بالاستقلال والتحرر من قبضة الرومان؛ مما جعل بعض المؤرخين يعتبرون الأمازيغيين "مفطورين على قلة الولاء"، ولكنهم في الحقيقة مفطورون على الحرية والاستقلال، والتخلص من الاستعمار الأجنبي المستغل[277].

و قد تعرض يوبا الثاني للاغتيال في أواخر حياته، بعد أن عاش نصف قرن في كنف الرومان. ومن ثم، أصبح المغرب، بعد وفاة يوبا الثاني، تابعا للحكم الروماني مباشرة. لذلك، فقد دخل الأمازيغيون المغاربة في مقاومة شرسة ضد القوات اللاتينية، انتهت بطرد الرومان أولا، والوندال ثانيا، والبيزنطيين الغزاة ثالثا.

---

[274] - قيل: إنه تزوج من كليوباترا سلينى ابنة كليوباترا ملكة مصر ومارك أنطونيوس. ويعني لقب سليني القمر.

[275] - محمد محيي الدين المشرفي:نفسه، ص:80.

[276] - محمد بوكبوط: نفسه، ص:45.

[277] - عباس الجراري: نفسه، ص:31.

المبحث الثاني: الإنجـــازات السياسيـــة والإداريـــة والاقتصاديـــة

تمكن يوبا الثاني، ومن بعده ابنه بطليموس، من توحيد القبائل الموريتانية في إطار مملكة مورية واسعة الأطراف، تنقسم إلى قسمين: موريطانيا القيصرية ، وعاصمتها شرشال؛ وموريطانيا الطنجية، وعاصمتها وليلي.
ومن أهم المدن التي كانت تابعة ليوبا الثاني في الأربعين للميلاد : طنجيس، وزيليس، وليكسوس، وسبتة، وتمودة، ووليلي، وبناسة، وتموسيط، وتوكولوسيدا، وبوماريا...
وقد كانت موريطانيا كلها خاضعة للوصاية الرومانية على يد يوبا الثاني منذ 25 ق.م . ويعني هذا أن يوبا الثاني - الذي تربى في العاصمة الإيطالية- قد كان حليفا للرومان، وتابعا وفيا لهم، وصنيعة في أيديهم. لذلك، سمحوا له بإدارة مملكتي موريطانيا الطنجية[278] وموريطانيا القيصرية على حد سواء.
وعلى أي حال، فقد حكم يوبا الثاني موريطانيا الطنجية و القيصرية " تحت مراقبة روما، وبالنيابة عنها طوال الفترة بين 25 و23 قبل الميلاد، قام خلالها بتمهيد السبيل أمام الحكم الروماني."[279]
وعليه، فأول ما قام به يوبا الثاني، كما قلنا سالفا، بمساعدة ابنه بطليموس الذي تولى شؤون القيادة العسكرية، توحيد القبائل الأمازيغية في المغرب، وتمدين مملكته حضاريا وثقافيا وعلميا، ثم تزيينها عمرانيا وهندسيا بالطريقة الجمالية اليونانية والرومانية والقرطاجنية والأمازيغية، في إطار وحدة سياسية ومجتمعية وثقافية عامة، تنصهر فيها جميع هذه الملامح الموروثة. وبعد ذلك، اتخذ يوبا الثاني عاصمتين لمنطقة نفوذه (**شرشال)** في الجزائر التي سماها بالـ(**قيصرية)** إرضاء للروم، ولإمبراطورها قيصر ، فأمر يوبا الثاني رعاياه الأوفياء بتقديس القيصر بصورة

---

[278] ـ إذا كانت شرشال عاصمة موريطانيا القيصرية، ووليلي عاصمة موريطانيا الطنجية، فهناك من المؤرخين من يعتبر طنجة هي العاصمة الحقيقية لموريطانيا الطنجية ، انظر أقوال هؤلاء عند: جيروم كركوبينو في كتابه(المغرب العتيق)، ص:258.

[279] ـ محمد بوكبوط: نفسه، ص:45.

رسمية[280]، كما جعل من (**وليلي**) عاصمة له في المغرب كما يعتقد كاركوبينو[281].
هذا، وقد أنشأ يوبا الثاني حكما ديمقراطيا نيابيا تمثيليا في عاصمتيه" شرشال" و" وليلي" ، حيث طالب بتكوين مجلس بلدي يتم انتخاب أعضائه من بين المواطنين الأحرار ، ويتولى كل مجلس تسيير أمور المدينة على غرار المدينة الرومانية[282].
بالإضافة إلى الجانب الإداري، فقد حقق عصر يوبا الثاني طفرة اقتصادية متنوعة، وازدهارا تجاريا كبيرا ؛ لأنه شجع الزراعة والصناعة والتجارة. وأقام مشاريع صناعية كبرى في عدة مدن، مثل: صناعة الأصباغ الأرجوانية، وتمليح السمك، وصنع الكاروم (**Garum**)، وهو مرق مصنوع من السمك، يستعمل عوض التوابل لطهي الطعام (يشبه كنور السمك حاليا)، ويستعمل كذلك دواء في الاستشفاء من بعض الأمراض.
وفي الحقيقة ، فقد تميزت أيام يوبا الثاني (25 ق.م-33 بعد الميلاد) بالازدهار الاقتصادي في جميع المجالات، وعلى جميع المستويات والأصعدة والقطاعات. وبطبيعة الحال، فقد كان عصر يوبا الثاني عصر الرخاء الاقتصادي، وعهد التطور التجاري، وفترة تحسن الأحوال الاجتماعية، وانتعاش النهضة الفكرية والثقافية.

المبحث الثالث: الإسهامات يوبا الثاني في مجال الفكر والثقافة

تعد إسهامات يوبا الثاني في مجال الثقافة والفكر أهم من إنجازاته السياسية والإدارية والاقتصادية، فقد عرف يوبا الثاني مفكرا ومثقفا وعالما أكثر مما عرف حاكما سياسيا.

---

280 - العربي أكنيح: نفسه، ص:21.
281 - إبراهيم حركات: نفسه، ص:45.
282 - د.عباس الجراري: نفسه، ص:31.

المطلب الأول: مــؤلفــات يوبــا الثانـــي

يعتبر أغسطس، أو يوبا، أو جوبا الثاني - إلى يومنا هذا- من كبار العلماء والمثقفين الأمازيغ الذي عرفوا عند اليونان والرومان والمثقفين اللاتين بسعة المعرفة، والتبحر الموسوعي.إذ امتاز بكثرة العلم والاطلاع، وكان كثير السفر والبحث والتجوال، وكان موسوعي المعارف والفنون. وقد ألف كثيرا من الكتب والبحوث والمصنفات في التاريخ، والجغرافيا، والرحلة، والطبيعيات، والآداب، والفنون، والطب، والعلوم الاستكشافية. لكن هذه المؤلفات النادرة والثمينة لم تصل إلينا سليمة، بل ثمة إشارات إليها في كتب المؤرخين مبثوثة هنا وهناك...

هذا، ويرى حسين مجدوبي أن من أسباب ضياع مؤلفات يوبا الثاني هي الحروب التي شهدتها فترة بطليموس وأيديمون مع القوات الرومانية إبان كاليغولا. وفي هذا الإطار، يقول الباحث: "ونعتقد أن السبب الرئيسي في فقدان الإرث التاريخي المكتوب في المغرب في عهد يوبا الثاني يعود أساسا إلى الحروب التي شهدتها المنطقة، وخاصة المواجهات مع الرومان في أعقاب إقدام الامبراطور الروماني كاليكولا على اغتيال الملك المغربي بطليموس، وانحلال الحكم المركزي بكل ما حمله ذلك من تدهور وضعية مدن رئيسية، مثل: وليلي ، ودخول المغرب في تشرذم لم يساعد على إقامة حياة عمرانية مستقرة، توفر الظروف لحفظ الإرث المكتوب، ومن ضمنه إرث يوبا الثاني وآخرين، ربما قد يكونوا قد وجدوا ، ولم تصل أخبارهم."[283]

هذا، ولا نعرف من مؤلفات يوبا الثاني " سوى تسعة عناوين . ولاشك أنه نشر كثيرا غيرها. وكانت كلها باللغة الإغريقية، ولم يصلنا أي واحد منها. ولكن بقيت لنا منها مقتطفات كثيرة بفضل الاستشهادات المروية عنه بنصها إلى حد ما، والمبعثرة في كتب مختلف المؤلفين، مثل: پلين، وبلوتراك، وأثيني، وغيرهم. والحق أن جل هذه المقتطفات قصيرة جدا،

---

[283] - حسين مجدوبي: (الملك الأمازيغي يوبا الثاني: أول عالم ومؤلف في تاريخ المغرب)، **موقع ألف بوست**،بتاريخ 5 أبريل 2013م؛
http://alifpost.com/

كما تعسر معرفة الكتاب الذي أخذت الفقرة منه، عندما ينعدم ذكر المرجع..."[284]

ومن أهم هذه الكتب التي ألفها يوبا الثاني ليبيكا، وأرابيكا، وموسوعة الموسيقا الضخمة، وكتاب تاريخ روما ، و الآثار الرومانية، وكتاب الأشباه(15 جزءا) ، ومختصر الآشوريين (جزءان)، ورسالة صغيرة عن نبات أوفورب، وكتاب عن فن الرسم أو الرسامين (ثمانية أجزاء)، وتاريخ المسرح، وغيرها من الكتب والرسائل والمخطوطات الضائعة...

وعليه، فقد كان يوبا الثاني - حسب شارل أندري حوليان- في كتابه(**تاريخ شمال أفريقيا):"** يحسن اليونانية واللاتينية والبونيقية، وكان في تآليفه آخذا من كل شيء بطرف ، فلم يبق علم واحد غريبا عنه، وكان في إمكانه أن يكتب في كل موضوع بفضل مكتبته الثرية ونساخه الذين لا يعرفون التعب .غير أن تآليفه لم تبق بعده ، ولعله من المؤسف أن يكون كتاب ليبيكا قد ضاع، إذ ربما وجدنا في كتاباته عرضا لبعض المعلومات عن التقاليد المحلية."[285]

وقد تحامل عليه ستيفان أگصيل كثيرا، فاعتبره ناقلا للكتب السابقة أو كتب معاصريه، ولم يبدع في أعماله كثيرا، بل رصد له كثيرا من الأخطاء العلمية وسفاسف الأفكار التي تقدح في علميته وعبقريته الفذة.ولكنه يتناسى أن يوبا الثاني كان شغالا في مجال الاستكشاف والتنقيب والقراءة والاطلاع، وكثير البحث والدرس والعلم، وليس إنسانا عاديا ينقل من هنا وهناك، كما يقول أگصيل في هذه القولة التي تنم عن حقد دفين يكنه ليوبا الثاني:" نعترف صراحة أن هذا العلم لم يكن من نوع رفيع، وأن هذه المؤلفات العالمة كانت على ما يظهر نقولا مستعجلة، وأن مجهود الناسخين فيها، قد هيأ بصفة واسعة عمل المؤلف.والحقيقة أننا باقتصارنا على فقرات هزيلة مما كتبه يوبا، وكذلك بعدم معرفتنا للمؤلفات التي رجع إليها عند كتاباته، فإننا في الغالب لانستطيع تقدير ما ساقاه من سابقيه، وما أضافه هو إلى مصادره.ولكننا مع ذلك نستطيع أن نؤكد أنه استقى جميع علمه فيما يخص تاريخ الأشوريين من بيروز(Bérose)، إذ أكد ذلك هو

---

[284] - ستيفان اگصيل:نفسه، ص: 228.

[285] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:173.

بنفسه.واعتمد في (العربيات/ أرابيكا) على عدد من رفقاء الإسكندر ومؤرخيه، خصوصا منهم الربان أونسكريت(Onésicrite)، والقائد البحري نييارك(Néarque).وفيما يخص أصول روما، فإن الكثير من فقراته تتطابق تماما مع فصول من دونيس الهليكرناسي(Denys D'Halicarnasse) الذي نشر كتابه عن (الأركيولوجية الرومانية) في سنة 7ق.م.فهو-إذاً- قد نقل عن هذا الكتاب، ما لم يكونا معا قد نقلا عن كتاب ثالث.أما النقول المتعلقة بالأنظمة الرومانية ، والتي لابد أنها جاءت من كتاب (الأشباه) ، فإنها تشهد باعتماد يوبا على فارون(Varron)، مع إضافات أو تعديلات أخذت من مصادر مختلفة، كدونيس الهلكرناسي أو غيره. وقد قيل عن يوبا اعتمد كثيرا على تيت ليف في تاريخ روما، وعلى أسينيوس بوليون في نهاية الجمهورية.وكل هذه مجرد فروض واهية.لكن المؤكد هو أنه رجع إلى مؤرخ لاتيني آخر من أهل عصره، هو سولبيسيوس كالبا(S.Galba) ، فقد ذكر اسمه بمناسبة حديثه عن روملوس."[286]

ويضيف ساخرا من أخطاء يوبا الثاني" وبالتأكيد، فإن يوبا كان واسع المعرفة، فلقد أعطى على ذلك حججا كثيرة.لكن المؤسف هو أن علمه كان يفوق بكثير قدرته على التمييز، بحيث يظهر وكأنه غير قادر على التمييز بين الأشياء المهمة وبين التوافه والترهات.وكانت هذه الأخيرة هي التي يتأنق في جمعها.وكان يرتكب أشنع الأخطاء."[287]

لكن العلماء الآخرين من اليونان واللاتين هم الذين أخذوا الكثير عن يوبا الثاني. فهم يعترفون بذلك رسميا في كتاباتهم، ولا ينكرون ذلك ، كما هو حال المؤرخ پلين الأكبر الذي ذكر اسم يوبا الثاني مرات كثيرة في العديد من كتبه ومؤلفاته الموسوعية. واعتمد عليه أيضا بلوتارك في مؤلفاته التاريخية، وأثر كذلك في كتابات شخصيات ثقافية أخرى، مثل: تيت ليف، وأسينيوس بوليون، وأبيان، وإليان...

وبناء على ماسبق، تتجلى عظمة يوبا الثاني في مجالات ثقافية وفكرية متنوعة، يمكن حصرها فيما يلي:

---

[286] - ستيفان أگصيل: نفسه، ص:235-236.

[287] - ستيفان أگصيل: نفسه، ص:236-237.

المطلب الثاني: الاهتمـــام بالمكتبـــات والعلمـــاء والمتاحـــف

اهتم يوبا الثاني اهتماما متميزا بالجانب الثقافي والعلمي والفكري، فقد اعتمد على المقاربة الثقافية في تحقيق التنمية الشاملة ، والدليل على ذلك عنايته بالعلماء والمكتبات والتوثيق العلمي والمتاحف.

الفرع الأول: بنـــاء المكتبـــات، وجمع المخطوطات والوثائـــق

أنشأ يوبا الثاني خزانات ضخمة في المدن التي كان يشرف عليها، خاصة مكتبات قصوره، وقد جمع فيها أنواعا من الكتب والمخطوطات القيمة والدراسات النفيسة، ولاسيما المخطوطات والكتب اليونانية والمصرية واللاتينية والفينيقية التي توجد في مكتبة قرطاج ، وقد ورثها عن جده الأكبر همبسال . وقد حافظ على نسخة أصلية من رحلة حانون، وربما يكون قد ترجمها بنفسه إلى اليونانية. ويعني هذا أنه جمع كل مخطوطات مكتبات قرطاج الزاخرة بمختلف المؤلفات والكتب القيمة في مختلف مناحي الحياة والفكر والعلم. وفي هذا الإطار،يقول ستيفان أگصيل:" وكان لابد له، لإنجاز بحوثه وكتاباته، من خزانة حسنة ومن عدد كبير من الناسخين والملخصين، وربما حتى من المساعدين الذين لهم منزلة أعلى.وكانت ثروته الملكية تجد في هذه المصاريف مساغا كريما.واشتهر عنه أنه كان يؤدي الثمن بسخاء، فكان المحتالون يستفيدون منه دون حياء.وقد باع له ذات يوم بعض المحتالين مخطوطا عولج بلباقة اكتسبه مظهرا محترما، وقالوا عنه إنه لفيتاغوراس.ولاشك أن المؤلفات الإغريقية التي لابد أنها تكون القسم الأكبر من خزانته، قد كانت مصحوبة بعدد كبير من المخطوطات اللاتينية.وكان يملك كذلك مخطوطات بونيقية.فهل قرأ في نسخة من النص الأصلي قصة الرحلة التي قام بها حنون بمحاذاة الشواطئ الأفريقية، والتي كانت معروضة في أحد معابد قرطاجة؟ إن هذا الافتراض مشكوك فيه جدا.ولاشك أن يوبا اكتفى بالترجمة الإغريقية لهذه الوثيقة.

أما عن منابع النيل، فإنه رجع إلى كتب بونيقية.ويمكن الاعتقاد أن الكتب البونيقية التي كانت على ملك جده هيمبسال، قد كانت في مكان لائق

بخزانته، وربما يكون قد نجح في الحصول على تلك الخزانات القرطاجية التي كان مجلس الشيوخ الروماني من قبل قد تخلى عنها للأمراء من أسرته."[288]

وعليه، فقد كانت مكتبات يوبا الثاني العامة، وخزاناته الخاصة العامرة بالكتب والمخطوطات والوثائق القيمة والثمينة، مثالا دالا وشاهدا حقيقيا على مدى اهتمام يوبا الثاني بالفكر والعلم والثقافة. ومن هنا، لم يكن الإنسان الأمازيغي القديم جاهلا أو أميا أو متعطشا إلى الحروب، بل كان يعنى بالتأليف والكتابة والإنتاج كما وكيفا، بل كان يوبا الثاني سيد المثقفين الغربيين في تلك الآونة، ومستشارا ثقافيا بارزا للقيصر أغسطس.

الفرع الثاني: العنايـــــة بالعلمـــاء

استقطب يوبا الثاني ، نحو عاصمتيه شرشال ووليلي، كبار الأدباء والفنانين والنحاتين والعلماء والأطباء من قرطاجنة واليونان وإيطاليا...وفي هذا الصدد، يقول أكصيل:" بعد قرطاجة، فشرشال هي الموقع الذي أعطى أكثر النقوش الإغريقية بشمال أفريقيا، وأكثرها راجع للعهد الروماني، وغيرها لايمكن التأريخ له. ولكن اثنتين منها على الأقل قد وقع نقشهما قبل استيلاء الإمبراطورية...فقد كان يوبا بفضل إحاطة نفسه برجال من أصل هليني: كالطبيب أوفرب والممثل ليونتيوس..وسكرتارين يساعدونه في تهيئة كتاباته، ومهندسين ومثالين وفنانين آخرين وقع استدعاؤهم للعمل في العمارات التي كان يزين بها عاصمته..."[289]

ويعني هذا أن يوبا الثاني قد جمع حوله كثيرا من العلماء والفنانين والنساخين والأدباء والمبدعين والعلماء والمهندسين ...وكان يغدق عليهم الأموال والهبات والمكافآت تشجيعا لهم وتحفيزا وتقديرا وتنويها وتكريما.

الفرع الثالث: الاهتمـــــام بالمتاحـــف

---

[288] - اصطيفان أكصيل: نفسه، ص:221.

[289] - جيروم كركوبينو: نفسه، ص:257.

بنى يوبا الثاني، في مملكتيه القيصرية والموريطانية، مجموعة من المتاحف الأركيولوجية. وكان الهدف منها جمع الآثار، والمنحوتات، والنقود، والوثائق، والأدوات ، والمعادن النفيسة، والمستكشفات الطبيعية والتاريخية والعلمية والجيولوجية. وقد عرض فيها كل ما وصل إليه بنفسه في أثناء استكشافاته الطبيعية، ورحلاته العلمية، و جولاته السياحية، أو في أسفاره الدبلوماسية والإدارية والسياسية والاقتصادية، أو في أثناء خرجاته للتعلم والبحث والتجريب، أو تعرض فيها ما وصل إليه علماؤه في أثناء رحلاتهم العلمية، واستكشافاتهم الجغرافية.

ومن أهم المتاحف التي أشار إليها الدارسون ، وأخص الكولونياليين منهم، متحف شرشال ومتحف وليلي. فقد ضم المتحف الأول كل المنحوتات البرونزية والنقود والأشكال والتماثيل التي كانت توجد بالمملكة القيصرية أو نوميديا. ومازالت بعض تلك الآثار شاهدة على غنى متحف شرشال، وناطقة بعظمة يوبا الثاني ، وما شهده عصره من إنجازات ثقافية وفنية عظمى.

ومن جهة أخرى، يشهد متحف وليلي تلك العظمة نفسها بما يحويه من منحوتات، وتماثيل ، وصور، وأدوات، وأشكال، ومواد، ونقود، وآثار، معبرة عن فرادة عصر يوبا الثاني في التاريخ المغربي القديم.

الفرع الرابع: الموسوعات العلميـــة

يعد يوبا الثاني من أهم المؤلفين للموسوعات في التاريخ القديم؛ ويمكن القول بأن الأمازيغ كانوا سباقين إلى تأليف الموسوعات الكبرى. فقد ألف يوبا الثاني موسوعة ضخمة، في ثلاثة مجلدات ضخمة، سماها بالليبيات، أو ليبيكا(Libyca)، جمع فيها رحلاته العلمية المختلفة ، وضمنها كشوفاته الطبيعية والجغرافية المتنوعة، وأرفقها بأحاديثه عن المغرب، ولاسيما ما يتعلق بالمجتمع الأمازيغي، على مستوى اللغة والعادات والتقاليد والأعراف. بمعنى أن هذا الكتاب مخصص لتاريخ أفريقيا الشمالية وباقي القارة الأفريقية. وفي هذا السياق، يقول ستيفان أكصيل:" كان مصنف (الليبيات) يتألف من ثلاثة كتب على الأقل، تشمل على ما يحتمل مواد مختلفة جدا، من الجغرافيا، إلى التاريخ، إلى التاريخ الطبيعي،

إلى الميثولوجيا وغير ذلك.وكان يوبا في مؤلفه هذا يقتبس من رحلة حانون ، فنستنتج نحن أنه قد وصف سواحل القارة، ويمكن أن نفرض من خلال نص لپلين أنه وصف جبال الأطلس كذلك، ولاشك في هذا الكتاب قد ذكر نتائج بحثه عن النيل وعن جزائر كناريا، كما ذكر المصبغات التي أنشئت بأمر منه في الجزائر الفرفورية.[290]"
وقد تحدث الكاتب فيه أيضا عن مجموعة من الحيوانات التي كانت منتشرة في موريطانيا، مثل: الفيلة، والنمور، والأسود، والحمر الوحشية، والظباء...كما تحدث عن أنواع مختلفة من النباتات، مثل: الليمون...

المطلب الثالث: الاهتمام بالآداب

كان يوبا الثاني معجبا بالمكتبات الأدبية، فقد اطلع على الكثير منها، حينما نفي إلى إيطاليا قبل تتوجيه بالحكم، فقد مارس كتابة الشعر والنقد. فقد نقد دور ليبونتوس (Leonteus) في مسرحية تراجيدية تسمى بهيبسيبل (Hypsipyle). وفي هذا الصدد، يقول ستيفان أگصيل:" وربما كان ينظم الشعر في بعض المناسبات، فقد وصلتنا بعض الأبيات الشعرية التي كان قد بعث بها إلى الممثل ليونتيوس الذي لم يحسن تمثيل دوره في مأساة هبسبييل؛ لأنه اخطأ بتناوله عشاء مفرطا قبل التمثيل.فسخر منه يوبا بغلاظة على شرهه."[291]
هذا، وقد اهتم أيضا بالكتابة السردية ، وسعى إلى جمع القصص وتوثيقها، حيث تضمنت موسوعة يوبا الثاني، خاصة (ليبيكا)، قصصا أمازيغية فانطاستيكية متنوعة ، خاصة قصة (**الأسد الحقود**) التي مازالت تروى من قبل الجدات في عدة مناطق أمازيغية في المغرب باللغة البربرية، كما ورد ذلك جليا في كتاب(**لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين**) للباحث المغربي محمد شفيق[292].
وقد ذكر يوبا الثاني أيضا، في موسوعته (ليبيكا)، مجموعة من القصص الخرافية الأخرى، ولاسيما قصة عودة البطل هيركوليس إلى طنجة،

---

[290] ـ ستيفان أگصيل: نفسه،ص:229.
[291] ـ اصطيفان أكصيل: نفسه، ص:220.
[292] ـ محمد شفيق : نفسه، ص:77.

علاوة على قصص أخرى ضاعت بسبب ضياع موسوعة ليبيكا وباقي مؤلفات أغسطس الأخرى.

المطلب الرابع: العناية باللغويـــات

يعتبر يوبا الثاني من أكثر المثقفين الأمازيغ اهتماما باللغات والفيلولوجيا التاريخية والاشتقاقية، فكان يبحث في مصادر اللغة اللاتينية، ويرجع كلماتها إلى أصولها اليونانية اعتمادا على الاشتقاق. وقد تحامل عليه المؤرخ الفرنسي ستيفان أگصيل كثيرا في كتابه(**تاريخ شمال أفريقيا القديم)** بقوله:" وله غرام شديد بالدراسات اللغوية (فقه اللغة/ الفيلولوجيا)، وكان مقتنعا أن اللاتينية كانت من قبل هي الإغريقية، ولكن اعتراها شيئا فشيئا التحريف بسبب اختلاطها باللغة الإيطالية، فكان هو يجتهد في الكشف عن الأصول الإغريقية للعديد من الألفاظ اللاتينية، الأمر الذي دفع به ليقول حماقات ربما كانت أكثر مما قالها غيره ممن يتمسكون بهذا الرأي الواهي. وكان يحب جمع الألفاظ الآتية أو التي قيل إنها أتت من اللغات الأجنبية، مثل لهجات الهند، وبلاد العرب وآسيا الصغرى، وأثيوبيا. ويحتمل أن يكون پلين Pline نقل عنه الألفاظ المستعملة عند سكان شمال أفريقيا."[293]

ومن أهم كتب يوبا الثاني، في مجال اللغويات، كتاب(**التحريف في اللغة)،** وقد بحث فيه يوبا الثاني عن التحريفات اللغوية والدلالية التي تعتري معاني الكلمات. وعلى الرغم من انتقادات ستيفان أگصيل غير الموضوعية ، فقد كان يوبا الثاني ملكا مثقفا موسوعيا، يعنى كثيرا بالبحث العلمي مسحا واستقراء واستقصاء، ويشتغل في عدة ميادين ومجالات علمية متنوعة ، معتمدا في ذلك على مكتبته الخاصة الزاخرة بالكتب الثمينة والنادرة، والاتكاء أيضا على البعثات العلمية التي كان يرسلها من فينة إلى أخرى إلى بقاع العالم بغية استكشاف مجموعة من الحقائق العلمية والفكرية والفنية واللغوية؛ مما أهله ذلك لتناول مسائل اللغة والفيلولوجيا بكل يسر وسهولة.

---

[293] - ستيفان أگصيل: نفسه، ص: 220-221.

هذا، وقد كان يوبا الثاني يتقن لغات عدة ، مثل: اللغة اليونانية، واللغة اللاتينية ، واللغة البونيقية، ولغته الأمازيغية المحلية التي كان يتواصل بها مع فئات شعبه. بيد أن اللغة اليونانية كانت هي المفضلة بسبب ثقافته الموسوعية التي كانت تفرض عليه ممارسة هذه اللغة، علاوة أنها اللغة الرسمية التي فرضتها زوجته كليوباترا سليني. وفي هذا، يقول جيروم كركوبينو:" وإذا كان الملك لم يقرر اتخاذ اللغة الإغريقية رسميا، كما فعلت الملكة كليوباترا سليني ، فإنها كانت بالتأكيد هي لغته المفضلة .لقد تعلمها بروما، إذ حسب العادة آنذاك فإنه نال تربية هيلينية ورومانية، وفي بلاطه كان الحديث في الأكثر يجري بالإغريقية.[294]"
وهكذا، يتبين لنا أن يوبا الثاني كان مهتما بالنحو والاشتقاق وفقه اللغة أو الفيلولوجيا ، مستعملا في ذلك المنهج المقارن تارة، والمنهج اللغوي التحليلي تارة أخرى.

المطلب الخامس: رعاية الفنـــــون

اهتم يوبا الثاني بالفنون اهتماما كبيرا ، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على رهافة إحساسه، وسمو ذوقه الفني والجمالي، وتأثره بالثقافات المجاورة، مثل: الثقافة اليونانية، والثقافة المصرية، والثقافة الفينيقية، والثقافة القرطاجية، والثقافة الرومانية، والثقافة الأفريقية، والثقافة الأمازيغية المحلية. ومن أهم الفنون التي اهتم بها يوبا الثاني نستحضر ما يلي:

الفرع الأول: الموسيقـــا

لقد أقبل يوبا الثاني على الموسيقا بشغف مثير، ونهم متميز . فقد اهتم بها كثيرا، وخصص لها كتبا وافية وشاملة، عرّف فيها بمخترعي الموسيقا، وأشار إلى طبيعة حرفتهم والآلات الفنية التي كان يستعملونها، ورصد إيقاعاتها وألحانها. وفي الوقت نفسه، تحدث بإسهاب عن الفنون المجاورة

---

[294] - جيروم كركوبينو: نفسه، ص:257.

للموسيقا، مثل: الرقص، والتمثيل، والمسرح، والنحت. وكان يوبا الثاني يستدعي العلماء والفنانين والأدباء من روما وأثينا ليفيدوا الأمازيغيين ويمتعوهم في المجال الثقافي والفني بصفة عامة، والفن الموسيقي بصفة خاصة.

وقد أثبت الباحث الجزائري بوزياني الدراجي أن يوبا الثاني أنشأ معهدا لتعليم الموسيقا بعاصمته القيصرية شرشال. كما ألف موسوعة موسيقية مهمة. وفي هذا السياق، يقول الدارس:" يعلم الجميع المجهودات الجبارة التي قام بها يوبا الثاني في نشر الفنون- بشتى أنواعها- في بلاده؛ مثل الموسيقا التي أنشأ- لتدريسها ونشرها- معهدا خاصا بشرشال؛ كما قام هو نفسه بتأليف موسوعة موسيقية ضخمة. "[295].

بيد أننا نستغرب مما ذهب إليه الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابه(**ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية**) الذي أنكر وجود الفنون الجميلة عند الأمازيغيين قديما نظرا لسذاجة الألحان الأمازيغية، وقلة الآلات الموسيقية، وبساطة الإيقاع، وانعدام البحث الموسيقي، والتأثر بالأغاني الزنجية الأفريقية السوداء الرتيبة. وفي هذا الصدد، يقول الباحث:" مهما تتبع الباحث رسوم الحضارة، والمجتمع البربري؛ الذي يقطن شمال أفرقية- من قديم الزمان- فإنه لا يجد للفنون الجميلة- ومنها الموسيقا- أدنى أثر يذكر؛ وغاية ما يقال أن الأهالي الأصليين كانوا يتغنون ببعض ألحان ساذجة بسيطة، ربما قلدوا فيها أغاني الزنزج ببعض ألحان ساذجة بسيطة؛ ربما قلدوا فيها أغاني الزنوج المحيطين بهم من ناحية الجنوب- الصحراء الكبرى والسودان- فالقبائل المحافظة على بربريتها الأولى مازالت تصوت بألحان أقرب ما تكون إلى إيقاع السودانيين...ويمكن الاستدلال على بساطة الموسيقا- لأي شعب كان- بآلات الطرب التي يستعملها لهذا الغرض. فالأمم البربرية ليس لها من الأدوات إلا مزمار؛ وهي(الشبابة) يتخذ في الغالب من القصب؛ ينفخ فيه، أو نوع من الرباب ذي وترين لا غير(گمبري)؛ وهوعين ما يوجد عند الزنوج البدائيين. وهذا من أكبر الشواهد على تأخر التلحين عندهم. وكذلك الشأن في الأصوات نفسها، التي تتغنى بها القبائل البربرية مثل: جبل(زوارة)- كتامة قديما- وبلاد الريف وأهل جبال المغرب من السوس

---

[295] - بوزيان الدراجي: نفسه،ص:55.

الأدنى والأقصى؛ فإن الإيقاع فيها بسيط جدا؛ ولا يتجاوز بعض مقامات السلم، شبيه ما يشاهد عند السودانيين. وهذه هي الألحان الساذجة التي وجدها العرب عند عشائر البربر لما فتحوا البلاد عليهم؛ وبقي استعمالها شائعا بين السكان الأصليين إلى أن امتد التعريب في البلاد، ورسخ في البلاد اللوبية؛ فتحولت أوضاعهم بالتدريج إلى أوضاع عربية؛ وانتشرت على مر الزمان من الحواضر العربية أو المتعربة أو المتعربة حتى بلغت قرارات البربر".[296]

ولايمكن لنا - إطلاقا- قبول هذا الحكم الساذج المتسرع ؛ لأن أبوليوس كان متفننا في الأغاني، ومتحكما في أشكال الموسيقا، حسب الأداة، وحسب طبيعة الأغراض الشعرية، ومتنوعا فيها بتنوع الأعاريض والألحان. ويبين لنا هذا مدى ازدهار الشعر والموسيقى في تامازغا. وفي هذا السياق، يقول أبوليوس أو أفولاي الأمازيغي:" أعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة لروح الملحمة أو فيض الوجدان لمرح الملهاة أو جلال المأساة وكذلك لا أقصر لا في الهجاء ولا في الأحاجي ولا أعجز عن مختلف الروايات والخطب يثنى عليها البلغاء، والحوارات يتذوقها الفلاسفة. ثم ماذا بعد هذا كله؟ إنني أنشيء في كل شيء باليونانية أم باللاتينية بالأمل نفسه، و بالحماس نفسه، وبالأسلوب نفسه".[297]

وعليه، يتبين لنا أن الموسيقا كانت مزدهرة في عهد يوبا الثاني، مادام قد خصص لها موسوعة كبيرة من المجلدات الضخمة، وقد تناولها على مستوى الألحان والكلمات والأصوات والنبرات والأغراض والأدوات.

الفرع الثاني: المســـرح

لم يقتصر المسرح الأمازيغي على أبوليوس وترنيوس آفر وأوغستان فحسب، بل تعدى ذلك إلى يوبا الثاني الذي اعتنى بهذا الفن عناية فائقة، فقد ألف كتابه الرائع(**تاريخ المسرح**) الذي جمع فيه دراسات شاملة حول

---

[296] - حسن حسني عبد الوهاب**: <u>ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية</u>**، القسم الثاني، مكتبة المنار ، تونس،1966-1972،صص:171-172.

[297] - أندري جوليان: نفسه،ص:252.

الموسيقا والرقص، وقد كتب منه ثمانية عشر (18) مجلدا. ويثمن الكثير من الباحثين الإنجازات القيمة التي حققها الملك المثقف يوبا الثاني في مجال الدراما والتمثيل والتكوين المسرحي. فقد قال بوزياني الدراجي:"أما التمثيل فقد أسس يوبا أيضا معهدا لتدرسيه في شرشال كذلك..."[298].

هذا، وقد عني يوبا الثاني أيما عناية بالكوريغرافيا المسرحية الهادفة والممتعة، من خلال الجمع بين الرقص والموسيقا والتمثيل . والدليل على ذلك أن فقرات كتاب(**تاريخ المسرح**) تشير إلى " آلات موسيقية وقع اختراعها في بلدان مختلفة، وبرقصات إغريقية وأجنبية، وبالطريقة التي يحسن أن توزع بها الأدوار على الممثلين."[299]

فضلا عن ذلك، فقد بنى يوبا الثاني مجموعة من المسارح في شرشال، ووليلي، وليكسوس. ومن بين هذه المسارح المسرح العتيق الذي يوجد في شرشال ، وأمامه تمثال كبير من المرمر يمثل شخصا إمبراطوريا يخطب على جيوشه.[300]

وفي هذا السياق، يقول ستيفان أگصيل:" ومن المؤكد أن قيصرية كان بها مسرح على عهد يوبا الذي كان يحب الفرجات، والذي كتب بحثا مسهبا عن الفن الدرامي.ولاشك أن هذا المسرح هو الذي لم تندثر خرائبه حتى الآن. بالرغم من أنها كثيرا ما استعملت كمحجرة.وكانت الزخارف الفاخرة على جدران خشبة المسرح من الرخام الأبيض، وهو عبارة عن دثار وعن ثلاث مجموعات متراكبة من الأعمدة الكورنثية التي تحمل عمرة غنية، إلخ..ثم إن هذه البقايا من طراز يجعلها متينة القرابة بالقطع المعمارية التي عثر عليها بالساحة. فالعهد واحد إذن."[301]

ويعني هذا أن يوبا الثاني كان يحب المسرح كثيرا، وقد بنى عدة مسارح لعرض المآسي والملاهي على حد سواء، وكان يحضر عروضها الفرجوية. وكانت المسارح المبنية دائرية أو نصف دائرية ، منفتحة على الهواء الطلق، وكانت تبنى في شكل أعمدة ومدرجات على غرار المسرحين اليوناني والروماني.

---

[298] - بوزيان الدراجي: نفسه، ص:55.

[299] - ستيفان أگصيل: نفسه، ص:235.

[300] - اصطيفان أكصيل: نفسه، ص:195.

[301] - اصطيفان أكصيل: نفسه، ص:212-213.

الفرع الثالث: الفـــن التشكيلـــي

لم يكتف يوبا الثاني بكتاب(**تاريخ المسارح**) الذي تحدث فيه عن الرقص، وآلاته الموسيقية، ومخترعي هذه الفنون فحسب، بل ألف كتابا فنيا آخر تحت عنوان (**تاريخ الرسم والرسامين)** للتعريف بفن الرسم والتصوير على مستوى الموضوع والشكل والأدوات، مع كتابة تراجم الرسامين اليونان والرومان والبونيقيين والأمازيغ على حد سواء. ويبين لنا هذا الكتاب مدى انتشار فن الرسم بين الساكنة الأمازيغية النوميدية والموريتانية، ووجود الرسامين بكثرة يعنون بالإبداع التشكيلي في مختلف تجلياته الفنية والجمالية.وفي هذا المنحى، يقول بوزياني الدراجي:" لم يكن يوبا هو الوحيد المهتم بالفنون الجميلة ببلاد المغرب آنئذ؛ فثمة آخرون كانت لهم الاهتمامات نفسها؛ لأن التأثير الإغريقي والفينيقي والروماني لابد أن يولد اهتماما معينا بين السكان؛ وإذا لم يهتم بذلك السكان كلهم فقد يهتم بعضهم..."[302]

هذا، ويشتمل هذا الكتاب الفني التشكيلي على ثمانية أجزاء على الأقل، وقد ذكر الكتاب بعض الفنانين المشهورين آنذاك، مثل: بوليكنوت (Polygnote)، وبارهاسيوس (Parrhasius)، وغيرهم، وعرف بهم تعريفا وافيا ومستفيضا[303].

الفرع الرابع: النحـــت

اهتم يوبا الثاني بالنحت اهتماما كبيرا . والدليل على ذلك المنحوتات التي عثر عليها الباحثون في عاصمتيه: شرشال ووليلي، مثل: التمثال الذي يمثل كلبا منحوتا من البرونز، وقد عثر عليه الفرنسي لويس شاتلان (Louis Chatlan) في مدينة وليلي سنة 1916م . وكان الكلب يعوي بشراسة، و" كان تشكيله الذي لايزال يرى في مؤخرته يدفعنا إلى اليقين

---

[302] - بوزيان الدراجي: نفسه، ص:55.

[303] - ستيفان أكصيل: نفسه، ص:235.

بأنه كان يزين إحدى السقايات بمدخل أحد المنازل الثرية، وهو منتعش حركة وحياة.[304]"

علاوة على تمثال آخر في شكل رأس من المرمر " لشاب بذقن قصير، يمط الشفتين في بعض الازدراء.له جبين واضح، ويختفي منه قسم تحت خصلات الشعر التي تغطي في نعومة إحداها الأخرى.[305]"

وعثر على تمثال آخر يمثل بغلة مزينة " بشريط العناقيد التي كانت سابقا تزين قائمة فراش، وتدخل في الزينات المعلقة على الأفرشة العتيقة التي يطلق عليها پلين اسم أفرشة ديلوص"[306].

كما وجدوا تمثال الفتى الفارس، أو ما يسمى أيضا بفارس وليلي، وكذلك الفتى المتوج بإكليل الغار الديونيسي ، وتمثال الآلهة فينوس، وغير ذلك من المنحوتات، والتماثيل، والنقود، والأحجار الكريمة، والأدوات والأشياء المستعملة في الحياة اليومية...

هذا، وقد أسس يوبا الثاني مجموعة من المتاحف الأثرية أو الأركيولوجية بغية جمع هذه المنحوتات الثمينة، والحفاظ عليها من عوادي الدهر، ومن أهمها: متحف وليلي، ومتحف شرشال. وفي هذا الصدد، يقول جيروم كاركوبينو:"لولا أن الغوص بحرا بالمهدية التونسية لم يجعل تونس تحتفظ لنفسها بحطام السفينة المحملة بأمر سيلا (Sylla) لتنقل الغنائم من الأتيك (Attique) إلى إيطاليا، لولا ذلك، لكان متخف وليلي هو الوحيد بجميع الشمال الأفريقي الذي يتحفنا بمجموعة من روائع المنقوشات الفنية القديمة. وبجميع أرض المغارب لاتوجد سوى شرشال التي انفرج لنا ترابها عن تماثيل موثوق بصحتها الكلاسيكية والمؤثرة.كما يجب أن نلاحظ أن تماثيل شرشال التي أنجز أجملها في العهد الأوغسطسي، هي نسخ من المرمر لأصول من البرونز، أما تماثيل وليلي ، فقد وصلت إلينا في نفس المعدن الذي أنجزت فيه. لكن بينما أجمل تماثيل شرشال تؤرخ على الخصوص بالعهد الأوغسطسي، فلهذا العهد ترجع دون شك جميع تماثيل وليلي التي وصفناها."[307]

---

[304] - جيروم كركوبينو: نفسه، ص:239.

[305] - جيروم كركوبينو: نفسه، ص:239.

[306] - جيروم كركوبينو: نفسه، ص:239.

[307] - جيروم كركوبينو: نفسه، ص:240.

ولا علاقة هذه الآثار بالإمبراطورية الرومانية، فهذا عمل يوبا الثاني الذي كان إنسانا راقيا، وفنانا متحضرا، سبق عصره بكثير، يعرف كيف يختار المنحوتات، وكيف يوثق معالم مملكته التي كانت تترامى بين شرشال ووليلي. وهذا ما يثبته أيضا جيروم كركوبينو بقوله:" هكذا فكل العلامات الأركيولوجية تتفق على إيضاح أن التماثيل التي تبهرنا في وليلي قد جاءتها قبل سيطرة الإمبراطورية على موريطانيا.إذاً، فإذا كانت القيمة الفائقة للآثار المكتشفة في شرشال لايمكن تفسيرها إلا بعمل يوبا الثاني الأمير المزهو، ورجل الذوق، الممتلئ بالهيلينية والمتفهم الحصيف، فبالأحرى يجب علينا أن نعزو لعمله الشخصي الجمال البديع الذي أضاء حول عهد الميلاد في عمق البادية المغربية مدينة وليلي.وهذه النتيجة لا أتردد في ذكرها، خصوصا، وهو أن وليلي كانت فيما مضى بمساواة مع يول- قيصرية (Iol-Caesarea)، أي شرشال القديمة، مدينة إقامة الملك يوبا الثاني."[308]

كما ترك لنا يوبا الثاني مجموعة من النقود التي تصور فترته التاريخية، وتعكس صوره في مختلف هيئاته العمرية، وترصد مراحل شبابه.ووجدنا كذلك صورة الملكة كليوباترة سليني في النقود إما إلى جانب يوبا الثاني، وإما بشكل مستقل. ويعني هذا أن الملكة كانت تشارك يوبا الثاني في إدارة الحكم، وقيادة الدولة[309]. لكن الزوجة الثانية كلافيرا(Glaphira) لم ترد صورتها في نقود موريتانيا. ويعني هذا أنها لم تكن لها الامتيازات نفسها التي كانت تتمتع بها كليوباطرا عند الشعب الموريتاني[310].

وعليه، يعد متحف شرشال من أهم المتاحف الغنية بالمنحوتات التي تركها يوبا الثاني.وفي هذا يقول ستيفان أگصيل:" إن المرء حينما يطوف في متحف شرشال الجميل يجد نفسه تميل حبا ليوبا، هذا الملك الذي عرف كيف يحيط نفسه بكل هذه الآثار الفنية القيمة، وذلك لمتعته هو ولمتعتنا نحن أيضا."[311]

---

[308] - جيروم كركوبينو: نفسه، ص:244.

[309] - ستيفان أگصيل: نفسه ، ص:190.

[310] - ستيفان أگصيل: نفسه ، ص:193.

[311] - ستيفان أگصيل: نفسه، ص:217.

وعلى العموم، فقد كان النحت في عهد يوبا الثاني مزدهرا . والسبب في ذلك هو التأثر بالحضارات اليانعة في تلك الفترة، مثل: حضارة اليونان، وحضارة الرومان، وحضارة قرطاج...

الفرع الخامس: العمـــارة

أما فيما يتعلق بالعمارة، فقد اهتم يوبا الثاني بتجميل الحواضر وتزيينها على غرار الحواضر الرومانية تقليدا لفن عمارتها، وهندسة مبانيها، وجمال مدنها، كما يقول المؤرخون "خاصة عاصمتيه أيول(شرشال القيصرية) ووليلي، مما يعكس ذوقه ومدى الرخاء الذي شهدته مملكته، فضلا عما يمكن استنتاجه من كون تشجيع الحياة الحضرية يدخل في إطار السياسة الرومانية الرامية إلى تدجين الأمازيغيين.
وُيعرف على يوبا الثاني أنه كان مولعا بالعمارة الجميلة وزخارفها الفسيفسائية الباهرة،كما كان ميالا إلى الفنون الهندسية، ووضع التصاميم العمرانية الفنية الدقيقة. وتعد مدينة شرشال آية في الفن العمراني الجميل، وقد سماها بالقيصرية (Cesarea) على غرار اسم القيصر اعترافا له بالجميل والثناء العميم . و" جلب لعاصمته (شرشال) مختلف الفنانين من مصر واليونان، فشيدوا فيها من القصور الجميلة والهياكل الفخمة؛ ماجعلها بحق محط أنظار الملوك والأمراء، كما جلب لها عددا من الكتاب والشعراء والفلاسفة".[312]
وإذا أردنا معرفة طبيعة هندسة المدينة في عهد يوبا الثاني، فقد كانت ممزوجة بالعمارة اليونانية، وآخذة من النحت الروماني، ومتأثرة بالهندسة الفينيقية القرطاجنية، وتطبعها الروح الأمازيغية الثورية المبنية على الفروسية والمقاومة.
وهكذا، فقد كانت المدينة البربرية " محاطة بالأسوار والأبراج، وبداخلها فوروم forum .أي: ميدان عمومي، وكابيطول capitole .أي: معبد، وقوس النصر تعلوه عربة تجرها ستة خيول، وكانت بها كذلك خزائن لحفظ الكتب وتماثيل الآلهة، ومسقيات وحمامات عمومية مفروشة أرضها بالرخام، ومغطاة جدرانها بالفسيفساء المصورة لمناظر من الطبيعة

[312] - محمد محيي الدين المشرفي: نفسه، ص:81.

ومشاهد من الحياة. أما المدينة نفسها، فكانت مقسمة إلى قسمين: أحدهما في الجنوب تجمعت فيه المصانع والمخابز ومعاصر الزيت والدكاكين والدور الشعبية، والثاني في الشمال يسكنه الأغنياء والحكام.
ومازالت بعض الآثار الباقية في وليلي شاهدة على ماكانت عليه هذه المدينة، حيث كشف النقاب عن بعض الشوارع والمنازل والمعاصر، وعن قاعة الاجتماعات والساحة العمومية التي كانت تعتبر المكان المحوري في المدينة، وعن بعض التحف كتمثال برونزي لكلب، وآخر لغلام ورأس مرمي وتمثالين نصفيين لبروتوس ولبعض الأمراء".[313]
ولا ننسى أن يوبا الثاني كان يستدعي المهندسين والمزينين والمزخرفين من اليونان والرومان وقرطاج ومصر لبناء القصور والمعابد والمسارح والمتاحف والمؤسسات العامة والخاصة . وكان يستورد مواد البناء والتزيين والزخرفة من الدول المجاورة لمملكتيه أو الواقعة على حوض البحر الأبيض المتوسط. والدليل على ذلك كثرة الفسيفساء التي كانت تبلط بها أراضي القصور والمباني العمرانية وأسقفها وأعمدتها.

المطلب السادس: دراسة التاريـــخ

كان يوبا الثاني من كبار المؤرخين في عصره ، فله مؤلفات كثيرة لاتعد ولا تحصى في مجال التاريخ، ومنها: (**تاريخ بلاد العرب/ les Arabica**)الذي وضعه لتعليم يوليوس قيصر إمبراطور الرومان. وهو كتاب يبحث في تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها. و له أيضا كتاب (**آثار آشور**) الذي ألفه، بعد أن رأى بلاد الأشوريين من جميع جوانبها، واستمتع بحضارتهم، وأعجب بثقافة بلاد الهلال الخصيب. كما ذكر فيه حملات نبوخذنصر على الفينيقيين واليهود. ويقول بلوتارك في حق يوبا الثاني هو" أفضل المؤرخين الذين وجدوا من الملوك"، و" يعد من أعلم المؤرخين الإغريقيين".[314]

---

[313] ـ د.عباس الجراري: نفسه، ص:31-32.
[314] ـ ستيفان أگصيل: نفسه ، ص:219.

ومن مؤلفاته التاريخية أيضا كتاب (تاريخ روما) الذي اهتم بجنيالوجية السكان الأصليين لإيطاليا، و" هذا التاريخ عبارة عن قصة متسلسلة للأحداث، فلابد أنه كان تاريخا مختصرا."[315]

ومن هنا، فقد أصبحت كتابات يوبا الثاني، في مجال التاريخ، مصادر أساسية لفهم الأحداث التاريخية القديمة وتفسيرها.لذلك، تمثلها المؤرخون كثيرا، واستفادوا منها مرارا وتكرارا في إنجاز بحوثهم، وتأليف كتبهم وموسوعاتهم التاريخية.

المطلب السابع: العناية بعلـــم الآثار

لم تقتصر علوم يوبا الثاني على التاريخ والجغرافيا والطبيعيات فقط، بل كتب مؤلفا قيما عن (**آثار الرومان القديمة**)، سواء أكانت مادية أم معنوية. و يبين لنا هذا مدى اهتمامه بعلم الآثار القديمة، وعنايته بالتنقيب والحفريات الأركيولوجية. وأكثر من هذا أن يوبا الثاني كان شغوفا بالتنقيب والبحث الاستكشافي الطبيعي والتاريخي والجيولوجي بغية الوصول إلى الحقائق العلمية الصادقة أو المحتملة.

المطلب السابع: الاهتمام بالجغرافيـــــا

من الأكيد أن يوبا الثاني كان مثقفا علامة، ودارسا جغرافيا؛ لأنه اهتم كثيرا بالبحث الاستكشافي الطبيعي، وأرسل مجموعة من البعثات العلمية للبحث في عدة مجالات وميادين، كالتأكد من منبع النيل، والبحث عن جزائر كناريا، والبحث في الكتب البونيقية عن المعلومات العلمية المتعلقة بالتاريخ والجغرافيا[316].
وهناك ، في كتابه (**ليبيكا**)، إشارات إلى هذه البعثات العلمية ، واهتمامات كبيرة بدراسة الحيوانات والنباتات والمياه والجبال...وماكان يؤرقه هو البحث عن منبع نهر النيل ، فقد كان يعتقد أن منبعه هو جبال الجنوب

---

[315] - ستيفان أگصيل: نفسه ، ص:231.
[316] - ستيفان أگصيل: نفسه ، ص: 222-221.

المغربي.كما كان يبحث عن جزر كناريا " التي أرسل لاكتشافها بعثة انطلقت من الجزر الفرفورية .أي: من الجزر الصغيرة التي بموكادور."[317]

وقد استعان يوبا الثاني، في إرسال بعثاته العلمية، برسم الخرائط الجغرافية، وربما يكون هو الذي يضع الخرائط بنفسه، أو بواسطة مساعديه. وفي هذا يقول ستيفان أگصيل:" إن الخريطة التي أمر بها أكريبا (Agrippa) برسمها في عهد يوبا، والتي ربما كان بمستطاع هذا الأخير أن يساعد فيها ببعض المعلومات لم تذكر أي ميناء بعد ميناء ريسادير الذي ربما كان هو الصويرة."[318]

ويعني هذا كله أن يوبا الثاني كان من أكبر الجغرافيين القدماء. وله مؤلفات ضخمة في هذا المجال، وقد استفاد منه كثير من الجغرافيين الذي عاصروه أو جاءوا من بعده.

المطلب الثامن: العناية بالعلـــوم

اهتم كثير من المثقفين الأمازيغ بالمعارف العلمية التي تتعلق بالطبيعة، والتاريخ، والجغرافيا، والفلك، والرياضيات. ونستحضر ، من بين هؤلاء، الملك الأمازيغي يوبا الثاني الذي كتب موسوعة علمية في ثلاثة أجزاء بعنوان(**ليبيكا Lybica/ الليبيات**)، وتتعلق هذه الموسوعة العلمية باستعراض عادات المجتمع الأمازيغي، وتقاليده، ولغته، وثقافته، وبيئته. كما خصص كتابا آخر لتاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها سماه(**آرابيكا/ Arabica).**

ويرى المؤرخ الفرنسي ستيفان أگصيل أن كتاب (الليبيات) ليوبا الثاني يتكون من " ثلاثة كتب على الأقل، تشمل على ما يحتمل مواد مختلفة جدا، من الجغرافيا، إلى التاريخ، إلى التاريخ الطبيعي، إلى الميثولوجيا وغير ذلك. وكان يوبا ، في مؤلفه هذا، يقتبس من رحلة حانون، فنستنتج نحن أنه قد وصف سواحل القارة، ويمكن أن نفرض من خلال نص پلين إنه وصف جبال الأطلس كذلك. ولاشك أنه في هذا الكتاب قد ذكر نتائج

---

[317] - جيروم كركوبينو: نفسه، ص:248.

[318] - ستيفان أگصيل: نفسه ، ص:227.

بحثه عن النيل وعن جزائر كناريا ، كما ذكر المصبغات التي أنشئت بأمر منه في الجزائر الفرفورية."[319]
ومن أهم العلماء الأمازيغ الآخرين في المجال العلمي أوفوربوس الذي اشتهر في مجال الطب والصيدلة، وكان طبيب يوبا الثاني، وقد اكتشف دواء ضد السموم ، قادرا على تنشيط الفكر وترويح النفس. " وباسم ذلك الطبيب يسمى ذلك النبات، في اللغات الإفرنجية، إلى اليوم : Euphorbia,Euphorbe...، وهو الفربيون، أحد أنواع اليتوع أو التيوع المعروف بـ" تاناغوت " و"تاناخوت" في الأمازيغية."[320]
ويشير ستيفان أگصيل إلى هذا الاكتشاف قائلا:" كان أوفورب طبيب الملك (يوبا الثاني) يتبقل في جبال الأطلس، فعثر على نبات له خواص عجيبة. إذ كان الدماع Suc الذي يشتمل عليه هذا النبات يقوي النظر ويعطل مفعول سم الحيات والسموم الأخرى...الخ. فسر الملك بهذا الاكتشاف، وأطلق على النبات اسم أوفورب، الذي صار يعرف به، ثم كتب عنه رسالة صغيرة..."[321]. لكن پلين الأكبر يثبت بأن يوبا الثاني هو الذي اكتشف هذا الدواء (الفربيون) الذي خصص له أحد بحوثه[322].
وهكذا، فقد كانت ليوبا الثاني اهتمامات كبرى بالعلوم الطبيعية، بما فيها الصيدلة، والطب، وعلم النبات...

المبحث الثالث: يوبـــا الثانـــي في ميــزان الاتهـــام

تعرضت شخصية يوبا الثاني لانتقادات عدة، بعضها ذاتي، وبعضها موضوعي. وبتعبير آخر، فهناك من الدارسين من كان يتحامل عليه تحيزا وعداوة وحقدا. وهناك من كان يدافع عنه بموضوعية وحياد ونزاهة علمية. وبالتالي، لم تقتصر هذه المواقف على الدارسين الغربيين فحسب، بل نجد تلك المواقف نفسها عند الدارسين الأمازيغيين ، لكن ليس بتلك

---

319 - ستيفان أگصيل: نفسه ، ص: 229.
320 - محمد شفيق: نفسه، ص:77.
321 - اصطيفان اگصيل: نفسه، ص: 234.
322 - جيروم كركوبينو: نفسه، ص:249.

الحدة والغلاظة التي نجدها عند الكولونياليين الأجانب، كستيفان أگصيل مثلا.

المطلب الأول: مواقف مدافعـــــة

لم تظل مكانة يوبا الثاني الثقافية والعلمية حبيسة تامازغا فقط، بل انتشر صيتها متوسطيا، ولاسيما في بلاد اليونان والرومان. و قد كرمه مثقفو أثينا، ووضعوا له تمثالا جليلا. ومن ثم، " فإن أدبه وعلمه جعلاه على الخصوص أهلا لمدح أهل عصره والأجيال التي جاءت بعده. ولما قرر أهل أثينا، وهم قوم لا يشق غبارهم في المجاملات، أن يكرموا هذا العاهل الذي يسود منطقة واسعة أقاموا تمثاله بالقرب من إحدى خزانات الكتب. ويرى فيه بلوتراك" أفضل المؤرخين الذين وجدوا من الملوك"، ولكن يلاحظ بواسيي Boissier إن كلمة بلوتارك هذه ليس فيها مدح كبير ليوبا. ثم يضيف بلوتراك قائلا:" وهو يعد من أعلم المؤرخين الإغريقيين". وهذا مديح لا يشوبه خبث. ويثني الغير على علمه المتنوع وحياته التي كرست بأجمعها لدراسة الآداب".[323]
وهكذا، فقد أشاد به الدارسون القدماء والمحدثون بسبب كفاءته الحاذقة، وعبقريته المتميزة، وحنكته السياسية المدبرة. فقد أثبت الباحث المغربي محمد شفيق أن يوبا الثاني كان يكتب"باليونانية في التاريخ والجغرافيا والفلسفة والأدب وفقه اللغة المقارن، فتعجب من نبوغه " فلوتارخوس Plutarkhos "، ومن كونه" بربريا نوميديا، ومن أكثر الأدباء ظرفا ورهافة حس"...."[324]
وقد تأثر به كثير من المؤرخين القدامى، فاعترفوا بنبوغه المعرفي الموسوعي، مثل: الروماني تيتوس ليفيوس (Tite-Live)، واليوناني تيودور الصقلي (Diodore de Sicile.) ، وألكسندر الميلي(Alexandre de Milet)، والروماني بلينيوس الأكبر (Pline l'Ancien)، وآخرين ...

---

[323] - ستيفان أگصيل: نفسه ، ص:219.
[324] - محمد شفيق: نفسه، ص:77.

هذا، وقد نوه عباس الجراري بنبوغ يوبا الثاني، واعتبره شخصية ثقافية فذة في تاريخ الأمازيغيين. وفي هذا السياق، يقول الدارس:"ومثله يوبا الأول الذي كانت له مواقف عداء مع القيصر تمثلت في حركات ثورية وطنية انتهت بهزيمته وانتحاره سنة 47.ولكن لم يمر وقت طويل حتى اعتلى ابنه عرش المملكة الموريطانية، وهو أغسطس المعروف بيوبا الثاني، زوج كليوباطرة سيليني بنت كليوباطرة الكبيرة.وكانت له عناية بالفنون والآداب، وفي عهده أسست معاهد الموسيقى.درس العلوم وأتقن اللغات اليونانية والبونيقية واللاتينية، وكانت له مكتبة عظيمة ونساخ عديدون، كما كانت له عناية خاصة بجمع التماثيل والصور، واستقدام النفائس من مختلف الأقطار، وتوجد منها الآن كمية ثرية بمتحف الجزائر وشرشال.[325]"

وعليه، يمكن أن نعد يوبا الثاني من أكبر المثقفين الذين أنجبتهم تامازغا إلى جانب أفولاي وأوغستان. وقد اختار المقاومة الثقافية لبناء الإنسان الأمازيغي المحلي لمواجهة الأعداء، واعتمد على المقاربة الثقافية حلا لتحقيق التنمية الحقيقية في مملكتيه: القيصرية والموريطانية. ولايمكن الحديث عن مثقف أمازيغي يشبه يوبا الثاني في كفاءته إلى يومنا هذا. فلن يستطيع أحد - في اعتقادي-أن يحقق ما حققه يوبا الثاني من إنجازات علمية ضخمة، إذ كانت مؤلفاته ومصنفاته وموسوعاته مجلدات ضخمة ، تتطلب سنوات وسنوات عدة لكتابتها ومراجعتها وتنقيحها واستنساخها.

المطلب الثاني: مواقف متحاملـــة

كان يوبا الثاني عرضة للحسد من قبل معاصريه" الذين نفسوا عليه نبوغه، بصفته بربريا barbarus ، وكأن نفاستهم عليه تسربت إلى نفس المؤرخ الفرنسي Stéphane Gsell ، إذ ما فتئ اكصيل Gsell يحاول أن يغض من قيمة أعمال يوبا الفكرية، فتبعه في ذلك تلامذته من الأوربيين الذين أرخوا للمغرب الكبير في عهد الاستعمار الفرنسي، كما تبعوه في تحاملهم على أبيه يوبا الأول من أجل حرصه على سيادة مملكته.

[325] - عباس الجراري: نفسه، ص:30.

والدافع عند ستيفان أگصيل ومن تبعوه هو أنهم كانوا يعتبرون الفرنسيين ورثة للرومان في أفريقية الشمالية، ويرون أن "الأهالي " Les indigènesلا يمكن أن يكونوا إلا "أهالي" في الماضي والحاضر على السواء، بما أشربته الكلمة في لغتهم إذاك من معاني الاحتقار."[326]
وعليه، فإن يوبا الثاني شخصية موسوعية بارزة اعتمدت على المقاربة الثقافية في مقاومتها للرومان، واستطاعت أن تقدم الكثير لشعبها العزيز عليها، على الرغم من الضغوطات الرومانية من لحظة إلى أخرى.

المطلب الثالث: مواقف الباحثين الأمازيغيين

على الرغم مما أسداه يوبا الثاني للحضارة الأمازيغية وثقافتها، فقد كان يعتبر عند بعض الباحثين الأمازيغيين بمثابة خائن للهوية الأمازيغية، كما هو شأن محمد بوكبوط الذي قال عنه بأنه كان " أداة طيعة لتنفيذ أوامر روما، وخدمة مصالحها، وذلك بالسهر على قمع الثورات التي قام بها الأمازيغ ضد التواجد الروماني. ففي سنة 6 م، حارب **قبائل جدالة** التي ثارت ضد الرومان، وضد الملك نفسه، بسبب اغتصاب أراضيها، وحرمانها من المراعي، وبعد ذلك بعشر سنوات ، اندلعت ثورة تاكفاريناس العارمة ضد الرومان، وكانت جيوش يوبا بالطبع إلى جانب الرومان في محاربة بني جلدته الأمازيغ.".[327]
ويتبين لنا - حسب موقف محمد بوكبوط- أن الملك يوبا الثاني لم يكن - في الحقيقة- سوى حليف طائع وخادم وفيّ للرومان، يخدم مصالح الرومان أكثر مما يخدم القضية الأمازيغية. ومن ثم، فهو خائن للمبادئ الكبرى التي يدافع عنها الإنسان الأمازيغي، مثل: الحرية، والاستقلال، والسيادة، والوحدة...
لكنه يناقض موقفه حينما يذكر مجموعة من الإيجابيات التي يتميز بها يوبا الثاني:" إلا أن ذلك لاينبغي أن يخفي بعض الجوانب الايجابية لدى الملك يوبا الثاني، فالتاريخ يحتفظ له بتوجيه اهتمامه كذلك نحو العلوم والفنون، فقد كتب عدة تآليف في التاريخ والجغرافيا والطبيعيات وغيرها، ويذكر

---

[326] - محمد شفيق: نفسه، ص:77.
[327] - محمد بوكبوط: نفسه،ص:44-45.

المؤرخون أنه كان يملك مكتبة زاخرة، كما تورد المصادر خبر إرساله بعثات علمية إلى جبال الأطلس وجزر الكناري، على الرغم من عدم استبعاد الخلفية السياسية لمثل تلك البعثات، والممثلة في سبر أغوار الأطلس الذي كان معقلا للمقاومة الأمازيغية ضد الزحف الروماني.كما يشير المؤرخون أيضا إلى تجميل يوبا للحواضر الموريطانية، خاصة عاصمتيه أيول (قيصرية) وأوليلي، ما يعكس ذوقه ومدى الرخاء الذي شهدته مملكته، فضلا عما يمكن استنتاجه من كون تشجيع الحياة الحضرية يدخل في إطار السياسة الرومانية الرامية إلى تدجين الأمازيغ."[328]

و على العكس من ذلك، يعده الباحث المغربي جميل حمداوي في كتابه (المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ) مقاوما ثقافيا متميزا، يحب شعبه، ويسهر على راحته وازدهاره، من خلال تطبيق المقاربة الثقافية لتحقيق التنمية الشاملة، حيث يقول: " إن مايمكن إثباته في حق **يوبا الثاني** أنه ملك أمازيغي مثقف، خدم شعبه على جميع المستويات والأصعدة، وحقق لموريطانيا القيصرية والطنجية عهدا من الازدهار والرخاء لمدة نصف قرن من الحكم تحت المراقبة الرومانية بشكل مباشر أو غير مباشر.

وإذا كانت المقاومة الأمازيغية في شمال أفريقيا ذات ملامح عسكرية واجتماعية ودينية ، فإن يوبا الثاني استطاع أن ينهج أسلوب المقاومة الثقافية التي أظهرت الأمازيغيين في مستوى لائق ومحترم، وجعلتهم شعبا متحضرا متمدنا يضاهي الشعوب المتجاورة، كالشعبين: اليوناني والروماني، في مجال الآداب والفنون والعلوم والمعارف الفكرية، بل قد تفوق عليهما في الشهامة والأنفة، وخوض الحروب حبا في الحرية والتضحية من أجل الاستقلال والتخلص من المستعمر الدخيل، وعدم الاعتداء على الآخرين.

وعلى الرغم من بعض السلبيات التي كانت تشوه صورة يوبا الثاني، وبالخصوص تحالفه الأعمى مع الرومان ضد إخوانه الأمازيغيين، إلا أنه الملك الأمازيغي المثقف الوحيد الذي كانت له شخصية متميزة وغريبة، تتسم بالموسوعية والانفتاح والتسامح، وكثرة الإنتاج والتراكم الثقافي .

وبالتالي، فقد خدم يوبا الثاني الثقافة الأمازيغية حتى أصبح نموذجا يحتذى به في البحث الجغرافي، ومجال الاستكشاف الطبيعي، والتنقيب الميداني،

[328] - محمد بوكبوط: نفسه، ص:45.

وصار علما أمازيغيا بارزا يضرب به المثل في المدن الرومانية واليونانية، خاصة في أثينا عاصمة الفلسفة والفنون والآداب والعلوم."[329]
وهكذا، يتبين لنا أن تلك الانتقادات كانت غير موضوعية؛ لأن مهادنة يوبا الثاني للرومان كانت خطة إستراتيجية لبناء المغرب الأمازيغي القديم، وتشييده على أسس متينة وصلبة، من خلال القضاء على الأمية والجهل والانغلاق أولا، والاعتماد على العلم والترجمة والتأليف وبناء المتاحف والمعاهد والمسارح والمدارس ثانيا، بغية تأسيس مملكة أمازيغية قوية إداريا وعسكريا وثقافيا، والرفع من مستوى الإنسان الأمازيغي حضاريا لمواجهة الأعداء بالسلاح الحضاري نفسه.

وخلاصة القول، إن يوبا الثاني شخصية موسوعية بارزة في تاريخ المغرب القديم بصفة خاصة، وتاريخ تامازغا بصفة عامة، حيث اعتمد على المقاربة الثقافية في مقاومتها للرومان، واستطاع أن يقدم الكثير الكثير لشعبه العزيز عليه، على الرغم من الضغوطات الرومانية، والمضايقات التي كانت تحد من اندفاعه السريع، وتفرض عليه سياسة الحكمة والتروي والتدبير الناجع.
كما اعتمد هذا الملك الأمازيغي المثقف على سياسة الانفتاح والتسامح والتبادل الثقافي، ومعرفة قدراته العسكرية جيدا، والاحتراس من المغامرات المتهورة التي قد تقود شعبه إلى الهلاك. لذلك، كان يهادن الرومان، ويعرف من أين تؤكل الكتف، ويستعمل جميع الوسائل الدبلوماسية لتفادي الحروب والثورات والانشقاقات. لذا، استمر في حكمه مدة طويلة تقدر بنصف قرن بسبب رجاحة رأيه، وصحة رؤيته، وموضوعية بصيرته.
وفي الأخير، نقول مثلما قال المؤرخ پلين الأكبر، لقد عرف يوبا الثاني، في تاريخ الحضارة الإنسانية، بكونه مثقفا وعالما موسوعيا أكثر مما عرف حاكما سياسيا.

---

[329] - جميل حمداوي: نفسه، ص:202.

صورة يوبا الثاني



الفصل الثاني عشر:

المسرح الأمازيغي : من الماضي إلى الحاضر

نعني بالمسرح الأمازيغي ذلك المسرح الذي أنتجه الإنسان البربري أو الأمازيغي منذ تواجده فوق أرض تامازغا (شمال أفريقيا) أو خارجها. ولايمكن الحديث عن المسرح الأمازيغي إلا إذا أنتجه أو ساهم فيه المبدع الأمازيغي ذاتا ولغة وهوية وموضوعا وقضية. ومن ثم، لا يمكن اعتبار المسرح إرثا أو إنتاجا أمازيغيا إلا إذا كانت الذات الأمازيغية حاضرة على مستوى الإبداع والإنتاج، أو كانت اللغة الأمازيغية حاضرة على مستوى الكتابة والتشكيل والتوصيل ، أو كانت الأمازيغية موضوعا وقضية محورية للفرجة المسرحية.

وعليه، فلقد مر المسرح الأمازيغي بمراحل أساسية هي:

❶ مرحلة التأثر بالمسرح اليوناني والروماني إبان المرحلة اللاتينية؛

❷ مرحلة الركود والتوقف النسبي إبان الفتوح الإسلامية؛

❸ مرحلة الأشكال الفرجوية مع فترة الحماية الأجنبية؛

❹ مرحلة التأسيس والتجريب والتأصيل.

سنحاول في هذه الدراسة رصد ماضي المسرح الأمازيغي وحاضره، في ضوء رؤية تاريخية تعتمد على التصنيف والتحقيب والتوثيق والاستنتاج المنطقي والتفسير الحجاجي.

المبحث الأول: مرحلة التأثر بالمسرح اليوناني واللاتيني

عرف الأمازيغيون - أخص ساكني شمال أفريقيا- في أثناء الفترة اللاتينية تمدنا واسعا وازدهارا حضاريا كبيرا في ظل القرطاجنيين والرومان، كما تأثروا بالثقافة الفينيقية والثقافة المصرية الفرعونية.

وإذا استقرينا البنية التحتية لمنطقة تامازغا، فقد بنيت مدن كثيرة تحوي مجموعة من المسارح كمسرح صبراتة و لبدة بليبيا[330]، ومسرح قرطاج وتيليبت (Thelepte) ودكة بتونس، ومسرح تيبازة وتيمكاد

[330] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص: 234-231.

بالجزائر، ومسرح وليلي وليكسوس بالمغرب. وقد تحدث شارل أندري جوليان في كتابه (**تاريخ أفريقيا الشمالية)** عن علو كعب مدنية شمال أفريقيا في عهد الإمبراطورية الرومانية. وفي الوقت نفسه، تحدث عن كثرة المسارح الفنية التي كانت من مظاهر حضارة الرومان في منطقة تامازغا[331]. وفي هذا الصدد، يقول شارل أندري جوليان:" **كان عدد المسارح في أفريقية يفوق عدد الملاعب** ، وكان مسرحا تيمكاد ودكة منحوتين في ربوة كما هو الشأن في اليونان، أما مسرح تيبازة فقد كان بالعكس مبنيا ومن الممكن أن يتبين المرء إلى اليوم في مسرح تيمكاد الثقب المستطيلة الشكل التي كانت تمكن من تحريك الستار. وكان مسرح دكة المشيد في عهد مرقس أوريليوس يحتوي على(21) مدرجا تنقسم إلى ثلاثة أقسام بواسطة درابزين. وتوجد في مؤخر الركح خمس درجات كبرى توضع فوقها مقاعد متنقلة. ويتركب الجانب الأمامي من الركح من مشاك عديدة لا تزال ماثلة إلى اليوم. وكان طول الركح 75.36 م وعرضه 50.5 م مفروشا بفسيفساء، تحملها ترابة معتمدة على أقبية. وكانت توجد ثلاثة أبواب في الجدار الخلفي من الركح كما يوجد بابان على جانبي الركح يمكن منهما التوصل مباشرة إلى مجموعة من الأعمدة قائمة أمام المسرح"[332].

ويعني هذا أن المسارح التي كانت تبنى في شمال أفريقية إما مسارح طبيعية منحوتة في الجبال، وإما مسارح مبنية من قبل السلطات الحاكمة. وكانت هذه المسارح واسعة الركح طولا وعرضا، مبنية بطريقة المدرجات من أجل استيعاب الكثير من النظارة على غرار المسرحين: الروماني واليوناني. ويحتوي هذا المسرح كذلك على أبواب منفتحة على الكواليس والجمهور، وستار واسع يفصل الجمهور عن الممثلين، كماهو حال المسرح الغربي اليوم. وكانت أرضية الركح منقوشة بالفسيفساء الملونة والزخارف المرصعة.

أما من حيث الطاقات البشرية الأمازيغية على المستوى العطاء الفني في مجال المسرح، فنقول إذا كان أغلب الملوك الأمازيغيين وزعمائهم، كماسينيسا، وصيفاقس، وتكفاريناس، ويوغرطة، قد اهتموا بمقاومة

---

[331] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص: 234-236.

[332] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص: 242.

الرومان على سبيل الخصوص، فإن الملك يوبا الثاني على العكس كان مواليا للقيصر الروماني . وفي الوقت نفسه، انشغل ببناء المدن وإرساء الحضارة الرومانية في نوميديا وموريطانيا الطنجية. وقد اهتم بشكل خاص بالفنون والعلوم والآداب، فأنشأ المتاحف في مدينة الجزائر وعاصمتيه شرشال ووليلي. بله عن تشييد المعابد الدينية والقصور الفخمة والمسارح . ويقول شارل أندري جوليان في حق يوبا الثاني:" ولم ينشط العاهل الجديد نشاط آبائه. ولما لم تترك له الحماية الرومانية إلا المظاهر فقد تسلى بالاعتناء بالمجموعات الفنية والأدب الرخيص".[333]

ومن مظاهر اهتمام يوبا الثاني بالفن الدرامي تأليفه لكتاب بعنوان(**تاريخ المسرح**)، لكنه ، ويا للأسف! ضاع مع مرور الزمان، ولم يصلنا شيء من أوراقه وآثاره. وليس لدينا من ذلك سوى الشهادة التقريضية التي أدلى بها المؤرخ الفرنسي **لاكروا** الذي قال في حق يوبا الثاني:" اشتهر يوبا على الخصوص بعلمه الواسع، فقد ألف كثيرا من الكتب التي ردد ذكرها القدماء، وبقي منها قطع مبثوثة هنا وهناك...

أولا: **تاريخ بلاد العرب** الذي وضعه لتعليم يوليوس قيصر.

ثانيا: **تاريخ آشور** ، وقيل أنه كتبه بعد أن شاهد هذه البلاد.

ثالثا: **آثار الرومان القديمة**.

رابعا: **تاريخ المسرح**، تحدث فيه عن الرقص وآلاته والموسيقى ومخترعي هذه الفنون.

خامسا: **تاريخ الرسم والرسامين**.

سادسا: **كتاب منابع النيل**، زيادة على **كتاب النحو والنبات**.".[334]

ويتبين لنا - مما سبق ذكره- أن الأمازيغ كانوا يقدمون عروضهم المسرحية مستعينين بالرقص والموسيقا والتشكيل البصري على غرار العروض المسرحية التي نشاهدها اليوم.

وإلى جانب يوبا الثاني، نجد المسرحي الأمازيغي الليبي **ترنيوس آفر**، وهو من كبار مبدعي المسرح في المرحلة اللاتينية ، له ست مسرحيات مشهورة تجمع بين التراجيدي والكوميدي، وهذه المسرحيات هي : **(فتاة**

---

[333] - شارل أندري جوليان: نفسه،ص:172.

[334] - نقلا عن لاكروا: **نوميديا وموريطانيا**، أورده إبراهيم حركات وآخرون، دار الكتب، بيروت، لبنان، ص:143.

أندروس)، و(**الحماة)**، و(**المعذب نفسه)**، و(**الخصي)**، و(**فورميو)**، و(**الأخوان)**.

وهناك أيضا شخصية أمازيغية أخرى مهووسة بفن المسرح، وهي شخصية الفنان و الروائي النوميدي أفولاي (**أبوليوس عند الغرب)** صاحب أول نص روائي عالمي يعرف باسم(**الحمار الذهبي)**. وقد مارس أفولاي الفن المسرحي تشخيصا وإبداعا وكتابة وإخراجا. فقد ورد أنه زار قرطاجنة للتعلم، فاندهش بها أيما اندهاش. كما اندهش منه القرطاجنيون لما له من معرفة موسوعية في جميع الفنون والمعارف والآداب ، فكان القرطاجنيون يهتفون به كلما صعد إلى المسرح ، وهو بدوره يهتف بهم قائلا:"**إني لا أرى في مدينتكم إلا رجالا كرعوا من مناهل الثقافة، وتبحروا في جميع العلوم: أخذوا العلم صغارا، وتحلوا به شبانا، ودرسوه شيوخا. إن قرطاج لهي المدرسة المقدسة في مقاطعتينا، وهي عروس الشعر في أفريقيا، وهي أخيرا ملهمة الطبقة التي تلبس الحلة**"[335].

ويمكن القول: إن أفولاي كان شاعرا متنوع الأغراض ، يبدع الشعر الملحمي والشعر الغنائي الوجداني . كما كان كاتبا مسرحيا غزير الإنتاج، إذ ألف مجموعة من التراجيديات والكوميديات مستعملا في ذلك الشعر على غرار المسرحيين اليونانيين والرومانيين. ويقول أفولاي في إحدى اعترافاته الصريحة:"**أعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة لروح الملحمة أو فيض الوجدان، لمرح الملهاة أو جلال المأساة. وكذلك لا أقصر لا في الهجاء ولا في الأحاجي ولا أعجز عن مختلف الروايات، والخطب يثني عليها البلغاء، والحوارات يتذوقها الفلاسفة، ثم ماذا بعد هذا كله؟ إني أنشئ في كل شيء سواء باليونانية أم باللاتينية بنفس الأمل ونفس الحماس ونفس الأسلوب**"[336]

ونفهم من هذا أن قرطاجة كانت عاصمة تامازغا في مجال المسرح والشعر والثقافة والسياسة إبان المرحلة اللاتينية. وكان البرابرة لهم باع كبير في مجال الثقافة والفنون المسرحية، وكان الرومان والمؤرخون

---

[335] - شارل أندري جوليان: نفسه،ص:249.

[336]- شارل أندري جوليان: نفسه، ص: 252.

الأجانب القدامى والمحدثون والمعاصرون، بالإضافة إلى المستمزغين، يعترفون لهم بذلك أيما اعتراف. وأقصد المثقفين الذين تعلموا اللغة اللاتينية باعتبارها لغة رسمية وأداة للتعليم والتعلم، و ووسيلة للترقية المادية والمعنوية، وتولي المناصب الإدارية والسياسية والمدنية والدينية.
ومن الطبيعي أن يكون جل المتعلمين ينحدرون من طبقة أرستقراطية مقربة من السلطات الرومانية. وفي هذا السياق، يقول شارل أندري جوليان:" **وكان الطلبة ينحدرون بصفة عامة من الطبقة الأرستقراطية القاطنة في البلديات. وكان بعض الأغنياء يشمل أحيانا برعايته أحد الشبان البربر النجباء، فيمكنه من تنمية ملكاته في قرطاج. ولم يكن هؤلاء الشبان جميعهم، مثلا يحتذى في المواظبة والفضيلة. فكانوا يرتادون المسارح والملاهي وينغمسون فيما سماه القديس أغسطنيوس متندما" مرجل الأهواء التي يندى لها الجبين". وكان عدد منهم مثل أغسطنيوس لا يقل ولوعهم بحبيباتهم عن ولوعهم بالدرس. وكان آخرون يؤلفون عصابات من المشاغبين، فيهجمون على قاعات الدرس، ويشاكسون الأستاذ، ويشيعون الطلبة الوديعين لكما وضربا.**
وكان التعليم الذي يقوم به النحاة يزود أفريقية بالإداريين والمحامين البارعين وبعض الحكام الأعلام، وأشهرهم سالفيوس جوليانوس أصيل حضر موت (سوسة) وصاحب القانون الأبدي، ويزودها أيضا برجال كانت ثقافتهم إلى السطحية أقرب منها إلى العمق"[337]
وعلى العموم، فقد تأثر المسرح الأمازيغي بالمسرح المصري الفرعوني ذي البعد الكهنوتي والطقوسي والجنائزي. كما تأثر بالمسرح اليوناني والروماني على مستوى المعمار الهندسي والجمالي من جهة، وعلى صعيد السينوغرافيا وكتابة المسرحيات التراجيدية والكوميدية من جهة أخرى، سواء أكان ذلك قد تم - فعلا- باللغة اليونانية أم باللغة اللاتينية أم باللغة الأمازيغية الأفريقية.
وقد يتشكك البعض في أمازيغية هذا المسرح جزئيا أو كليا ، إلا أننا نرد عليهم بأن ثمة معايير ثلاثة لإثبات هوية المسرح الأمازيغي هي:
❶ أن المسرح الأمازيغي هو الذي يكون من إنتاج الإنسان أو الذات الأمازيغية أو البربرية؛

[337]- شارل أندري جوليان: نفسه،ص: 549-250.

❷أن المسرح الأمازيغي هو الذي يتخذ القضايا الأمازيغية موضوعا له؛
❸ أن المسرح الأمازيغي هو الذي يستعمل اللغة الأمازيغية أداة للتعبير والتبليغ والتوصيل.[338]

المبحث الثاني: مرحلة الركود والكساد إبان الفتوح الإسلامية

شهد المسرح الأمازيغي، في أثناء الفتوحات الإسلامية لشمال أفريقيا مع عقبة بن نافع، وحسان بن النعمان، وموسى بن نصير، وطارق بن زياد، ركودا مسرحيا كبيرا بسبب انشغال الأمازيغيين بالحروب والجهاد، وخوض المعارك ضد المرتدين البرابرة و نصارى الأندلس. كما ساهمت الحروب في اندثار معالم المسارح والمتاحف والمعابد. بينما بقيت بعض المسارح خالدة إلى يومنا هذا ، كمسرح قرطاج بتونس، وتيمكاد وتيبازة بالجزائر.
هذا، وقد ذكر البكري في وصفه لقرطاجنة أن أعجب ما بها" دار الملعب وهم يسمونها الطياطر، قد بنيت أقواسا على سواري، وعليها مثلما ما أحاط بالدار، وقد صور في حيطانها جميع الحيوان وصور أصحاب جميع الصناعات، وجعلت فيه صور الرياح، فجعل صورة الصبا وجهه مستبشر وصورة الدبور وجهه عابس....
وفيها قصر يعرف بالمعلقة مفرط العظم والعلو، أقباء معقودة طبقات كثيرة مطل على البحر، في غربيه قصر يعرف بالطياتر وهو الذي فيه دار الملعب المذكورة، وهو كثير الأبواب والتراويح، وهو أيضا طبقات ، على كل باب صورة حيوان وصور الصناع".[339]
ومن الدواعي الأخرى التي كانت وراء ركود المسرح الأمازيغي، وعدم الحفاظ على المسرح اليوناني والروماني، الفهم السيء لموقف الإسلام من الشعر والتصوير والتمثيل والتشخيص ، إذ كان تأويل المسلمين لموقف الإسلام من الفن سببا كافيا لانطفاء شعلة المسرح في شمال أفريقيا.

---

[338] - انظر جميل حمداوي: **المسرح الأمازيغي**، منشورات الزمن، العدد 25، سلسلة شرفات، الطبعة الأولى، سنة 2009م.
[339] - البكري: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب(جزء من المسالك والممالك)**، نشر دسلان، الجزائر، 1857، ص:43-44.

هذا، ويذهب عباس الجراري إلى أن العامل الديني، ووجود الصراع التراجيدي الأفقي، من بين الأسباب التي حالت دون استمرار المسرح الأمازيغي بشكله القديم:" إذا كان المغاربة لم يحتفظوا بهذه التقاليد المسرحية في ظل الإسلام، فذلك راجع إلى أن هذا الدين جاء بثقافة جديدة، وأنهم لم يجدوا في نطاق ثقافته حاجة إلى التعبير بالمسرح على الشكل الإغريقي الروماني الذي عرفوه. إذ لايخفى أن هذا المسرح كان يتوسل به في أداء الطقوس والشعائر الدينية، فضلا عن أنه كان مرتبطا بالصراع، ولاسيما في مواجهة القضاء والقدر، والدين الإسلامي يحد من هذا الصراع، ويحث على الطمأنينة النفسية بالدعوة إلى الإيمان بالقدر خيره وشره.

ومع ذلك ، فقد بقيت لتلك التقاليد آثار غير قليلة تتجلى في الرقص الشعبي، سواء منه الرقص البربري والبدوي أم رقص الطوائف الطرقية. كما تتجلى هذه الآثار في الاستعداد الذي ظل عند المغاربة للعمل المسرحي، وقد جعلهم يقتبسون(**خيال الظل)** لاسيما في تونس والجزائر، لما كان لهما من علاقة مع الدولة العثمانية. ويبدو أنه كان مزدهرا في القطر الجزائري حتى منتصف القرن الماضي، حيث قررت سلطات الاحتلال منعه لما كان له من دور في توعية المواطنين، ولعله كان معروفا بمغربنا الأقصى في فترة من التاريخ، لاسيما أيام السعديين الذين كانت لهم علاقة وطيدة مع الأتراك"[340].

ونفهم من هذا النص أن المسرح الأمازيغي قد اندثر مع الفتوحات الإسلامية لشمال أفريقيا بسبب ارتباطه بالوثنية الإغريقية، وبنائه على الصراع التراجيدي الميتافيزيقي. وقد تم تعويض ذلك كله بفرجات احتفالية مشهدية شعبية ودينية وطقوسية وفنية، مثل: الرقص الشعبي الأمازيغي، ورقص الطوائف الطرقية، والاستفادة من خيال الظل. بل يمكن الحديث عن أشكال مسرحية أمازيغية أخرى، قد تبلورت بتامازغا، بشكل واضح، في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين .

---

[340] - عباس الجراري: نفسه، ص:264-265.

المبحث الثالث: مرحلة الأشكال الفرجوية إبان التواجد الاستعماري

عرف الأمازيغيون منذ مطلع القرن العشرين، وقبل ذلك بكثير، مجموعة من الأشكال الفرجوية التي تنطوي على إرهاصات مسرحية وبوادر درامية. وتتنوع هذه الأشكال الفرجوية ماقبل المسرحية إلى أشكال طقوسية دينية شعائرية أخروية وروحانية، وأشكال لعبية، وأشكال احتفالية شعبية دنيوية.
ويعرف حسن المنبعي هذه الأشكال الاحتفالية ماقبل المسرح بقوله:" إذا كان المسرح في شكله الإيطالي إنتاجا بعيدا عن الحضارة المغربية، فإننا نستطيع مع ذلك أن نلاحظ وجود أشكال فرجوية تنطوي على إرهاصات مسرحية إما لاهتمامها بالمقدس وإما لاندراجها في الممارسة اللعبية. وبالتالي، فإن هذه الأشكال تقوم على الأساس على فنون الحكي والرقص والموسيقى والغناء والإنشاد، كما أنها تعنى بالحركة والارتجال في القول...
إن هذه الأشكال كما هو معلوم تعرف عند دارسي المسرح في المغرب بالماقبل مسرح؛ وهو مسرح لايرتبط بمفهوم الدراما التقليدية أو ذلك لعدم قيامه بسلطة وهمية وبروزه كفرجة شاملة يشارك فيها الفرد عن طواعية، وذلك بجسمه وروحه دون أن ينسى أنه يشاهد واقعا ممثلا ينعكس عبر الصور والرموز"[341].
وعلي أي، فقد عرف الأمازيغيون مجموعة من الفرجات الشعبية ماقبل المسرحية القائمة على الفطرة، والعفوية، والارتجال، واللعب، والتذكر اللاشعوري، والمشاركة الجماعية ، واستخدام فنون الموسيقا والغناء والإنشاد والرقص والحكي والإيماءة والحركة الكوريغرافية. علاوة على الاحتفالية والشعبية، والاستعانة بالقناع التنكري.

---

[341] - حسن المنيعي: **المسرح المغربي من التأسيس إلى صناعة الفرجة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس،المغرب، الطبعة الأولى، سنة 1994م.

هذا، ومن الأشكال الفرجوية ماقبل المسرحية التي عرفها الأمازيغيون بطريقة فطرية وعفوية لاشعورية الأنواع التالية:

❶ **أشكال احتفالية مناسباتية:** أورار(العرس)، وسبحاينو خاليق(سبحان الخالق)، ورموروذ (المولد النبوي)، واحتفالات الأعياد الدينية كرمضان، وعاشوراء، والعيدين...

❷ **أشكال دينية وطقوسية:** العمارة الصوفية، وشارح ماجّاح، وثاسريث أونزار، وصلاة الاستسقاء ، وهلالارو، ومراسيم تاغنجا...

❸**أشكال لعبية:** فولعلاع، وقاشقاش، وأقلوز، وإيمدقان، وأقنوفار، وبيكو صورو تايني، وزيمزامزو، وأوليما، وثيخامين، ومورواي تاسريث، ورقام، وريپالاو، وتولاّ، وءاندار ثاشنيفت، وأمسجباذ، وثسريث أوكشوظ، وأقلوز، وبيسو...

❹**أشكال غنائية ورقصية:** رقصة أحواش، ورقصة أحيدوس، ورقصة إمذيازان، وشطيح ءيمازيغن، والموسيقا الأمازيغية...

❺ **أشكال فنية شعبية:** إزران لابويا عند الريفيين، وإزلان في الأطلس المتوسط، وآهال (مجالس الحب) عند الطوارق، وثيحوجا، ورمعاني، وثينفاس حانا ثامزا...

❻**أشكال فضائية شعبية**: ءارماس، وءازاوشت أو الزاوية، والسوق، ورمراح...

فهذه الإرهاصات الدرامية التي ذكرناها هي التي شكلت ما يسمى بالظواهر المسرحية الفطرية، أو ما يسمى أيضا بفترة الأشكال اللعبية التي اتخذت أبعادا طقوسية واحتفالية ، وكان يشارك ، في هذه الأشكال اللعبية، الأطفال الصغار والشباب والكبار على حد سواء.

ولم يكن الإخراج المسرحي في هذه المرحلة إلا عملا جماعيا فطريا، يقدم بطريقة عفوية لعبية عشوائية . وكان الممثلون جميعهم مخرجين يقومون بعملهم بكل بساطة وسذاجة فنية. ولايمكن الحديث هنا عن الإخراج المسرحي بالمفهوم العلمي للإخراج إلا من باب التجاوز ليس إلا.

المبحث الرابع: مرحلة النشأة والتأسيس

لقد انطلقت عروض المسرح الأمازيغي منذ السبعينيات من القرن العشرين، قبل أن تظهر النصوص المسرحية المكتوبة إلى حيز الوجود. ومن هنا، فإن أول نص أمازيغي مكتوب كان في سنة 1984م بعنوان(**أوسان أوصميدنين/ الأيام الباردة)** لمومن علي الصافي [342] الذي يتبعه بشير القمري بمسرحيته الأمازيغية المعربة (**إكليدن/ الملوك**)[343] سنة 2002م، ويعقبهما جميل حمداوي بأول نص مسرحي أمازيغي مكتوب باللغة العربية عنوانه (**نحن أحفاد ماسينيسا)** سنة 2009م [344]. بينما هناك كثير من النصوص المسرحية لم تطبع بعد مثل: نصوص محمد العوفي، وعبد الخالق كرابيلا، وعمر بومزوغ، وبنعيسى المستيري...

ومن العروض المسرحية الأولى التي قدمت في السبعينيات، في منطقة الريف، مسرحية(**ءييرحاگد ءاميثاغ/ وصل ابننا)** التي عرضت بالناظور سنة 1978م، وقد شارك في إخراجها كل من فاروق أزنابط، ورشيد العبدي، وعبد الكريم بوتكيوت، وفخر الدين العمراني؛ ومسرحية **(إيهواد أوكامباوي ءاذي يكسي پاسابورتي/ ذهب البدوي إلى المدينة للحصول على جواز السفر)** التي تم تشخيصها بالناظور سنة 1979م.

وبعد ذلك، تعاقبت مجموعة من العروض المسرحية الكلاسيكية التي كانت تؤرخ لمرحلة النشأة، كعروض فؤاد أزروال، مثل: (**أذوزوغ ذي ثيوث**) (أبحث في الضباب)، بالاشتراك مع المخرج بوتكيوت عبد الكريم، و(**أغنيج إذورار**) (أغنية الجبال)، و(**أغيور إينو إيعيزان**) (حماري العزيز) نقلا عن توفيق الحكيم، و(**أمزروض**) (الفقير)، و(**بوسحاسح**) (الكذاب) باشتراك مع المخرج بوتكيوت عبد الكريم، و(**أسي أسنوس**) (السيد الجحش)، و(**علال ذ گليمان**) (علال في ألمانيا)، و(**لمفتش**

---

[342] - مومن علي الصافي: **ءوسان ءيصميدنان**، مطبعة الأندلس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، سنة 1984م.

[343] - البشير القمري: **إيكليدن**، دار البوكيلي، القنيطرة، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2002م.

[344] - جميل حمداوي: **نصوص مسرحية للصغار والكبار**، مطبعة الجسور بوجدة، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2009م.

إيرحاگد (لقد وصل المفتش)، نقلا عن الكاتب الروسي گوگول، و(**ياما عيشة**)(أمي عائشة)؛ وعروض فاروق أزنابط، كمسرحية(**أرياز ن وارغ**) (رجل من ذهب)، و(**ثازيري ثاميري**) (القمر العاشق)، و(**تاسليت ن ءوزرو**) (عروس الحجر)، و(**ءيجيس ءوجديد**) (بنت السلطان)، و(**بوثغواوين**)(صاحب القمح المحمص)...؛ وعروض فخر الدين العمراني(**أرياز ن وارغ**) (رجل من ذهب)، و(**نشين سا**) (نحن من هنا)، ومسرحية(**رماس**) (الفناء أو المراح)؛ وعروض ماجدة بناني، كمسرحية (**تمرد امرأة**)؛ وعروض عمرو خلوقي كمسرحية (**ءانان ءيني زمان**) (قال الأجداد). و هذه العروض المسرحية كلها التي أتينا على سردها لا تخص سوى المسرح الأمازيغي بمنطقة الريف.

أما فيما يتعلق بالمسرح في منطقة سوس والأطلس المتوسط، فيمكن الحديث عن عروض كل من: خالد بويشو، ومحمد البرومي، وعبد الله أوزاد، ومحمد اسمينة، والوردي التهامي بوشعيب، ومحمد داسر،....

وعلى أي، فقد تناول هذا المسرح مجموعة من القضايا المؤرقة، مثل: الهوية، واللغة، والكتابة، وكينونة الإنسان الأمازيغي ، مع التركيز على قضايا أخرى لها علاقة بالإنسان الأمازيغي ، مثل: الهجرة ،والفقر، والأمية، والتهميش، والإقصاء، واللامبالاة، والتشبث بالأرض. علاوة على المواضيع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية. ثم التأرجح على مستوى الرؤية بين الألم والأمل، والضياع والوجود، والحزن والفرح...

ومن حيث التشكيل الفني، فقد استخدمت هذه العروض المسرحية القالب الكلاسيكي من خلال احترام الوحدات الثلاث: وحدة الحدث، ووحدة الزمان، ووحدة المكان. كما استثمر هذا المسرح الأرسطي مميزات الدراما الواقعية والطبيعية والرومانسية والتاريخية. أما التأثيث السينوغرافي، فقد كان تأثيثا تقليديا مغلفا بالديكور الواقعي الساذج، أو الديكور الفني الإيهامي، سواء أكان وظيفيا أم غير وظيفي.

المبحث الخامس: مرحلـــة التجريب والتأصيل

انطلق المسرح الأمازيغي في التجريب والتأصيل منذ فترة التسعينيات من القرن العشرين ، فواصل ذلك التحديث مع امتداد سنوات الألفية الثالثة، متأثرا في ذلك بالمسرح الغربي المعاصر والمسرح العربي التجريبي. دون أن ننسى تأثره المباشر والواضح بدعوات وتنظيرات وبيانات مسرح الهواة بالمغرب الذي انتعش فعليا في سنوات السبعين من القرن العشرين انتعاشا كبيرا.

ومن أهم المخرجين الذين حاولوا التجريب والتأصيل داخل المسرح الأمازيغي بمنطقة الريف، نذكر - على سبيل التمثيل لا الحصر-: شعيب المسعودي في مسرحيته (**أربع أوجنا يوظاد**/ أوشكت السماء أن تتحطم)، ومسرحية(**تمورغي/** الجراد) ، وسعيد المرسي في مسرحيته (**ثسيث**/ المرآة)، ومسرحية (**تاسيرت**/ الطاحونة)، ومسرحية (**ثانوغ ثيارجا ذي ثاندينت**/ غرق الحلم في المدينة) ، ومحمد بنسعيد في مسرحية (**ثوارث ءيمظران**/ باب القبور)، ومسرحية (**ثايوجيرت**/ اليتيمة) ، ومحمد بنعيسى في مسرحية (**ثيرجا سثنيفست**/ أحلام من رماد)، ولويزا بوسطاش في مسرحيتها التأصيلية (**أقلوز)**، والطيب معاش في مسرحيته (**ثيارجا برا ثيري**/ أحلام بلا ظلال)، وعبد الواحد الزوكي في مسرحية (**تشومعات**/ الشمعة)، وفاروق أزنابط في مسرحيته (ءيجيس ن ءوجديد/بنت السلطان)، وحفيظ بدري في مسرحيته(**مارمي غانبذا بصاح/ متى سنبدأ جادين)...**

ونذكر من مخرجي منطقة سوس مصطفى حمير في مسرحيته (**في انتظار كودو**)، ورشيد أبيدار في مسرحية(**نتات/ هي)...**

ونستحضر من منطقة الأطلس المتوسط مجموعة من المخرجين ، مثل: أبو عماد ومصطفى برنوصي عن مسرحية(**ءيدرياضنين)**، وكريم الفحل الشرقاوي عن مسرحية (**أركاز ءيزانزان تافوكت/الرجل الذي باع الشمس)**...

وعلى العموم، فقد تناول هذا المسرح قضايا الإنسان من وجهة فلسفية وميتافيزيقية، مع تمثل مذهب مسرح اللامعقول ومسرح العبث، وانتقاء مواضيع المسرح الوجودي ، مثل: القلق، واليأس، والملل، والسأم، والوجود، والحرية ، والعزف على تيمة انعدام التواصل ، والتوسل

بالتعبير التراجيدي لإثبات تمزق الذات البشرية وجوديا، وانشطارها عضويا ونفسانيا وكينونيا.
ومن الناحية الفنية ، فقد جرب المخرجون الأمازيغيون المعاصرون بعض ملامح المسرح التجريبي ، مثل: تكسير منطق الأحداث، والانزياح عن تسلسلها الكرونولوجي، وخلخلة مواضعات التمسرح الكلاسيكي، واستعمال التجريد الرمزي، وتوظيف الاحتفالية الشاملة، وتشغيل الكروتيسك المفارق، وتكسير الجدار الرابع ، ونوظيف سينوغرافيا صامتة أو فوضوية أو رمزية أو عابثة. وهناك من المسرحيات الأمازيغية الناجحة كوريغرافيا لأنها استفادت من الميم وبلاغة الجسد والرقص الشاعري، كما يبدو ذلك جليا في مسرحية (**نتات/ هي)** لرشيد أبيدار .

وأخيرا، يتبين لنا - من خلال هذا العرض السالف ذكره- أن المسرح الأمازيغي قد قطع مجموعة من المراحل التاريخية، فقد تأثر في البداية بالمسرح الفرعوني، والمسرح اليوناني، والمسرح الروماني. لكنه انكمش - مؤقتا- إبان الفتوحات الإسلامية بسبب موقف الإسلام من الشعر والتصوير والتمثيل. إلا أنه قد تبلور في شكل فرجات فطرية، سميت بالأشكال الفرجوية ماقبل المسرحية، لينتهي هذا المسرح بتدشين فترة التأسيس و النشأة، وتعقبها - بعد ذلك- فترة التجريب والتأصيل.
وبناء على ماسبق، يتبين لنا أن المسرح المغربي له نشأة أمازيغية قديمة، تعود إلى المرحلة اللاتينية. لذا، فنشأة هذا المسرح ليست حديثة، كما قال الكثير من النقاد المغاربة (حسن المنيعي، و مصطفى بغداد، و مصطفى المهماه، و محمد الكغاط...)، عندما ربطوا وجوده ببناء معهد سيريفانتيس بطنجة سنة 1913م، أو بسنة 1923م، حين تقديم مسرحية طلابية بإحدى ثانويات مدينة فاس، أو اقترانه بمجموعة من المسرحيات العمالية أو المولييرية أو العبثية التي قدمها الطيب الصديقي بالمسرح البلدي بالدار البيضاء، بعد الاستقلال مباشرة.

الفصل الثالث عشر:

نظرية الإشباع المسرحي عند الأمازيغي أوغستان من خلال كتابه(اعترافاتي) [345]

- نص مترجم-

[345]- Saint Augustin, **Confessions,** III, 3, trad. d'Arnauld d'Andilly (1649), établie par O. Barenne, éd. Ph. Sellier, Gallimard, " Folio ", 1993, p. 89-92.

توطئـــة عامـــــة:

يعد القديس أوغستان المنظر العالمي الثاني للمسرح، بعد الفيلسوف اليوناني أرسطو في كتابه(**فن الشعر**)، بل ينطلق أوغستان أثناء حديثه عن وظيفة المسرح في كتابه(**اعترافاتي**) من نظرية أرسطو نفسها، ألا وهي نظرية التطهير. وفي هذا الصدد، يقول أرسطو:" والتراجيديا هي محاكاة لفعل جاد، تام في ذاته، له طول معين، في لغة ممتعة لأنها مشفوعة بكل نوع من أنواع التزيين الفني. كل نوع مهما يكون أن يرد على انفراد في أجزاء المسرحية؛ وتتم هذه المحاكاة في شكل درامي، لا في شكل سردي، **وبأحداث تثير الشفقة والخوف**، وبذلك يحدث **التطهير** من مثل **هذين الانفعالين**.وأعني هنا باللغة الممتعة اللغة التي بها وزن، وإيقاع، وغناء. وأقصد بقولي يمكن أن يرد على انفراد في أجزاء المسرحية: أن بعض الأجزاء يعالج باستخدام الشعر وحده: وبعضها الآخر باستخدام الغناء."[346]

ويعني هذا أن وظيفة المسرح عند أرسطو، ولاسيما في التراجيديا، هي التطهير، بإثارة الخوف والشفقة في نفوس الجمهور.بمعنى أن تكون المسرحية ذات وظيفة سيكولوجية وأخلاقية ، تعنى بتحرير النفس الإنسانية من الغرائز العدوانية، وتحريرها من كل ظلم وشر وحقد.

هذا، ويقدم المنظر الأمازيغي أوغستان للمسرح الوظيفة الأرسطية نفسها، حينما كان شابا مزهوا بنفسه وشبابه، مغرما بالعروض المسرحية التي كانت تعرض على خشبات مسرح قرطاج بتونس، إبان المرحلة الرومانية، قبل التوبة والغفران والاعتراف بذنوبه.

وعليه، يشير أوغستان إلى أن العروض المسرحية التي تقدم فوق ركح قرطاج عبارة عن تراجيديات ممتعة ومثيرة، تختلط فيها المأساة مع الرومانسية، وتتقاطع فيها الآلام مع الحب؛ مما كان يثير فضول الجمهور بحال من الأحوال. ويعني هذا أن المسرح - حسب أوغستان- كان يعتمد على المعايشة النفسية الصادقة - كما سيقول بذلك المنظر المسرحي الروسي ستانسلافسكي - فيما بعد-. وينضاف إلى ذلك أن الناس يقبلون على المسرح لمشاهدة المآسي والتراجيديات الحزينة ؛ لأنهم يجدون في

---

[346] - أرسطو: **فن الشعر**، ترجمة وتعليق: إبراهيم حمادة، مكتبة المسرح رقم3، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ص:111.

ذلك متعة وسعادة وراحة نفسية. ويرى أغستان أن المسرحيات المعروضة على خشبة مسرح قرطاج تستنبط أحداثها من الواقع، أو تكون ممزوجة بالخيال. ومن جهة أخرى، تصاغ هذه العروض بأسلوب فني جميل، وتتسم أيضا بروعة الإخراج والتشخيص والسينوغرافيا.
علاوة على ذلك، فالمسرح - حسب أوغستان- له وظيفة أخلاقية ونفسية وعضوية، تقوم على التطهير بإثارة الخوف والشفقة، كما سبق لأرسطو أن أثبت ذلك في كتابه(فن الشعر). ويضيف أوغستان أن الناس لايحبون أن يعيشوا الألم في واقعهم الحياتي، لكن يحبون معايشته دراميا وفنيا وجماليا. ومن ثم، يرتاح المشاهدون كثيرا للتراجيديات. وكلما ضعفت صنعتها الإخراجية، ثار الجمهور غاضبا، وخرج من المسرح ثائرا. وبالتالي، لاينتبه الراصدون إلى العروض المسرحية تأثرا واندماجا وتركيزا، إلا حينما تكون العروض تراجيديات مأساوية ، تثير الشفقة والخوف والرحمة. ويزداد التطهير مأساة وتعقيدا ودرامية ، حينما تقدم مشاهد الحب والغرام، وخاصة مشاهد الفراق والعذاب التي تثير المتفرجين بشكل لافت للانتباه، فيسعدهم ذلك كثيرا؛ بسبب ما يبثه العرض من أحزان وآلام سيكولوجية وعضوية.
بيد أن مايهم أوغستان في المسرح هو الإشباع أو الارتواء، فبعد اندماج المتفرج في المسرحية، بمعايشة مآسيها، والانسياق وراء أجوائها الغرامية والرومانسية، والتلذذ بأحزانها وآلامها المقرفة، يتحقق لدى المتفرج نوع من الإشباع الغريزي، أو نوع من الراحة النفسية. سرعان ما تتحول إلى نزيف تراجيدي مؤلم. ومن ثم، فالمسرح الحقيقي هو الذي يحقق للمتفرج نوعا من الإشباع والارتواء النفسي والأخلاقي والبيولوجي، مثل: تلك النشوة الجنسية التي يستمتع بها المحبان العاشقان. وبتعبير آخر، لاينبغي أن يقدم المسرح للجمهور عرضا دراميا ناقصا في مكوناته الفنية والجمالية والتأثيرية، فلابد أن يتحقق الإشباع لدى الراصد المتفرج. وفي هذا السياق، يقول أوغستان :" ذلك هو الحب الذي كنت أكنه لهذه الآلام، والذي لم أكن أتوقع أن يمر (الحب) على قلبي وروحي؛ لأنني لم أرد قط رؤية الأحزان في الأشياء التي أفضل رؤيتها فوق خشبة المسرح ، ولكنني كنت مرتاحا جدا؛ لأن موضوع المسرحية التي كانت تعرض أمامي تشعرني بالإشباع، كما لو أنني أصبت بحكة جلدية، فحككت جلدي،

وحققت ذلك الإشباع، لكن سرعان ما يتحول الحك المتكرر إلى جرح ينزف، فيختلط الدم بالوحل. هذه هي حياتي، ولكن هل نستطيع أن نسميها حياة؟ يا إلهي!"[347]
وأخيرا، إذا كان أرسطو صاحب (نظرية التطهير) القائمة على الخوف والشفقة، فإن المنظر المسرحي الأمازيغي أوغستان رائد (نظرية الإشباع المسرحي) القائمة على الارتواء الفني والجمالي.

المبحث الأول: النــص المترجــم

في الوقت نفسه، كان عندي حب عنيف تجاه مشاهد المسرح التي كانت تطفح بصور مأساتي ، وصور الحب الحارق الذي يؤجج مشاعري.لكن ما هو الدافع الذي يجعل الناس يتسابقون إلى المسرح بهذا النشاط والحماس لمشاهدة أشياء حزينة وتراجيدية، على الرغم من كونهم لايحبون أن يشاهدوا ما يؤلمهم؟ فقط لأن الجمهور يريد أن يحس بهذا الألم. ومن ثم، فهذا الإحساس هو سبب سعادتهم. إذاً، من أين يأتي كل هذا؟ أليس هذا مرضا غريبا يصيب الروح؟ كلما تأثرنا بهذه المغامرات الأدبية، كلما كنا أكثر تأثرا بالحب العميق بداخلنا. إن الحزن هو ذلك الأذى الذي نسببه لأنفسنا، والشفقة عبارة عن أحاسيس نتقاسمها مع الآخرين. لكن، مانوع هذه الشفقة التي سنتقاسمها في أشياء كاذبة وزائلة تقدم على خشبة المسرح؟
لانشجع المتفرج في المسرح، ولا نطلب منه إنقاذ الضعفاء والمقموعين، لكن ندعوه فقط إلى معايشة مآسيهم وآلامهم الكبيرة. وتقدم هذه المواضيع المسرحية الحقيقية أو المفترضة بطريقة فنية درامية، وبنوع من الصناعة المتقنة. وقد يخرج المشاهدون ثائرين غاضبين على الممثلين.لكن كلما كان المشهد مؤثرا وتراجيديا، تجد المتفرج أكثر تركيزا وانتباها ، يتأرجح إحساسه بين السعادة والدموع، لكن بما أن كل الناس يفضلون المتعة، كيف سيحبون دموعهم وآلامهم؟ إذا كان الناس لايحبون أن يعيشوا الألم في

[347]- Saint Augustin, **Confessions,** III, 3, trad. d'Arnauld d'Andilly (1649), établie par O. Barenne, éd. Ph. Sellier, Gallimard, " Folio ", 1993, p. 89-92.

الواقع، فإنهم يفضلون أن يعيشوه دراميا، من خلال مشاهد الشفقة والرحمة والخوف. وقد تصبح دموع المتأثرين منبعا للحب الحقيقي الذي نحس به تجاه بعضنا البعض.لكن أين تصب مياه هذا المنبع؟ إنها تصب في تيار عنيف وقوي وجارف، تخرج منه مشاعر الحب المثالي، والمتعة المادية التي تتجسد في ممارسة غريزية ، يبتعد فيها الحب عن النقاء والصفاء الإلهيين. هل يجب الابتعاد - فعلا -عن الإحساس بالشفقة والرأفة؟ أبدا، لأن هناك أوقاتا نحب فيها الآلام. فاحترسي يا نفسي من الرأفة على من اقترف الفواحش؛ لأن هناك إحساسا بالشفقة أنقى وأطهر.
وبالرغم من ذلك، سآخذ قسطي من السعادة التي يحس بها العشاق على خشبة المسرح، عندما ينجحون في تجسيد المشاهد الغرامية غير العفيفة، على الرغم من أنه ليس هناك من شيء حقيقي في هذه العروض. حين كان هؤلاء الممثلون العشاق يواجهون ألم الفراق، كنت أتعذب كثيرا، وأحس بالشفقة تجاههم. و اليوم، لم أعد أحس بالشفقة تجاه هؤلاء الذين يستمتعون بممارسة الحب الفاحش، ولا تجاه الذين لايمارسونه. فهذا هو الذي نسميه شفقة. ليس الألم الذي نحس به من خلال آلام الآخرين وعذابهم هو الذي يشعرنا بالسعادة.إن الشفقة أو الرحمة إحساس يشعر به الشخص، عندما يرى عذابات الآخرين .هذه هي الشفقة الحقيقية، بل أكثر من ذلك، إن الرحيم أو الرؤوف هو الذي لايحب أصلا رؤية مواقف تدعو إلى الشفقة . ويتمنى عدم وجود البؤساء لكي لايضطر إلى الشعور بهذا الإحساس، ويتمنى ألا يصاب أحد من أقربائه بالأذى.
لكن هناك بعض الآلام التي نتقبلها، بيد أننا لانحبها. إن الأشياء، التي تبينها لنا ياسيدي ويا إلهي، أنت الذي تحب الأرواح بدون قيد أو شرط، عكس بني البشر، تعطينا الإحساس بالشفقة، دون أن نشعر بأي ألم، لكن من هو هذا الذي يستطيع منا أن يكون بهذه الدرجة من المثالية؟
أنا عكس كل هذا، فقد كنت بائسا لدرجة أنني كنت أحب الشعور بالآلام، ليس هناك ما هو أفضل من مشاهد ومسرحيات درامية رائعة، والتي كانت تؤثر في نفسيتي لدرجة البكاء. وماهو الغريب في حزن ماعزة مسكينة ابتعدت عن القطيع وضاعت؟ أشعر وكأني مصاب بمرض معد.
ذلك هو الحب الذي كنت أكنه لهذه الآلام، والذي لم أكن أتوقع أن يمر (الحب) على قلبي وروحي؛ لأنني لم أرد قط رؤية الأحزان في الأشياء

التي أفضل رؤيتها فوق خشبة المسرح ، لكنني كنت مرتاحا جدا؛ لأن موضوع المسرحية الذي كان يعرض أمامي يشعرني بالإشباع، كما لو أنني أصبت بحكة جلدية، فحككت جلدي، وحققت ذلك الإشباع، لكن سرعان ما يتحول الحك المتكرر إلى جرح ينزف، فيختلط الدم بالوحل. هذه هي حياتي، ولكن هل نستطيع أن نسميها حياة؟ يا إلهي!

المبحث الثاني: النص الأصلي

Saint Augustin***, Confessions***, III, 3, trad. d'Arnauld d'Andilly (1649), établie par O. Barenne, éd. Ph. Sellier, Gallimard, " Folio ", 1993, p. 89-92.

J'avais aussi en même temps une passion violente pour les spectacles du théâtre, qui étaient pleins des images de mes misères, et des flammes amoureuses qui entretenaient le feu qui me dévorait. Mais quel est ce motif qui fait que les hommes y courent avec tant d'ardeur, et qu'ils veulent ressentir de la tristesse en regardant des choses funestes et tragiques qu'ils ne voudraient pas néanmoins souffrir ? Car les spectateurs veulent en ressentir de la douleur ; et cette douleur est leur joie. D'où vient cela, sinon d'une étrange maladie d'esprit ? puisqu'on est d'autant plus touché de ces aventures poétiques que l'on est moins guéri de ses passions, quoique d'ailleurs on appelle misère le mal que l'on souffre en sa personne, et miséricorde la compassion qu'on a des malheurs des autres. Mais quelle compassion peut-on avoir en des choses feintes et représentées sur un théâtre, puisque l'on n'y excite pas

l'auditeur à secourir les faibles et les opprimés, mais que l'on le convie seulement à s'affliger de leur infortune ; de sorte qu'il est d'autant plus satisfait des acteurs, qu'ils l'ont plus touché de regret et d'affliction ; et que si ces sujets tragiques et ces malheurs véritables ou supposés, sont représentés avec si peu de grâce et d'industrie qu'il ne s'en afflige pas, il sort tout dégoûté et tout irrité contre les Comédiens. Que si au contraire il est touché de douleur il demeure attentif et pleure, étant en même temps dans la joie et dans les larmes. Mais puisque tous les hommes naturellement désirent de se réjouir, comment peuvent-ils aimer ces larmes et ces douleurs ? N'est-ce point qu'encore que l'homme ne prenne pas plaisir à être dans la misère, il prend plaisir néanmoins à être touché de miséricorde : et qu'à cause qu'il ne peut être touché de ce mouvement sans en ressentir de la douleur, il arrive, par une suite nécessaire, qu'il chérit et qu'il aime ces douleurs ? Ces larmes procèdent donc de la source de l'amour naturel que nous nous portons les uns aux autres. Mais où vont les eaux de cette source, et où coulent-elles ? Elles vont fondre dans un torrent de poix bouillante, d'où sortent les violentes ardeurs de ces noires et de ces sales voluptés : et c'est en ces actions vicieuses que cet amour se convertit et se change par son propre mouvement, lorsqu'il s'écarte et s'éloigne de la pureté céleste du vrai amour. Devons-nous donc rejeter les mouvements de miséricorde et de compassion ? Nullement : et il faut demeurer d'accord qu'il y a des rencontres où l'on peut aimer les douleurs. Mais, […] garde-toi, mon âme, de l'impureté d'une compassion

folle. Car il y en a une sage et raisonnable, dont je ne laisse pas d'être touché maintenant. Mais alors je prenais part à la joie de ces amants de théâtre, lorsque par leurs artifices ils faisaient réussir leurs impudiques désirs, quoiqu'il n'y eût rien que de feint dans ces représentations et ces spectacles. Et lorsque ces amants étaient contraints de se séparer, je m'affligeais avec eux comme si j'eusse été touché de compassion ; et toutefois je ne trouvais pas moins de plaisir dans l'un que dans l'autre. Mais aujourd'hui j'ai plus de compassion de celui qui se réjouit dans ses excès et dans ses vices, que de celui qui s'afflige dans la perte qu'il a faite d'une volupté pernicieuse, et d'une félicité misérable. Voilà ce qu'on doit appeler une vraie miséricorde. Mais en celle-là ce n'est pas la douleur que nous ressentons des maux d'autrui qui nous donne du plaisir. Car, encore que celui qui ressent de la douleur en voyant la misère de son prochain lui rende un devoir de charité qui est louable, néanmoins celui qui est véritablement miséricordieux, aimerait mieux n'avoir point de sujet de ressentir cette douleur : et il est aussi peu possible qu'il puisse désirer qu'il y ait des misérables, afin d'avoir sujet d'exercer sa miséricorde, comme il est peu possible que la bonté même puisse être malicieuse, et que la bienveillance nous porte à vouloir du mal à notre prochain. [Aussi il y a bien quelque douleur que l'on peut permettre, mais il n'y en a point que l'on doive aimer. Ce que vous nous faites bien voir, ô mon Seigneur et mon Dieu, puisque vous qui aimez les âmes incomparablement davantage et plus purement que nous ne les aimons, exercez sur

elles des miséricordes d'autant plus grandes et plus parfaites que vous ne pouvez être touché d'aucune douleur. Mais qui est celui qui est capable d'une si haute perfection ? Et moi au contraire] […] j'étais alors si misérable que j'aimais à être touché de quelque douleur et en cherchais les sujets, n'y ayant aucunes actions des Comédiens qui me plussent tant, et qui me charmassent davantage que lorsqu'ils me tiraient des larmes des yeux, par la représentation de quelques malheurs étrangers et fabuleux qu'ils représentaient sur le théâtre. Et faut-il s'en étonner, puisque étant alors une brebis malheureuse qui m'étais égarée en quittant votre troupeau, parce que je ne pouvais souffrir votre conduite, je me trouvais comme tout couvert de gale ? Voilà d'où procédait cet amour que j'avais pour les douleurs, lequel toutefois n'était pas tel que j'eusse désiré qu'elles eussent passé plus avant dans mon cœur et dans mon âme. Car je n'eusse pas aimé à souffrir les choses que j'aimais à regarder : mais j'étais bien aise que le récit et la représentation qui s'en faisait devant moi m'égratignât un peu la peau, pour le dire ainsi, quoique ensuite, comme il arrive à ceux qui se grattent avec les ongles, cette satisfaction passagère me causât une enflure pleine d'inflammation, d'où sortait du sang corrompu et de la boue. Telle était alors ma vie : mais peut-on l'appeler une vie ? mon Dieu.

الفصل الرابع عشر:

(الحمار الذهبي) لأبوليوس
أول عمل روائي في الفكر الإنساني والأمازيغي

تعد رواية(**الحمار الذهبي**) للوكيوس أبوليوس أو أفولاي أول نص روائي في تاريخ الإنسانية . وقد وصلتنا هذه الرواية كاملة. بيد أن هناك روايات قبلها، لكنها وصلت ناقصة. ويعتبر هذا العمل الأدبي الإبداعي أيضا أول نص روائي فانطاستيكي في الأدب العالمي. ولايمكن أن نتفق مع الذين ذهبوا إلى أن رواية (**دونكيشوت**)(1604م) لسرفانتيس - الكاتب الإسباني- أول نص روائي عالمي، أو مع الذين أثبتوا أن بداية الرواية قد انطلقت مع الرواية التاريخية الإنجليزية في القرن الثامن عشر(والتر سكوت ، ودانيال ديفو، وفيلدينغ...) . أضف إلى ذلك تعد رواية (**الحمار الذهبي**) المنطلق الحقيقي لظهور الرواية الأمازيغية. في حين، تعد أعمال **تيرينيس آفر** البداية الفعلية للمسرح الأمازيغي في شمال أفريقيا[348]. إذا، من هو أبوليوس؟ وماهويته؟ وما خصائص روايته(**الحمار الذهبي**) دلالة وصياغة ومقصدية وكتابة؟ وأين يتجلى تأثيرها على الأدب المغربي والعربي بصفة خاصة ، والأدب العالمي بصفة عامة؟ هذه هي الأسئلة التي سوف نرصدها في هذه المباحث التالية:

المبحث الأول: هــوية أبوليوس

ولد أبوليوس، أو أبولاي، أو أفولاي (Apuleius, Apulée) الأمازيغي في أوائل القرن الثاني حوالي 125 م، وتوفي حوالي170م إبان الامتداد المسيحي. و كان يعترف بثقافته الإفريقية، و هويته الأمازيغية، إذ كان يقول: " **لم يتملكني في يوم من الأيام أي نوع من الشعور بالخجل من هويتي و من وطني**"[349]. و كذلك، يقول ، بكل اعتزاز و افتخار،: "**أنا نصف كدالي، و نصف نوميدي**"[350].

[348] - **تيرينيس أو ترنتيوس آفر** كاتب إفريقي من الجزائر، يحمل جنسية رومانية . و من أهم أعماله المسرحية: فتاة أندروس ، والحماة، والمعذب نفسه، والخصي ، وفورميو، والأخوان.

[349] - محمد حنداين : (مدخل لكتابة تاريخ الأدب الأمازيغي)، **منشورات الجمعية المغربية للبحث و التبادل الأمازيغي**،الرباط، المغرب، طبعة 1992 ، ص: 47.

[350] - محمد حنداين : (مدخل لكتابة تاريخ الأدب الأمازيغي)، ص: 47.

بيد أن ثمة باحثين قد أدرجوه ضمن الأدباء اللاتين، و نزعوا عنه الهوية الأمازيغية. و من بين هؤلاء إميل فاگيه(Emile Faguet) [351] الذي أدرج أبوليوس ضمن اللاتين المقلدين للإغريق. و قال عنه: "أما أبوليس في روايته (**الحمار الذهبي**)، فلا يعدو أن يكون روائيا هوائيا، بالغ التعقيد، شغوفا بكل شيء، و خاصة بالأشياء الفريدة في نوعها، قويا مليا ،و صوفيا في ساعاته، و جماع القول: إنه مربك جدا"[352].

و منهم كذلك محمد غنيمي هلال عندما نص على تأثر القصة اللاتينية بالقصة اليونانية، و خير من يمثل هذا التأثر قصة (**المسوخ**) أو (**الحمار الذهبي**) التي ألفها أبوليس Apulius في النصف الثاني من القرن الثاني بعد الميلاد، و لها أصل يوناني مجهول للمؤلف[353].

ولقد ذهب الباحث المغربي حميد لحميداني المذهب نفسه،عندما جرد أبوليوس من هويته الأمازيغية، و أدرجه ضمن الأدب الروماني القديم الذي كان يعتمد اللاتينية لغة ، وقد أشار إلى أن (**لوكسيوس**)، بطل رواية (**المسوخ** Les métamorphoses) للقصاص اللاتيني (أبوليوس/ Apulius)، يفسر ذلك التحول الفانطاستيكي الذي يطرأ على الإنسان، فيصير ، دون طبيعته الإنسانية، مستسلما للغرائز الحيوانية الدنيا[354].

هذا، ويعد محمد شفيق من الذين دافعوا عن أمازيغيته ، وقد أدرجه ، إلى جانب المسرحي(**تيرنيسي آفر أو تيرنتيوس آفر Terentius Afer** (185؟159 ق.م))، ضمن أدباء الثقافة الامازيغية في عهد الوثنية الذين تثاقفوا مع الأدب الإغريقي و اللاتيني[355]. وينطبق هذا الحكم نفسه على محمد حنداين الذي اعتبر أفولاي(Apulée) مثالا للشخصية الأمازيغية القوية في الأدب العالمي القديم، إذ تعلم العديد من اللغات، و ألف كتبا عديدة، أشهرها روايته (**الحمار الذهبي**) التي أثر بواسطتها في الرواية العالمية القديمة، وأبهر الرومان و الإغريق الى درجة اتهامهم له

---

[351] - إميل فاجيه: : نفسه، ص: 50.

[352] - إميل فاجيه: : نفسه،ص:50.

[353] - محمد غنيمي هلال: **الأدب المقارن**، دار العودة، بيروت، لبنان، طبعة 1983، ص: 202.

[354] - حميد لحمداني: **الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، سنة1985م، ص: 301.

[355] - محمد شفيق: نفسه،ص:78.

بالسحر[356]. ونجد الموقف نفسه عند الكاتب الليبي علي فهمي خشيم الذي اعتبر أبوليوس كاتبا إفريقيا أمازيغيا وعروبيا، كان ينتقل بين الجزائر وقرطاج وليبيا، وعد (**الحمار الذهبي)** أول نص روائي عربي [357] .
وكذلك، يذهب عباس الجراري إلى أن التاريخ احتفظ بأسماء غير قليل من الأدباء و الفلاسفة و علماء الدين الذين تخرجوا في هذا التعليم من مختلف أقطار الشمال الإفريقي، و عبروا باللاتينية في الغالب؛ لأنها كانت لغة الفاتح المستعمر، و ليس لأن اللغة الوطنية كانت قاصرة كما ذهب إلى ذلك أندريه جوليان[358]. و يدرج المؤرخ الفرنسي **شارل أندري جوليان(Charles André Julien)** ، المتخصص في تاريخ أفريقيا الشمالية القديمة، مبدعنا أبوليوس ضمن أدباء إفريقيا، إذ قال" **كان أبوليوس المولود حوالي سنة 125م من أشهر الكتاب الأفارقة"[359].**
ويتبين لنا مما سبق، أن هوية أبوليوس جزائرية المولد، وأفريقية المنبت، وأمازيغية الأصل. لكنها رومانية الجنسية، وإغريقية الثقافة والفكر، وشرقية المعتقد.

المبحث الثاني: نشـــأة أبوليـــوس

نشأ لوكيوس أبوليوس، أو أبوليوس الماضوري، في أسرة أرستقراطية ، في مدينة مداوروش بالجزائر، قرب سوق هراس، سنة 125م. إذ كان أبوه أحد الحاكمين الاثنين في أوائل القرن الثاني في هذه المنطقة، و كان أبوليوس أشهر كتاب هذا العهد وشعرائه.
لقد درس هذا الأديب الأمازيغي الأصل بقرطاج، حيث أخذ من كل الفنون بطرف، و كانت هذه المدينة الإفريقية عاصمة فكرية و سياسية في آن معا، و نبغ فيها هذا الأديب، وتخصص في المسرح و نبغ فيه، إذ كان القرطاجيون يهتفون به في المسرح، و كان يقول لهم**:" إني لا أرى في**

---

[356] ـ محمد حندايـن: نفسه، ص:47.

[357] ـ انظر:(ماذا قال علي خشيم عن أبوليوس؟)، **مجلة توالت tawalt** الرقمية، ليبيا، نقل المقال بدوره عن مجلة **جيل** الليبية.http://www.tawalt.com/?p=3579

[358] ـ عباس الجراري: نفسه،ص:29.

[359] ـ شارل أندري جوليـان، نفسه، ص:251.

مدينتكم إلا رجالا كرعوا من مناهل الثقافة، وتبحروا في جميع العلوم:أخذوا العلم صغارا، و تحلوا به شبانا ودرسوه شيوخا، إن قرطاج لهي المدرسة المقدسة في مقاطعتنا، و هي عروس الشعر في إفريقية، وهي أخيرا، ملهمة الطبقة التي تلبس الحلة"[360].

وقد تابع أبوليوس دراساته العليا في اليونان (أثينا)، وإيطاليا، و آسيا الصغرى. و لقد أعجب بالفلسفة السوفسطائية ، و الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، والفلسفات ذات الطبيعة الصوفية الروحانية التي تضمن للمؤمنين حياة أبدية سعيدة[361].

و بعد عودته الى بلده، اتهم بممارسة السحر، فدافع عن نفسه بصلابة، وألف في الموضوع كتابا بعنوان(**في السحر.Magicae**)[362].و سبب هذه التهمة أنه صادف في أثناء إقامته في طرابلس أن وقع في مغامرة غريبة،" **ذلك أنه ما أن تزوج من أم أحد أصدقائه، و كانت إلى ذلك الوقت ممتنعة امتناعا شديدا من التزوج ثانية، حتى اتهم بأنه سحرها، و قد أخذ أحد المحامين على نفسه، أن يقيم الدليل على أن يدافع عن نفسه دفاعا رائعا. لم يكن كله مقتنعا ،و أنحى على خصومه باللائمة، لأنهم خلطوا بين الفلسفة و السحر، و قد حرر خطابه، بعد ذلك، في صيغة إيجابية، فأصبح يعرف بالأبولوجيا (Apologie)."**[363]

و لم تعق هذه التهمة مسيرته الفكرية، إذ سرعان ما توجه إلى قرطاج، لممارسة العلم، و تلقين الدروس لطلبة الثقافة و الأدب، فأصبح قبلة الأنظار في هذه المدينة، و المحاضر المحبوب الذي يعالج جميع المواضيع، خاصة الفلسفية منها [364].

وعليه، فقد نعت أبوليوس بمواصفات عدة، إذ كان غريب الأطوار، وكثير المتناقضات، فهو جدي، و طائش، و متطير ،و شاك، و معجب بنفسه، وكان يدافع عن" المستضعفين" كثيرا.

---

[360] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:249.

[361] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:251.

[362] - محمد شفيق، نفسه، صص:78-79.

[363] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:251.

[364] - شارل أندري جوليان: نفسه، ص:251.

المبحث الثالث: مؤلفـــات أبوليـــوس

كان أبوليوس كاتبا مرموقا في عصره بين أدباء الثقافة العالمية، إذ نافس اللاتينيين و الرومانيين و اليونانيين، على الرغم من تأثره بهم خلقا وتناصا ، ولاسيما في روايته الفانطاستيكية التي ألفها في أحد عشر جزءا، وبها وضعه تاريخ الفكر في مصاف كبار الكتاب العالميين الخالدين. إنها رواية (**التقمصات Les métamorphoses أو الحمار الذهبي**)[365]، علاوة على كونه مسرحيا و شاعرا كبيرا، وخاصة في ديوانه (**الأزاهير**) **Florides** . وهو عبارة عن مقتطفات شعرية ألقاها في قرطاج، وقد ترجمها إلى اللغة العربية فهمي خشيم . ويضم هذا الديوان ثلاث وعشرين قطعة من خطاباته، تتفاوت طولا وقصرا، جمعها أحد المعجبين به" **كباقة"** جمعت أجمل زهور بلاغته، و كان يتبجح فيها بأنه يتقن الفنون على اختلافها، وكان يتوجه لمساعد القنصل في شيء من الخيلاء البريئة قائلا:" **أعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط، أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة لروح الملحمة، أو فيض الوجدان، لمرح الملهاة أو جلال المأساة، و كذلك لا أقصر لا في الهجاء و لا في الأحاجي، و لا أعجز عن مختلف الروايات، و الخطب يثني عليها البلغاء، و الحوارات يتذوقها الفلاسفة. ثم ماذا بعد هذا كله؟إني أنشئ في كل شيء، سواء باليونانية أم باللاتينية بالأمل نفسه، وبالحماس نفسه، و بالأسلوب نفسه".**[366]

وقد أطلقت على روايته الغرائبية (**الحمار الذهبي**) تسميات عدة من بينها: (**المسوخ** Les métamorphoses)، و(قصة المسخ) كما عند حميد لحمداني، أو (**الحمار الذهبي**) (**أو التحولات**) كما عند عمار الجلاصي(طبعة 2000م)، أو الحمار الذهبي فحسب كما لدى أبو العيد دودو ، أو(**تحولات الجحش الذهبي**) كما عند فهمي علي خشيم. وقد تسمى كذلك رواية(**الحمار الوردي**)؛ لأن كلمة الورد أو الوردي تتكرر مرارا في متن الرواية، إذ وصف لوكيوس أنه وردي البشرة، ووصفت حبيبته أنها وردية اليد. والأكثر من ذلك أنه كان يحلم بالورد طيلة فترة

---

[365] ـ محمد شفيق: نفسه، صص:78-79.

[366] ـ أندري جوليان: نفسه، ص:252.

تحوله، ويفر كلما رأى الورد أو ما يشبه الورد؛ لأنه يجسم الخلاص بالنسبة إليه. وهناك من ترجم هذه الرواية عن اللاتينية، كعمار جلاصي وأبو العيد دودو. وهناك من ترجمها عن الإنجليزية كعلي فهمي خشيم.
هذا، ومن كتبه الأخرى (**دفاع صبراتة**) الذي ترجمه فهمي علي خشيم، و(**في السحر**)، و كتاب(**شيطان سقراط**)، وهو عبارة عن كوميديا ساخرة، تختلط فيها الفلسفة بالسخرية، وقد شرع الكاتب الليبي فهمي علي خشيم في ترجمته إلى اللغة العربية.

المبحث الرابع: مضاميـــن (روايـــة الحمـــار الذهبـــي)

ظهرت قصة أبوليوس في مسخ الإنسان إلى حيوان، ثم عودته الى حالته الأولى، في أواخر القرن الأول بعد الميلاد. أي: حوالي سنة 170 م، في مدينة قرطاج، و راوي هذه القصة هو **لوسيـــان** الذي حوّل البطل لوكسيوس إلى حمار. ولن يعود إلى صورته الآدمية الأولى إلا بعد مغامرات عديدة، تتخللها قصص جزئية متداخلة، تضمينا و تشويقا وتوليدا، كقصة (**بسيشـية وكوبيـدون**) الرائعة في أبعادها الفاطاستيكية والأخلاقية.
هذا، وإن رواية (الحمار الذهبي) ذات طابع ملحمي و فانطاستيكي غريب، حيث تعتمد على فكرة المسخ، و تحويل الكائن البشري الى حيوانات أو أشياء على غرار الإبداعات اليونانية . إذ يتحول لوكسيوس، في هذه الرواية، إلى حمار بسبب خطإ حبيبته **فوتيس** التي كان يحبها لوكيوس كثيرا ، حينما ناولته مادة دهنية في ملك سيدتها بامفيلا؛ زوجة ميلون التي كانت تمارس السحر في غرفتها السرية. وبهذه المادة، يتحول الكائن البشري إلى أنواع من الطيور والكائنات الخارقة التي تجمع بين الغرابة والتعجيب.
وعندما سمع لوكيوس الشاب أسرار سحر هذه المرأة، دفعه تطفله وفضوله إلى أن يأمر فوتيس بجلب دهن الساحرة بغية التحول إلى طائر لينأى عن الناس، ويهاجرهم حيال عالم المثل بعيدا عن عالم الفساد والانحطاط البشري. بيد أن فوتيس جلبت له مادة دهنية سامة، تحوّل الإنسان إلى حمار. و بعد مغامرات صعبة، ذاق فيها لوكيوس أنواعا من

العذاب والهلاك. وتعرف عبرها إلى مكائد البشر وحيلهم، ثم يعود إلى حالته الآدمية الإنسانية، بعد أن تدخلت الآلهة إيزيس لتجعله راهبا متعبدا، وخادما وفيا لها.
و بتعبير آخر، فلقد اتجه لوكسيوس، بطل القصة، نحو مدينة (**تسالي**) لأمور تخص أسرته، فنزل على فتى بخيل ضيفا له، فكانت لذلك المضيف الشحيح امرأة ساحرة تتحول إلى أشكال مختلفة، إذا دهنت نفسها بأنواع من الزيوت الخاصة بالمسخ و التحويل، فطلب (**لوكسيوس**) من عشيقته فوتيس أن تدهنه ليتحول الى مخلوق آخر. بيد أنه تحول إلى حمار، بعدما أن أخطأت فوتيس؛ خادمة **بامفيلا** الساحرة، في اختيار المحلول المناسب للمسخ. و هكذا، يتعرض لوكسيوس/ الحمار لكثير من العذاب جوعا وقسوة، فظل أسير المعاناة والتنكيل و الاضطهاد في أيدي الكثير من البشر، بما فيهم اللصوص والرهبان .
و بعد انتقاله من يد الى يد، كان يطّلع، في مغامراته السيزيفية، على كثير من خبايا البشر وقصصهم وحوادثهم وتجاربهم، و يعرف ضروب الفسق الآدمي. ناهيك عن إحساس بالعار، و تلقيه ضربات العصا، و شعره بالظلم في مخاطرات كثيرة، الى درجة كرهه للإنسان الذي انحط انحطاطا خلقيا. ومن ثم، لم يتحول الى حالته الأولى إلا على يد كاهن يحرس معبد الآلهة (**ايزيس**).
وعليه، فإن قضية المسخ قديمة، فقد وجدت في الملاحم القديمة، إذ كان الإنسان يتحول إلى قرد، أو حيوان، أو سمكة، أو شجرة، أو حجرة. وكان هذا المسخ يستند الى طقوس و عقائد شعبية، ففي(**أوديسية) هوميروس**، الشاعر اليوناني، مسخ أصحاب (**يوليوس)** إلى خنازير. كما توجد في أشعار يونانية قديمة قصائد و مقطوعات موضوعها قصص المسخ التي ضاع منها الكثير.
و يعبر تحول لوكسيوس إلى حمار عن فكرة المسخ الحيواني، و فكرة العقاب القاسي لكل متطفل فضولي لم يرض برزقه وبشريته وإنسانيته. كما يحيل على ذلك الجزاء الذي يستحقه الزناة، ومنحطو الأخلاق ،ذلك أن لوكسيوس قد دخل في علاقات جنسية غير شرعية مع خادمة مضيفه ميلون، وقد يدل هذا المسخ على انحطاط الإنسان، وعدم سموه أخلاقيا. ولن يعود البطل إلى حالته البشرية إلا بعد التوبة والدعاء باسم الآلهة،

والتخلص من نوازعه الإيروسية، والتحرر من انفعالاته البشرية العدوانية، وتدخل المنقذة إيزيس. لذلك، يشيد الكاتب **بإيزيس** الآلهة المخلصة، و يستعين بالديانة الشرقية. وفي الوقت نفسه، يسفه الديانات الرومانية، ويدين انحطاطها الأخلاقي. ناهيك عن و صفه لبعض العادات و التقاليد السائدة في عصره، وهجوها نقدا وتقبيحا. و قد آل هذا التحول الفانطاستيكي إلى معنى رمزي موح، يجسد انحطاط الإنسان، ونزوله إلى مرتبة الحيوان، حينما يستسلم لغرائزه وأهوائه الشبقية وانفعالاته الضالة. بيد أن النجاة في الرواية لن تتحقق إلا بركوب المحن، وتحمل الابتلاءات والاختبارات المضنية، و الاستعانة بالتوبة، واسترضاء الآلهة.

و من القصص الدخيلة الهامة في الرواية قصة الفاتنة (**بيسيشية**)، وحب الإله (**كوبيدون**) لها، ثم هيامها به، و تعرضها لكثير من المحن في سبيل ارتقائها إلى مرتبة الخلود، و هي تشغل في القصة جزءا من الكتاب الرابع، ثم الكتاب الخامس، و جزءا من السادس، و قد اتخذت، فيما بعد، رمزا للحب الإلهي، و ارتقائه بالنفس الى مرتبة الخلود [367].

و عليه، يتضمن (الحمار الذهبي)، باعتباره نصا سرديا خارقا، خمس لحظات فنية و جمالية ، تكوّن ما يسمى بالحبكة السردية للرواية:

❶لحظة البداية المتوازنة:

في هذه الفترة، يعيش البطل - الراوي - حياة متوازنة، من سماتها الاستقرار و التعقل، والتأقلم مع الصعوبات المحيطة به. و هكذا، لم يكن هناك ما يعكر صفو **لوكيوس** مع حبيبته **فوتيس**، على الرغم من عصابة مدينة **هوباتا** التي يتلذذ لصوصها بقتل من يمر عليهم، وسلب ممتلكاتهم، ونهب ثرواتهم النفيسة.

❷ لحظة التوتر الدرامي:

يرغب لوكيوس في معرفة أسرار السحر. لذا، يتطفل على عالم الساحرة بامفيلا ؛ زوجة ميلون، بغية تحقيق طموحه الصوفي، ونيل المجد،

---

[367] - محمد غنيمي هلال: **الأدب المقارن**، ص:203 ،الهامش.

بالتحول إلى طائر ممسوخ تخلصا من عالم البشر، وارتقاء إلى عالم المثل.لذا، يتحول لوكيوس إلى حمار ذهبي عن طريق الخطإ ؛ لأن عشيقته فوتيس قد ناولته دهنا ساما لايحول الإنسان إلى طائر، كما كانت تظن عندما سحبته من صندوق سيدتها، بل يحول الإنسان إلى حمار أثناء مسح الجسد بذلك العقار العجيب. وعندما حاول لوكيوس تقليد الساحرة **بامفيلا** في حركتها لكي يطير مثل النسر، كان البطل قد تحول إلى حمار غريب:" **أكدت لي ذلك مرارا، وتسللت، وهي في غاية الاضطراب داخل الغرفة، وأخرجت علبة من الصندوق.فاحتضنتها وقبلتها أولا داعيا أن تبارك طيراني. وبسرعة، خلعت كل ملابسي، ثم غمست يدي بلهفة، فاغترفت منها كمية وافرة من الدهان، دلكت بها كل أعضائي، ثم أخذت أرفرف بذراعي كالطير في محاولات متتابعة. لكن لا ريش ولا زغب حتّى. بالعكس اخشوشن شعر بدني تماما إلى سبائب. وتيبست بشرتي الرقيقة إلى جلد غليظ وفي أطراف أكفي اتحدت كل الأصابع في حوافر، ونبت لي في العصعص ذنب كبير. ها أنا الآن بوجه ضخم، وفم عريض، وخيشومين فاغرين، ومشفرين متهدلين، وأذنين مسبسبتين، مع نماء مفرط. ولا أرى لي من عزاء على هذا التحول التعيس سوى نمو بعض أعضائي. وإن بت الآن عاجزا عن احتضان فوتيس الحبيبة.**
أخذت أقلب البصر ، ولا وسيلة للخلاص في كل أعضاء بدني. فلا أراني طيرا بل حمارا. فأهم بالشكوى مما فعلت فوتيس بي. لكني سلبت الحركة والصوت البشريين. فما أستطيع سوى مط شفتي، والرنو إليها بعينين دامعتين. موجها إليها شكاتي الخرساء "[368].
إذاً، تتمثل عقدة الرواية في التحول الفانطاستيكي، والامتساخ الحيواني، وتبدأ من لحظة اختلال التوازن الذي يحكم أغلبية القصص العجائبية.

❸لحظة الصراع:

[368] - انظر: لوكيوس أبوليوس: **الحمار الذهبي أو التحولات،** ترجمة: عمار الجلاصي، أعده للنشر موحمد ؤمادي، طبعة 2000م.

تتمثل هذه اللحظة في صراع لوكسيوس مع الواقع المتعفن الذي لم يجد فيه سوى العذاب والضرب و الاحتيال والمكائد والفساد . إنه العالم المبرقش بالزيف والنفاق وتردي الإنسان.

❹لحظة الحل:

يتمثل حل الرواية في تحول لوكسيوس إلى إنسان، بعد أن ساعدته إيزيس على ذلك.

❺ لحظة النهاية:

تتحقق لحظة إعادة التوازن ، بعد أن عرف لوكيوس الحمار تجارب ومغامرات مأساوية عديدة ،سواء أكانت مرة أم حلوة، مع الرهبان السوريين، والطحان، والبستاني، والجندي، والأخويين الطاهيين، إلى أن أنقذه من هذا المسخ الحيواني ذلك الكاهن المتعبد الذي حدثه عن قدرة الآلهة إيزيس. مما دفع صديقه لوكيوس إلى أن يناجيها في أثناء حلم المنام كي تخلصه من هذه الورطة العويصة، ليتحول، بعد ذلك، إلى كينونته البشرية، فيصبح خادما وفيا لمعبد الآلهة، يخدمها بتفان وإخلاص. ومن ثم، أصبح راهبا، فكاهنا كبيرا، بعد أن ترقى في مراقي العبادة، و اكتشاف أسرار أوزيريس.

المبحث الخامس: خصائص الرواية الفنية والمرجعية

إن رواية (**الحمار الذهبي**) قراءة انتقادية ساخرة للمجتمع الروماني على جميع الأصعدة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية. وتتجاوز هذه القراءة "الوعي البشري، و تنقب داخل المخبأ و داخل اللاوعي،و ينبغي قراءة الحمار الذهبي قراءة متأنية في سياق انهيار العقل، و اضمحلال المركزية الرومانية و تفككها؛ بحيث لم تعد روما هي معبد

الثقافة، ولكنها انسحبت أو بدأت تفعل ذلك تاركة مكانها لمناطق أخرى مثل أثينـــا"[369].

تبدو الرواية ، في رحلتها الفانطاستيكية -على الرغم من تعدد أجزائها- نصا واقعيا ساخرا، ينتقد العقل الظلامي، و يسفه سلوكيات السحرة و أباطرة القضاء الروماني الذين اتهموا "لوكيوس" بالسحر و الشعوذة. ومن هنا، فالرواية إعلان لانهيار الإمبراطورية الرومانية، وإفلاسها أخلاقيا.

وتتضمن رواية أبوليوس فكرة المسخ لدى الإنسان القديم المرتبطة بفكرة عقاب الآلهة، فهي تنزله على من هم أكثر بعدا عن الروح الإلهية، و أكثر قربا من الحياة الحيوانية البئيسة .[370]

و من خصائص رواية الحمار الذهبي أنها رواية عجائبية غرائبية، يتداخل فيها الواقع مع الخيال، والسحر مع العقل، والوعي و اللاوعي. ويتبنى فيها الكاتب المنظور الذاتي والرؤية الداخلية وضمير المتكلم، مع استخدام تقنية التوليد القصصي، أو ما يسمى بالتضمين القصصي. دون أن ننسى روعة الوصف، وبراعة الأسلوب، والإكثار من الإحالات والمستنسخات التناصية، وتشغيل الخطابات الدينية والأدبية والفلسفية والصوفية والعجائبية والأسطورية .

وتقترب القصة ، من خلال خصائصها الفنية والبلاغية، من أصلها الملحمي الشاعري، "فالقاص ينهج منهج الشاعر في نزعته إلى الواقع، والقاص والشاعر كلاهما كان يتخيل، و يصف ما يتخيل، أيسر مما يصف الواقع و يواجهه، و كانت الجماهير في عصور الإنسانية الأولى تهتم بالأحداث العجيبة و بالأخطار الخيالية. في حين، لا تعبأ بالواقع، و لا تحفل به. و بذلك، سبقت القصة الخيالية إلى الوجود القصة الواقعية، كما سبق الشعر النثر الفني، إذ كان كل منهما يمتاح من مورد واحد".[371]

وهكذا، فرواية (**الحمار الذهبي**) لأبوليوس رواية المسخ والتحول من حيث المضمون، ورواية فانطاستيكية خيالية ورمزية من حيث الشكل.

---

[369] - واسيني الأعرج: (أحلام بقرة: العجائبية/التأويل/التناص)، مجلة **آفاق**، مجلة اتحاد كتاب المغرب، العدد الأول، 1990م، ص:64.

[370] - حميد لحمداني: نفسه، ص: 31.

[371] - محمد غنيمي هلال: نفسه، ص: 203.

المبحث السادس: الحمـــار الذهبي ولغـــة الكتابـــة

ان السؤال الذي يتبادر الى أذهاننا: ما لغة الكتابة التي استعملها أفولاي الأمازيغي في روايته (**الحمار الذهبي**)؟ هل استخدم لغة الأم.أي: الأمازيغية المكتوبة بخط تيفيناغ ؟ أم أنه استخدم اللغة اللاتينية التي درس بها؟ أم أنه وظف اللغة اليونانية التي كان يعشقها؟ ومن باب العلم، فقد كان أبوليوس يتقن لغات عالمية عدة، في تلك الفترة، خاصة اليونانية، لغة الفكر والفلسفة.

فليس هناك - حسب رأيي - جواب قاطع، و دليل علمي حاسم، للفصل في هذه القضية الشائكة، بل هناك افتراضات و تأويلات متضاربة، تنقصها الحجج الدامغة، و البراهين العلمية الموضوعية التي تستند إلى الوثائق الحقيقة.

و لقد تعرض شارل أندري جوليـان لهذه القضية بقوله: " و لا تزال المناقشات متواصلة لمعرفة ما إذا كان أبوليوس ألف كتابه باليونانية أو لا؟ و هل كان لحمار لوسيـان و المسوخ مصدر مشترك أم هل أن المرجع الأصلي هو قصة لوسيـان المطولة يكون (الحمار) ملخصا لها. ومهما يكن، فان رواية أبوليوس المتنوعة الطبيعية المحشوة بدقائق العادات، و التي تتابع فيها أحاديث الفسق و التقوى هي من الكتب اللاتينية القلائل التي لا تزال تقرأ من دون ملل.

و أنه يتعذر أن نعرف بالضبط هل أن كتاب إفريقية ينحدرون من معمرين رومان، و أغلب الظن أن أكثرهم كانوا من البربر المتأثرين بالحضارة الرومانية الذين عبروا في لغة الفاتحين عما كانت اللغة الليبية، و حتى البونيقية قاصرة دونه"[372].

أما محمد شفيق، فلقد أشار إلى أمازيغية أبوليوس، و لم يشر إلى اللغة المستعملة في كتابه **(الحمار الذهبي)**، هل كتب أفولاي بخط تيفيناغ أم باللغات المجاورة لمملكة **نوميديا** كاللاتينية و اليونانية؟! يقول محمد شفيق عن أبوليوس بأنه " اتخذ الرواية الطويلة النفس مطية لوصف

[372] - شارل أندري جوليـان: نفسه، ص:252.

الأوضاع الاجتماعية، و انتقادها في سخرية حينا، وفي شدة وصرامة أحيانا، فدافع عن المستضعفين، و طرق بكيفية غير مباشرة موضوعات فلسفية مظهرا لنزعته الصوفية"[373] .
و هناك باحثون آخرون ذهبوا الى أن الرواية كتبت باللغة اللاتينية، ومنهم إميل فاگيه (Emile Faguet)، وغنيمي هلال ، وحميد لحميداني، وعز الدين المناصرة[374]. بيد أن محمد حندايـن أشار إلى أمازيغية الكتابة التي وظفها أفولاي؛ لأن الأمازيغيين مارسوا أدبا رفيعا قبل 3000 (ق.م)،و كتبوا بحروفهم (**تيفيناغ**)، و نافسوا الدول المجاورة كالفينيقيين و الرومان، و قاوموا محاولات طمس هوية أدبهم الأمازيغي. كما مارسوا المثاقفة مع الشعوب المجاورة ، وفشلت ثقافة(**الرومنة**) أمام قوة الأدب الأمازيغي ، و يكفي أن نأخذ - مثالا لذلك- الشخصية القوية لأفولاي(Appulée) الذي تعلم كثيرا من اللغات، و ألف كتبا عديدة أشهرها كتاب (**الحمار الذهبي**) الذي أثر بواسطته في الرواية العالمية القديمة .[375]
و يرى محمد حنداين أن الأدب الامازيغي، لغة و كتابة، تعرض للتحريف و التزوير من قبل المحتلين ، وخاصة الرومان، معتمدا في ذلك على إثباتات **مرمول** في كتابه (**عن أفريقيا**)، حينما استشهد بقولة ابن الرقيق "إن الرومان طمسوا العناوين، و الحروف القديمة، التي وجدوها في أفريقيا عندما احتلوها، ووضعوا مكانها عناوينهم و حروفهم، حتى يخلدوا وحدهم الأمر المعهود و عند الفاتحين[376]". و يضيف الباحث أن الأدب المغربي القديم "كان متقدما يضاهي و ينافس أدب الشعوب المجاورة، لكنه تعرض لطمس شديد بفعل الهجمات المتتالية التي تعرضت لها منطقة شمال أفريقيا.
و يتعين على الباحثين المغاربة و غيرهم أن يسعوا الى نفض الغبار عن هذا الجانب من الأدب المغربي للمساهمة في تأسيس فكر مغربي جديد متميز" .[377]

---

[373] - محمد شفيق: نفسه،ص:78-79.
[374] - عزالدين المناصرة: نفسه، ص:86.
[375] - محمد حندايـن: نفسه، ص: 47.
[376] - محمد حندايـن: نفسه، ص: 47.
[377] - محمد حندايـن: نفسه، ص: 47.

ويرى علي فهمي خشيم أن أبوليوس جمع في روايته بين لغات عدة، بما فيها الأمازيغية، واللاتينية، واليونانية. إذ يقول أبوليوس:"أنا أدخلت إلى اللغة اللاتينية تعبيرات علمية ليست موجودة في هذه اللغة اللاتينية. أنا أدخلتها. أنا الشرقي العربي، غير الروماني، أثريت اللغة اللاتينية بترجمة مصطلحات من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية".[378]
و في رأيي، إن أفولاي كغيره من رواد الثقافة الأمازيغية، عبروا باللغة اللاتينية؛ لأنها لغة المستعمر التي فرضت على أبناء نوميديا و أهل قرطاج، و بها دخل الأدب العالمي، و بها درس و درّس، حينما زار إيطاليا، و عاد الى قرطاجنة ليدرّس بها الفنون و الفلسفة و الأدب.
وفي هذا الصدد، يقول عباس الجراري: "و قد احتفظ التاريخ بأسماء غير قليل من الأدباء والفلاسفة و علماء الدين الذين تخرجوا في هذا التعليم (الروماني) من مختلف أقطار الشمال الإفريقي، و عبروا باللاتينية في الغالب، لأنها كانت لغة الفاتح المستعمر، و ليس لأن اللغة الوطنية كانت قاصرة كما ذهب جوليان"[379].
و بالتالي، فقد كانت الحكومة الرومانية ترسل المفكرين الأمازيغيين الذين ينحدرون من الطبقات الثرية إلى مدارسها ومعاهدها العليا، وتعلمهم حسب مناهج التعليم الروماني، و تفرض عليهم اللاتينية لغة و كتابة، علاوة على فرض آلهتها الوثنية عليهم. بينما الطبقة الشعبية كانت تختار آلهتها البربرية ، و لغتها المحلية في التعبير و الكتابة . و في هذا، يقول عباس الجراري: " إن الرومان أثروا على طبقة معينة من البربر ذات مصالح، هي الطبقة الأرستقراطية التي كانت تختلف إلى مدارسهم، وتتسمى بأسمائهم، و تتكلم اللغة اللاتينية، و تعبد الآلهة الرومانية، مثل : **مارس**، و **هرمس**، و **سيريس**، و **باخوس**، و **أسكولاب**، و **أيزيس**، و**أوزيريس**، و **مترا**"[380].
أما الطبقات الشعبية، «فقد ظلت تقدس الآلهة الفينيقية، و إن أخفتها تحت ستار أسماء جديدة. **فبعل حمون** كان يعبد تحت اسم **سترنس أغسطس**، و **تانيت** كان يعبد تحت اسم **كيلتيس**، فضلا عن أن تلك الطبقات حافظت

[378] - انظر:(ماذا قال علي خشيم عن أبوليوس؟)، الرابط المذكور سابقا.
[379] - عباس الجراري:نفسه، ص:26-27.
[380] - عباس الجراري:نفسه، ص:26.

على آلهتها البربرية المحلية كما **كورتـا** و **يونـا** و **ماكورفـوس** و **ماتيـلا، وفيهينـا**، و **بونشـور** و **فارسيسيمـا**" .[381]
و على الرغم من استعداد المغاربة لتقبل فكرة الوحدانية على المستوى الديني، فإنهم لم يهتموا بالمسيحية الرومانية كثيرا ، والتي " لم تنتشر إلا عند النخبة المتعلمة في المدارس الرومانية، حيث كان التعليم يهدف الى تكوين أطر لتسيير الإدارة المحلية باللغة اللاتينية، و كانت مناهجه تقتضي تدرج التلميذ من تعلم القراءة و الكتابة و الحساب الى النحو والآداب و الموسيقى و العروض و الفلسفة و الفلك و الرياضيات. وينتقل بعد ذلك الى مدارس أعلى كانت تؤسس في أهم المدن، و فيها يتعلم الشعر و الخطابة و ما يتطلبان من بلاغة و جدل و ارتجال، و قد ينتقل بعد ذلك الى **رومة** أو غيرها من مدن الدولة المركزية لتنمية معارفه أو تولي بعض المناصب"[382] .
إذاً، فمن الواقعي أن يكتب أبوليوس روايته باللاتينية أو اليونانية في تلك الفترة بالذات، مادامت اللغة الأولى هي لغة احتلال وترق في مناصب الدولة الرومانية. في حين، كانت اللغة الثانية لغة العلوم والآداب والفنون والثقافة الكونية.

المبحث السابع: تأثير رواية (الحمار الذهبي) في الروايتين: الغربية والعربية

من الطبيعي، أن تتأثر رواية (**الحمار الذهبي**) بالروايات اليونانية واللاتينية والأمازيغية في ذلك العهد نفسه. و في هذا السياق، يقول غنيمي هلال: هناك "أصل يوناني مجهول للمؤلف"[383]. ثم أكد مرة أخرى تأثر القصة اللاتينية بالقصة اليونانية، و أشهر قصة تمثل ذلك التأثر هي قصة(**المسخ**) أو رواية (**الحمار الذهبي**) التي ألفها أبوليوس(Apulius) في النصف الثاني للقرن الثاني بعد الميلاد [384]، و التي

[381] ـ عباس الجراري:نفسه، ص:26.
[382] ـ عباس الجراري:نفسه، ص:26.
[383] ـ غنيمي هلال: نفسه، ص:202.
[384] ـ غنيمي هلال: نفسه، ص:202.

تتناص مع عناصر قصصية وخرافية وأسطورية وعجائبية موجودة في الإبداع اليوناني . وقد كانت السبب في ظهور النثر القصصي فيما بعد. وكانت القصة اليونانية ذات طابع ملحمي، حافلة بالمغامرات الغيبية، زاخرة بالخرافة والسحر و الأمور الخارقة. ويتمثل النموذج العام لأحداث قصص ذلك العهد في افتراق حبيبين، تقوم الأخطار المروعة و العقبات المؤسسة حدا فاصلا بينهما، و يفلتان منها بطرائق تفوق المألوف، ثم تختتم القصة ختاما سعيدا بالتقاء الحبيبين.[385]

أما عن قيمة رواية (**الحمار الذهبي**) لأفولاي، فإنها أثرت في كثير من الروايات الغربية ، ولاسيما المعاصرة منها، إذ أمدتها بفكرة المسخ وبالتقنية الفانطاستيكية التي تستند إلى العجائبية و الأحداث الغريبة، وتداخل الأزمنة، و جدلية الواقع و الوهم و اللامعقول.

وقد استغلت فكرة المسخ هذه في الأدب الأوروبي المعاصر، بدءا من القرن العشرين على يد بعض الروائيين، دون الاحتفاظ "بالطابع الخرافي الذي كان يلف فكرة المسخ، فإذا كانت الآلهة في الأساطير القديمة هي التي تنزل عقابا من هذا النوع من الأشرار من أهل الأرض، فان الأديب المعاصر ينزل هذا العقاب الوهمي على أبطاله المنبوذين وسط مجتمع يرفضهم أو يرفضونه، و كثيرا ما يجعل المسخ ينسحب على جميع الناس و الأشياء" .[386]

و من الذين استفادوا من تقنية الأسطرة و فكرة المسخ جيمس جويس(James Joyce)، و كافكا(Kafka)، وگوي دو موباسان(Maupassant)، وألفونس دوديه(Daudet)...

وقد تأثر أيضا **فرانز كافكا(Kafka**) برواية أفولاي على المستوى الغرائبي خاصة في روايته (**التحول Métamorphose**)، إذ تبدأ رواية كافكا بالعبارة التالية :" **ذات صباح بعد الاستيقاظ من حلم مزعج فتح غريغوار Grégoire Samsa عينه في سريره، و قد تحول إلى حشرة** "[387] .

[385] - غنيمي هلال: نفسه، ص:201-202.

[386] - حميد لحمداني: نفسه، ص:301.

[387]- kafka, F: **La Métamorphose**, Gallimard, paris 1955, P: 7 .

ومن أهم النصوص الفانطاستيكية في الثقافة الغربية قصة(**الجسد Le corps**) **لروبير شيكلي Robert Shekley**، و"هذه القصة من النوع القصير، و تتمثل غرائبيتها في عملية عجيبة لزرع جسد حيوان في عقل بشري" [388]

و انعكس هذا الملمح الفانطاستيكي على أسلوب الرواية العربية بصفة عامة ، والمغربية بصفة خاصة، من خلال الاحتكاك والمثاقفة مع الآداب الغربية، والاستفادة من التقنيات السردية في الرواية الحداثية الأوربية.

و من النصوص العجائبية العربية القديمة (**ألف ليلة و ليلة**)، وقصة (**سيف بن ذي يزن**)، وما كتبه الرحالة العرب، خاصة ما أورده ابن بطوطة من ظواهرعجائبية في كتابه (**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**).

و تحضر غرائبية أفولاي، بشكل جلي، في الرواية المغربية ، وخاصة في رواية محمد زفزاف (**المرأة و الوردة**)، و هي من "النماذج الروائية الأولى في المغرب التي ظهرت فيها أساليب الرواية الأوروبية المعاصرة، و من هذه الأساليب التي استثمرتها (**المرأة و الوردة**) مسألة المسخ (...)، و هي وسيلة فنية وظفها الكاتب من أجل تصوير حالة بطله، و هو يتعامل مع الغرب، و مع اللذائذ الحسية التي كان يغرق فيها، واستخدام الكاتب لهذا الأسلوب في الرواية يرمي الى إلقاء الضوء أيضا على طبيعة العلاقة التي كانت تربط البطل بعالم الغرب، فلكي يصور ضياع "محمد" في أروبا جعله ينظر الى الناس من حوله، و كأنهم مسخوا الى حيوانات، إلى قرود، خصوصا في تلك المدينة الإسبانية السياحية التي تجمع الناس من أقطار مختلفة". [389]

و قد دفع هذا الشعور البطل لكي يحس بالاغتراب الوجودي، مثل الذي كان يحس به في وطنه. و تتجلى عجائبية رواية زفزاف، بكل وضوح،

---

[388] - Apulée: **l'Ane d’Or,** dans les Métamorphoses, Folio. Gallimard Paris 1958 (préface) de Jean-Louis Bory, p : 20.

[389] - حميد لحمداني: نفسه، ص: 301.

في هذه العبارة المحورية "**تخيلت أن الناس الآن قرودا لأنهم يستطيعون أن يفهموا بعضهم البعض إلا بالحركات".**[390]

و من الروائيين المغاربة الذين تأثروا كذلك بـ(الحمار الذهبي) محمد الهرادي في روايته (**أحلام بقرة**)[391] ، وبنسالم حميش في روايته(**سماسرة السراب**) و(**محن الفتى زين شامة**)[392]، ومحمد عز الدين التازي في روايتيه (**المباءة**) و(**رحيل البحر**)[393]، والميلودي شغموم في(**عين الفرس**)[394]، ويحيى بزغود في روايته الرائعة(**الجرذان**)[395]...

ومن الروايات العربية التي استفادت من المنحى الفانطاستيكي رواية(**الحوات والقصر**) للطاهر وطار[396]، و(**التجليات**) لجمال الغيطاني[397]، و(**حمائم الشفق**) لخلاص الجيلاني[398]، و(**ألف** و **عام من**

---

[390] - محمد زفزاف: **المرأة و الوردة**، سلسلة الكتاب الحديث، منشورات غاليري، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1972، ص:59.

[391] - محمد الهواري: **أحلام بقرة**، دار الخطابي للطباعة و النشر ،الدار البيضاء، المغرب،الطبعة الأولى، سنة 1988م.

[392] - بنسالم حميش : **سماسرة السراب**،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1995م؛ **ومحن الفتى زين شامة**،دار الآداب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1993م.

[393] - محمد عزالدين التازي: **المباءة**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 1988م؛ **ورحيل البحر**، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1983م.

[394] - الميلودي شغموم: **عين الفرس**، دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة1988م.

[395] - يحيى بزغود: **الجرذان**، ، منشورات منتدى رحاب بوجدة، المغرب،الطبعة الأولى، سنة 2000م.

[396] -الطاهر وطار: **الحوات والقصر**، دار الهلال، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، سنة 1987م.

[397]- جمال الغيطاني: ، **التجليات (الأسفار الثلاثة)** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، طبعة 1997م.

[398] - خلاص الجيلاني:**حمائم الشفق**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

الحنين) لرشيد بوجدرة[399]، و (**هابيل)** لمحمد ديب[400]، و(**النهر المحول)** لرشيد ميموني[401]، و(**ألف ليلة و ليلتان)** لهاني الراهب[402] ....

و خلاصة القول : تعد رواية (**الحمار الذهبي)** لأفولاي، سواء أكتبت باليونانية أم باللاتينية أم بتيفيناغ، نصا إبداعيا عالميا متميزا، يعبر عن هوية أمازيغية مغاربية نوميدية. وقد أثرت عجائبية هذه الرواية الفانطاستيكية في الأدب القديم، و الرواية الغربية الحديثة، و الرواية العربية المعاصرة ، ولاسيما المغاربية منها. و لا ننسى أن نقول كذلك بأن هذه الرواية من أقدم الروايات الأمازيغية التي تحسب على الأدب الأمازيغي، لا على الأدب اللاتيني، كما يذهب إلى ذلك إميل فاگيـه(Faguet)، في كتابه (**مدخل إلى الأدب)**، حيث حاول طمس أمازيغية هذه الرواية ذات الشهرة العالمية ليلصق عليها الهوية اللاتينية بغية تجريد الأمازيغيين من كل الفضائل الإيجابية، و إبعادهم عن مهارات الابتكار والإبداع لينسبها إلى اللاتين و الرومان. ولم تقف هذه الرواية عند عتبة التقليد، و استلهام الخرافة اليونانية، بل كانت آية في الروعة والخلق والتناص و الإبداع العالمي قصة وصياغة وسردا.
أما مسألة التأثر بالأدب اليوناني أو اللاتيني، فهي مسألة طبيعية تتحكم فيها ظاهرة التناص؛ لأن ليس هناك إبداع بدون نسب **جينيالوجي**، أو ليس هناك أدب خلق من عدم ، فالتلاقح الفكري يتحكم في جميع الظواهر النصية البشرية خلقا و تحويلا و سطحا و عمقا.

---

[399] ـ رشيد بوجدرة: **ألف و عام من الحنين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر , 1984.

[400] ـ محمد ديب: **هابيل**، دار الجليل، طبعة 1986م.

[401] ـ رشيد ميموني : **النهر المحول**، الطبعة الأولى، سنة 1982م.

[402] ـ هاني الراهب:**ألف ليلة وليلتان**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر،بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1979م.

الخاتمــــة

هكذا، نخلص إلى أن الأنسان الأمازيغي ينتمي إلى سلالات أنتروبولوجية مهجنة ومتنوعة. وبالتالي، فأصوله مختلفة، قد تكون مشرقية، أو أفريقية، أو غربية، أو محلية. ومن جهة أخرى، تمتاز الأبجدية الأمازيغية بقدمها وسموها، وانتمائها إلى الفصيلة السامية الحامية. لكن هناك من الباحثين من يشكك في هذا الطرح اللساني، من خلال تبنيه لأطروحات مخالفة في هذا المجال. وقد تعددت تسميات ساكنة شمال أفريقيا، فقد أطلقت عليهم أسماء متعددة، مثل: البربر، والأمازيغ، والليبيين، والجيتوليين، والموريين، والنوميديين...

كما تعددت قبائل البربر بين قبائل البتر وقبائل البرانس، وتعددت بطونها وأسرها وأفخاذها. وتجمعت في مجموعات كبرى هي: مجموعة زناتة، ومجموعة صنهاجة، ومجموعة مصمودة، ومجموعة غمارة. علاوة على ذلك، فقد عرف الأمازيغ بمقاومة الأعداء مقاومة شرسة.لذا، فقد اتخذت مقاومتهم صورا عدة: مقاومة عسكرية، ومقاومة اجتماعية، ومقاومة دينية، ومقاومة ثقافية. ويعد يوبا الثاني وأغستان من أهم النماذج التي تدرج ضمن هذه المقاومة الثقافية الأدبية والفنية والعلمية والدينية.

هذا، وقد تمثل الأمازيغيون معتقدات عدة وثنية، ويهودية، ومسيحية، وإسلامية، ولم يحسوا بكرامتهم وأنفتهم إلا في ظل الدين الإسلامي الحنيف.

علاوة على ذلك، فقد عرف الأمازيغ بإنجازات مهمة في ميادين عدة: اقتصادية، واجتماعية، وثقافية ، وفنية، وأدبية. فقد كتب أفولاي أول نص روائي عالمي هو (**الحمار الذهبي**). وقد كتب القديس أوغسطين أيضا أول نص أوطبيوغرافي (سيرة ذاتية) في تاريخ الإنسانية هو(**الاعترافات**).

وعلى العموم، لايمكن تدريس الأمازيغية من زاوية لسانية فقط، بل لابد من الجمع بين المقاربتين اللسانية والثقافية معا؛ لكي نقنع الآخر بما لدينا من ثقافة غنية، وحضارة سامية في مختلف الميادين والمجالات. ومن ثم، يكفي الإنسان الأمازيغي فخرا أن كان سباقا إلى تأليف الرواية، والقصة ،

والمسرح، والسيرة الذاتية، والموسوعات، والعناية كذلك بأدب الاعتراف والخواطر، واكتشاف الناي والعربة وركوب الفرس والجمل على حد سواء...
إذاً، فثمة - بلاشك- مجموعة من البصمات الثقافية والحضارية والتقينة الشاهدة، بكل جلاء، على الذكاء الخارق الذي يمتلكه الإنسان الأمازيغي ، وعلى عبقريته المتفتقة نضجا وحكمة ورزانة، وعلى قدراته الإبداعية الهائلة التي تتضح بشكل بين على جميع الأصعدة والمستويات.

ثبت المصادر والمراجع

الأعمال الإبـــــداعية:

1-البشير القمري: **<u>إيكليدن</u>**، دار البوكيلي، القنيطرة، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2002م.

2- بنسالم حميش : **<u>سماسرة السراب</u>**،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1995م.

3- بنسالم حميش : **<u>محن الفتى زين شامة</u>**،دار الآداب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1993م.

4- جمال الغيطاني: ، **<u>التجليات</u> (الأسفار الثلاثة)** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، طبعة 1997م.

5- جميل حمداوي: **<u>نصوص مسرحية للصغار والكبار</u>**، مطبعة الجسور بوجدة، المغرب،الطبعة الأولى سنة 2009م.

6- خلاص الجيلاني:**<u>حمائم الشفق</u>**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

7- رشيد بوجدرة: **<u>ألف و عـام من الحنيـن</u>**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر , 1984.

8- رشيد ميموني : **<u>النـهر المحول</u>**، الطبعة الأولى سنة 1982م.

9- الطاهر وطار: **<u>الحوات والقصر</u>**، دار الهلال، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، سنة 1987م.

10- لوكيوس أبوليوس: **تحولات الجحش الذهبي**، ترجمة : علي فهمي خشيم، المنشأة العامة، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، 1984م.
11- محمد زفزاف: **المرأة و الوردة**، سلسلة الكتاب الحديث، منشورات غاليري ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1972م.
12- محمد ديب: **هابيل**،دار الجليل،طبعة 1986م.
13- محمد عزالدين التازي: **المباءة**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1988م.
14- محمد عزالدين التازي: **رحيل البحر**، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1983م.
15- محمد الهواري: **أحلام بقرة**، دار الخطابي للطباعة و النشر ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 1988 م.
16- مومن علي الصافي: **عوسان عيصميدنان**، مطبعة الأندلس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 1984م.
17- الميلودي شغموم: **عين الفرس**، دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة1988م.
18- هاني الراهب:**ألف ليلة وليلتان**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر،بيروت، لبنان، الطبعة ، الأولى سنة 1979م.
19- يحيى بزغود: **الجرذان**، ، منشورات منتدى رحاب بوجدة، الطبعة الأولى سنة 2000م.

المصـــــادر العامة:

20- ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، طبعة 1968م.

21- ابن عبد الحكم: **فتوح افريقية والأندلس**، دار الكتاب اللبناني، بيروت،لبنان، 1987م.

22- أرسطو: **فن الشعر**، مكتبة المسرح رقم3، ترجمة وتعليق: إبراهيم حمادة، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

23- البكري: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب(جزء من المسالك والممالك)**، نشر دسلان، الجزائر، 1857م.

24- البلاذري**: فتوح البلدان**، دار الكتاب، بيروت،لبنان، طبعة 1982م.

25- خليفة بن الخياط: **تاريخ خليفة بن الخياط**، دار طيبة، الرياض، السعودية، طبعة 1985م.

26- ليون الأفريقي: **وصف أفريقيا**، ترجمة عن الفرنسية:محمد الأخضر ومحمد حجي الجزء الأول،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،1983م.

27- محمد الشطيبي: **الأمازيغ (البربر) عبر التاريخ**، تحقيق: الدكتور عبد الحفيظ الطيبي، رباط نيت، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2014م.

28- المالكي: **رياض النفوس**، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، مصر، 1951م.

29- هيرودوت: **أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)**، تحقيق مصطفى أعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2008م.

المراجـــع باللغة العربيـــة:

30- إبراهيم **حركات:المغرب عبر التاريخ**، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2009م.

31- أبو بكر الصديق الشريف: **اليهود المغاربة، أسئلة التطبيع وجدلية أهل الذمة**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2004م.

32- إحسان عباس: **فن السيرة**، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

33- أحمد بوكوس: **الأمازيغية والسياسة اللغوية والثقافية بالمغرب**، مركز طارق بن زياد، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2003م.

34- أحمد توفيق المدني: **قرطاجنة في أربعة عصور**، طبعة تونس، 1926م.

35- أحمد شحلان: **مجمع البحرين ـ من الفينيقية إلى العربية**، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2009م.

36- أحمد عثمان: **الأدب اللاتيني ودوره الحضاري**، عالم المعرفة، الكويت، العدد141، طبعة 1989م.

37- أحمد هبو: **الأبجدية: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب**، منشورات دار الحوار، اللاذيقية، سوريا، الطبعة الأولى، سنة 1984م.

38- إ.إ.رايس: **البحر والتاريخ**، ترجمة: دكتور عاطف أحمد، العدد314، السنة 2005م.

39- إدموند دوطي: **السحر و الدين في أفريقيا الشمالية** ، ترجمة : فريد الزاهي ، منشورات مرسم ،مطبعة بورقراق، الرباط، المغرب،2008م.

40- اصطيفان اكصيل: **تاريخ شمال أفريقيا**، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م.

41- أنجلوغريلي :**أسلمة وتعريب بربر شمال المغرب**، ترجمة عبد العزيز شهبر،منشورات وزارة الثقافة ، مطبعة دار المناهل، الرباط، المغرب،2009م.

42- أميرة حلمي مطر: **الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، طبعة 1998م.

43- بوزياني الدراجي: **القبائل الأمازيغية**، الجزء الأول،دار الكتاب العربي، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 2003م.

44- جميل حمداوي: **المسرح الأمازيغي**، منشورات الزمن، الرباط، الطبعة الأولى، سنة 2008م.

45- جميل حمداوي: **المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ**، منشورات المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2013م.

46- جيروم كركوبينو: **المغرب العتيق**، ترجمة: محمد التازي سعود، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2008م.

47- حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية**، القسم الثاني، مكتبة المنار بتونس، 1966-1972م.

48- الحسن السايح: **الحضارة المغربية**، الجزء الأول، منشورات عكاظ، ، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى ، 2000م.

49- حسن المنيعي: **المسرح المغربي من التأسيس إلى صناعة الفرجة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 1994م.

50- حسين مؤنس: **فجر الأندلس**، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، طبعة 1985م.
51- حميد لحمداني: **الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي**، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1985م.
52- شارل أندري جوليـان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب: محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر 1969م.
53- صبحي الصالح: **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1981م.
54- فاكيـه إميـل: **مدخل إلى الأدب**: ترجمة: مصطفى ماهر ، لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر، طبعة 1958م.
55- عباس الجراري: **الأدب المغربي من خلال ظواهره و قضاياه**، الجزء الأول ،مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الثانية،1982م.
56- عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1980م.
57- عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 1984م.
58- عبد الله كنون: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ثلاثة أجزاء، بدون ذكر المطبعة ومكانها، الطبعة الثانية، 1960م.
59- عثمان الكعاك: **البربر**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية ، 2003م.
60- العربي اكنينح: **في المسألة الأمازيغية: أصول المغاربة**، مطبعة آنفو برانت ، فاس، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2003م.
61- عز الدين المناصرة: **المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب**، دار الشروق، الأردن، الطبعة الأولى، 1999م.
62- عدنان أحمد مسلم: **محاضرات في الأنتروبولوجيا(علم الإنسان)**، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، سنة 2001م.
63- علي صدقي أزايكو: **تاريخ المغرب أو التأويلات الممكنة**، مركز طارق بن زياد، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 2002م.

64- علي محمد محمد الصلابي: **صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الأفريقي**، دار البيارق،عمان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 1998م.
65- محمد أخياط: **لماذا الأمازيغية؟**، سلسلة الدراسات الأمازيغية، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، القنيطرة، المغرب، طبعة 1981م.
66- محمد بوكبوط: **الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات**، مركزطارق بن زياد، الرباط، المغرب، الطبعة الاولى سنة 2002م.
67- محمد حقي: **البربر في الأندلس**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2001م.
68- محمد خير فارس:**تنظيم الحماية الفرنسية(1921-1939) في المغرب**، دمشق، سورية.
69- محمد شفيق: **لمحة عن ثلاثة و ثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين**، دار الكلام، الرباط، طبعة 1989م.
70- محمد شيت خطاب: **قادة فتح بلاد المغرب**، الجزء الأول،دار الفكر، الطبعة السابعة، 1984م.
71- محمد الطالبي وإبراهيم العبيدي: **البرغواطيون في المغرب**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 1999م.
72- محمد غنيمي هلال: **الأدب المقارن**، دار العودة ، بيروت، لبنان طبعة 1983م.
73- محمد كنبيب: **يهود المغرب(1912-1948م)**، ترجمة: إدريس بنسعيد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، الطبعة الثانية، 2010م.
74- محمد محيي الدين المشرفي: **أفريقيا الشمالية في العصر القديم**، دار الكتب العربية، الطبعة الرابعة ، سنة 1969م.
75- محمد المختار العرباوي: **البربر مشارقة في المغرب**، المطبعة والوراقة الدوديات، مراكش، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2012م.
76- مصطفى أعشي: **جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ**، طارق بن زياد، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2002م.

77- ميلود التوري: **الأمازيغية والفينيقية**، رباط نيت، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2009م.
78- يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة اليونانية**، مطبعة لجنة التأليف والنشر والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة 1953م.

المراجــع الأجنبيــة:

79-Apulée: **l'Ane d'Or,** dans les Métamorphoses, Folio. Gallimard Paris 1958 (préface) de Jean-Louis Bory.
80- Bousquet **: Les Berbères**, Collection Que sais-je, P.U.F.Paris, 1957.
81- G.Camps : **Aux origines de la berbèrie, rites et monuments funeraires**, Paris, 1961.
82- Gabriel Camps : **Berbères : aux marges de l'histoire**. Publié par Éditions des Hespérides, 1980.
83- Gautier : **Le passé de l'Afrique du Nord**, ED.Payot, Paris, 1942.
84- Gl.E.Bremond : **Berbèrie et arabes**, Payot, Paris, 1938.
85-kafka / F **: La Métamorphose**, Gallimard, paris, 1955.
86- E.F.Gautier: **Le passé de l'Afrique du Nord**,(les siècles obscures), Payot, Paris,1952
87-F.Braudel: **la Méditerranée: l'espace et l'histoire**, Flammarion, Paris, 1985.

88-Louis Rinn : **Les origines berbères, études linguistiques et ethnoloqiques**, Alger, 1889.

89-M. Onfray, **L'Invention du plaisir : Fragments cyrénaïques**, Livre de poche / Biblio essais, 2002.

90-Saint Augustin, **Confessions,** III, 3, trad. d'Arnauld d'Andilly (1649), établie par O. Barenne, éd. Ph. Sellier, Gallimard, " Folio ", 1993.

91-Strabon : Géographie, XVII, 3.

المقـــالات الورقيـــة:

92- جميل حمداوي: (الحمار الذهبي لأبوليوس أول عمل روائي في الفكر الإنساني والأمازيغي)، **جريدة البديل**، الناظور، المغرب، العدد74،السنة 2007م .

93- محمد حندايـن:(مدخل لكتابة تاريخ الأدب الامازيغي بالمغرب) **تاسكلان-تمازيغت-مدخل للأدب الامازيغي**، منشورات الجمعية المغربي للبحث و التبادل الامازيغي، طبعة 1992م.

94- محمد الشامي:(إشكالية الكتابة الأمازيغية)، **أعمال الدورة الأولى لجمعية الجامعة الصيفية بأگادير**، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى ،1982م.

95- واسيني الأعرج: (أحلام بقرة: العجائبية/التأويل/التناص)، **آفاق**، مجلة اتحاد كتاب المغرب، العدد 1، 1990م.

المقالات الرقمية:

96- عبد الغني سلامة:(ظهور الإنسان)، **موقع الحوار المتمدن**، العدد:3455، 2011/08/13م،
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=271173

97- حسين مجدوبي: (الملك الأمازيغي يوبا الثاني: أول عالم ومؤلف في تاريخ المغرب)، **موقع ألف بوست**،بتاريخ 5 أبريل 2013م؛
http://alifpost.com/

98- (ماذا قال علي خشيم عن أبوليوس؟)، **مجلة توالت tawalt** الرقمية، ليبيا، نقل المقال بدوره عن مجلة **جيل** الليبية.
http://www.tawalt.com/?p=3579

السيــرة العلــمية:



- جميل حمداوي من مواليد مدينة الناظور (المغرب).
- حاصل على دبلوم الدراسات العليا سنة 1996م.
- حاصل على دكتوراه الدولة سنة 2001م.
- حاصل على إجازتين:الأولى في الأدب العربي، والثانية في الشريعة والقانون. ويعد إجازتين في الفلسفة وعلم الاجتماع.
- أستاذ التعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالناظور.
- أستاذ الأدب العربي، ومناهج البحث التربوي، والإحصاء التربوي، وعلوم التربية، والتربية الفنية، والحضارة الأمازيغية، وديدكتيك التعليم الأولي، والحياة المدرسية والتشريع التربوي...
-أديب ومبدع وناقد وباحث، يشتغل ضمن رؤية أكاديمية موسوعية.
- حصل على جائزة مؤسسة المثقف العربي (سيدني/أستراليا) لعام 2011م في النقد والدراسات الأدبية.
- حصل على جائزة ناجي النعمان الأدبية سنة2014م.
- عضو الاتحاد العالمي للجامعات والكليات بهولندا.
- رئيس الرابطة العربية للقصة القصيرة جدا.
- رئيس المهرجان العربي للقصة القصيرة جدا.
- رئيس الهيئة العربية لنقاد القصة القصيرة جدا.
- رئيس الهيئة العربية لنقاد الكتابة الشذرية ومبدعيها.
- رئيس جمعية الجسور للبحث في الثقافة والفنون.
- رئيس مختبر المسرح الأمازيغي.
- عضو الجمعية العربية لنقاد المسرح.
-عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

- عضو اتحاد كتاب العرب.
-عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب.
-عضو اتحاد كتاب المغرب.
- من منظري فن القصة القصيرة جدا وفن الكتابة الشذرية.
- مهتم بالبيداغوجيا والثقافة الأمازيغية.
- ترجمت مقالاته إلى اللغة الفرنسية و اللغة الكردية.
- شارك في مهرجانات عربية عدة في كل من: الجزائر، وتونس، وليبيا، ومصر، والأردن، والسعودية، والبحرين، والعراق، والإمارات العربية المتحدة،وسلطنة عمان...
- مستشار في مجموعة من الصحف والمجلات والجرائد والدوريات الوطنية والعربية.
- نشر أكثر من ألف وثلاثين مقال علمي محكم وغير محكم، وعددا كثيرا من المقالات الإلكترونية. وله أكثر من (124) كتاب ورقي، وأكثر من مائة وعشرين كتاب إلكتروني منشور في موقعي (المثقف) وموقع (الألوكة)، وموقع (أدب فن).
- ومن أهم كتبه: فقه النوازل، ومفهوم الحقيقة في الفكر الإسلامي، ومحطات العمل الديدكتيكي، وتدبير الحياة المدرسية، وبيداغوجيا الأخطاء، ونحو تقويم تربوي جديد، والشذرات بين النظرية والتطبيق، والقصة القصيرة جدا بين التنظير والتطبيق، والرواية التاريخية، تصورات تربوية جديدة، والإسلام بين الحداثة وما بعد الحداثة، ومجزءات التكوين، ومن سيميوطيقا الذات إلى سيميوطيقا التوتر، والتربية الفنية، ومدخل إلى الأدب السعودي، والإحصاء التربوي، ونظريات النقد الأدبي في مرحلة مابعد الحداثة، ومقومات القصة القصيرة جدا عند جمال الدين الخضيري، وأنواع الممثل في التيارات المسرحية الغربية والعربية، وفي نظرية الرواية: مقاربات جديدة، وأنطولوجيا القصة القصيرة جدا بالمغرب، والقصيدة الكونكريتية، ومن أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جدا ، والسيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، والإخراج المسرحي، ومدخل إلى السينوغرافيا المسرحية، والمسرح الأمازيغي، ومسرح الشباب بالمغرب، والمدخل إلى الإخراج المسرحي، ومسرح الطفل بين التأليف والإخراج، ومسرح الأطفال بالمغرب، ونصوص

مسرحية، ومدخل إلى السينما المغربية، ومناهج النقد العربي، والجديد في التربية والتعليم، وببليوغرافيا أدب الأطفال بالمغرب، ومدخل إلى الشعر الإسلامي، والمدارس العتيقة بالمغرب، وأدب الأطفال بالمغرب، والقصة القصيرة جدا بالمغرب،والقصة القصيرة جدا عند السعودي علي حسن البطران، وأعلام الثقافة الأمازيغية...

- عنوان الباحث: جميل حمداوي، صندوق البريد1799، الناظور62000، المغرب.

- الهاتف النقال:0672354338

- الهاتف المنزلي:0536333488

- الإيميل:Hamdaouidocteur@gmail.com

Jamilhamdaoui@yahoo.

كلمـــات الغلاف الخارجي:

يقدم هذا الكتاب مجموعة من الدراسات والمحاضرات والدروس والأبحاث حول حضارة الأمازيغيين وثقافتهم المتنوعة على جميع الأصعدة والمستويات. وقد تناولنا، في هذا الكتاب، مجموعة من المحاور التي تتعلق بالإنسان الأمازيغي أصلا ونشأة واستقرارا وتاريخا. كما استكشفنا أصوله الجينيالوجية والوراثية. واستجلينا مكونات حضارته ماديا ومعنويا، بالتوقف عند حياته السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والدينية، والعلمية، والأدبية، والفنية ، مع رصد عاداته، وتقاليده، ولغته، وكتابته، وعمرانه...